



This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

### Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

- + *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
- + *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
- + *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
- + *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

### About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>













فهرست کتب اعجاز القرآن للقاضی أبی بکر الباقلازی

صحیفه	صحیفه
٢٥ عهد لابی بکر الصديق الى عمر رضی	٢ خطبة الكتاب
الله عنهما	٤ فصل في ان نبوة النبي صلى الله عليه
٦٦ نسخة كتاب	وسلم مجزتها القرآن
٧٧ عهد من عهد عمر رضی الله عنه	٨ فصل في الدلالة على ان القرآن مجز
٧٧ ومن كلام عثمان بن عفان رضی الله عنه	١٨ فصل في جملة وجوه اعجاز القرآن
٧٧ خطبة له رضی الله عنه	٢٧ فصل في شرح ما بيننا من وجوه اعجاز
٧٨ كتابه الى علي حين حضر رضی الله عنهما	القرآن
٧٩ خطبة أخرى لعلي رضی الله عنه	٢٨ فصل في نفي الشعر من القرآن
٧٩ وكتب علي رضی الله عنه الى عبد الله	٣١ فصل في نفي السجع من القرآن
ابن عباس رحمه الله وهو بالبصرة	٣٩ فصل في ذكر البديع من الكلام
٧٩ كلام لابن عباس رضی الله عنه	٥٤ فصل في كيفية الوقوف على اعجاز
٧٩ خطبة لعبد الله بن مسعود رضی الله عنه	القرآن
٧٠ خطبة لمعاوية بن أبي سفيان	٧٢ خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم
٧٠ خطبة لعمر بن عبد العزيز رضی الله عنه	٦٣ خطبة له صلى الله عليه وسلم
٧١ خطبة للمجاج بن يوسف	٦٣ خطبة له صلى الله عليه وسلم
٧١ خطبة لقيس بن ساعدة الايادي	٧٣ خطبة له صلى الله عليه وسلم في أيام
٧٢ خطبة لأبي طالب	النشريق
١١٦ فصل في القتي	٦٣ خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة
١١٧ فصل في قدر المجز من القرآن	٦٣ خطبته صلى الله عليه وسلم بالخيف
١١٩ فصل في انه هل يعلم اعجاز القرآن	٦٤ خطبة له صلى الله عليه وسلم
ضرورة	٦٤ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى
١١٩ فصل فيما يتعلق به الاعجاز	ملك فارس
١٢٠ فصل في وصف وجوه من البلاغة	٦٤ كتاب له صلى الله عليه وسلم الى
١٢٩ فصل في حقيقة المجز	النجاشي
١٣١ فصل في كلام النبي صلى الله عليه	٧٤ نسخة عهد الصلح مع قريش عام
وسلم وأمره متصل بالاعجاز	الحديبية
	٧٥ خطبة لابی بکر الصديق رضی الله عنه

(تمت الفهرست)



# كِتَابُ

I'jāz al-Qur'ān

# إِعْجَازُ الْقُرْآنِ

تأليف الامام الكبير والقُدوة الشهير شمس خاتمة  
المحققين وعمدة الائمة المدققين القاضي أبي بكر  
الباقلاني رحمه الله تعالى ونفعنا بعلمه  
آمين

﴿ طبع على نفقة الاديبيين ﴾

﴿ محمد القليوبي عطا الله \* ومحمد فرج الجزار ﴾  
( غفر الله لهما ولوالديهما ولجميع المسلمين آمين )  
( حقوق الطبع محفوظة لهما )

﴿ الطبعة الاولى ﴾

( بطبعة الاسلام بجارة السقائين بمصر المحمية )  
( سنة ١٣١٥ هجرية )

طبع برخصة نظارة الداخلية





2269  
1535  
349  
1898

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنعم على عباده بما هداهم اليه من الايمان \* والمتمم احسانه بما أقام لهم  
من جلي البرهان \* الذي حمد نفسه بما أنزل من القرآن ليكون بشيرا ونذيرا \*  
وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا \* وهاديا الى ما ارتضى لهم من دينه \* وسلطانا  
أوضح وجه تبيينه \* ودليلا على وحدانيته \* ومرشدا الى معرفة عزته وجبروته \*  
ومفصحا عن صفات جلاله \* وعلو شأنه وعظيم سلطانه \* وجهة لرسوله الذي أرسله به وعلما  
على صدقه \* وبينة على انه أمينه على وحيه وصادع بأمره \* فإشرفه من كتاب يتضمن  
صدق متعمله \* ورسالة تشتمل على تصحيح قول مؤيديها \* بين فيه سبحانه ان حجة كافية هادية  
لا يحتاج مع وضوحها الى بيضة نعدوها أو حجة متلوها وان الذهاب عنها كالذهاب  
عن الضروريات والشك في المشاهدات \* ولذلك قال عز ذكره ولو نزلنا عليك كتابا في  
قرطاس فليسو به أيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاصح مبین وقال عز وجل ولو فحننا  
عليهم بابا من السماء فظلو فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون  
فله الشكر على جزيل احسانه وعظيم مننه والصلاة على سيدنا محمد المصطفى وآله وسلم  
ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه \* وأولى ما يلزم بحثه \* ما كان لاصل دينهم قواما \*  
ولقاعدة توحيدهم عمادا ونظاما \* وعلى صادق نبينهم صلى الله عليه وسلم برهانا  
ولمجزته ثبنا وحجة لاسيما والجهل بمدود الرواق \* شديد الاتفاق \* مستول على  
الاتفاق \* والعلم الى عفاء ودروس \* وعلى خفاء وطموس \* وأهله في جفوة  
الزمن اليهم \* يقاسون من عبوسه لقاء الاسد الشميم \* حتى صار ما يكابدونه قاطعا

عن الواجب من سلوك مناهجه والاختذ في سبيله فاناس بين رجلين ذاهب عن الحق  
 ذاهل عن الرشد وآخر مصدود عن نصرته مكدود في صنعته فقد أدى ذلك الى خوض  
 الملهدين في أصول الدين وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين وقد قل أنصاره واشتغل  
 عنه أعوانه وأسلمه أهله فصار عرضة لمن شاء ان يتعرض فيه حتى عادم مثل الامر الاول  
 على ما خاضوا فيه عند ظهور أمره فن قائل قال انه سهر وقائل يقول انه شعر وآخر  
 يقول انه أساطير الاولين وقالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا الى الوجوه التي حكى الله عز  
 وجل عنهم انهم قالوا فيه وتكلموا به قصر فوه اليه • وذكر لي عن بعض جهالهم انه جعل  
 يعذله ببعض الاشعار ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ولا يرضى بذلك حتى يفضل  
 عليه وليس هذا ببديع من ملهدة هذا العصر وقد سبقهم الى عظم ما يقولونه اخوانهم  
 من ملهدة قريش وغيرهم الا ان أكثر من كان طعن فيه في أول أمره استبان رشده  
 وأبصر قصده فتاب وأتاب وعرف من نفسه الحق بغريزة طبعه وقوة اتقانه لالتصرف  
 لسانه بل لهدايتة ربه وحسن توفيقه والجهل في هذا الوقت أغلب والمهلدون فيه عن  
 الرشد أبعد وعن الواجب أذهب وقد كان يجوز ان يقع من عمل الكتب النافعة في  
 معاني القرآن وتكمّل في فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة  
 الكلام ان يبسطوا القول في الابانة عن وجه مجرته والدلالة على مكانه فهو أحق بكثير  
 مما صنفوا فيه من القول في الخبر ودقيق الكلام في الاعراض وكثير من بديع الاعراب  
 وغامض النحوق الحاجة الى هذا أمس والاشتغال به أوجب وقد قصر بعضهم في هذه  
 المسئلة حتى أدى ذلك الى تحوّل قوم منهم الى مذاهب البراهمة فيها رأوا ان عجز  
 أصحابهم عن نصره هذه المجزة يوجب أن لا يستنصر فيها ولا وجه لها حين رأوها قد برعوا  
 في لطيف ما أبدعوا وانتهوا الى الغاية فيما أحدثوا ووضعوا ثم رأوا ما صنفوه في هذا  
 المعنى غير كامل في بابه ولا مستوفي في وجهه قد أدخل بهتدب طرقة وأهمل ترتيب  
 بيانه وقد يعذر بعضهم في تفريط يقع منه فيه وذاهب عنه لان هذا الباب مما يمكن  
 احكامه بعد التقدّم في أمور شريفة المحل عظيمة المقدار دقيقة المسالك لطيفة المآخذ  
 واذا انتهينا الى تفصيل القول فيها استبان ما قلناه من الحاجة الى هذه المقدمات حتى  
 يمكن بعدها احكام القول في هذا الشأن وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يزد  
 فيه على ما قاله المتن كلامون قبله ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى • وسألنا سائل  
 ان نذكر جملة من القول جامعة تسقط الشهات وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال  
 وتنتهي الى ما يخطر لهم ويعرض لافهامهم من الطعن في وجه المجزة فأجبناه الى

ذلك متقربين الى الله عز وجل ومتوكلين عليه وعلى حسن توفيقه ومعونته ونحن نبين  
 ما سبق فيه البيان من غيرنا ونشير اليه ولا نبسط القول لئلا يكون ما ألفناه مكررا  
 ومقولا بل يكون مستفادا من جهة هذا الكتاب خاصة ونضيف اليه ما يجب وصفه من  
 القول في تنزيل متصرفات الخطاب وترتيب وجوه الكلام وما تختلف فيه طرق البلاغة  
 وتتفاوت من جهته سبل البراعة وما يشتهله ظاهر الفصاحة ويختلف فيه المخلفون  
 من أهل صناعة العربية والمعرفة بلسان العرب في أصل الوضع ثم ما اختلفت به مذاهب  
 مستعملية في فنون ما ينقسم اليه الكلام من شعر ورسائل وخطب وغير ذلك من مجارى  
 الخطاب وان كانت هذه الوجوه الثلاثة أصول ما يبين فيه التفاسيح وتقصد فيه البلاغة  
 لان هذه أمور يتعمل لها في الاغلب ولا يتجاوز فيها ثم من بعد هذا الكلام الدائر في  
 محاوراتهم والتفاوت فيه أكثر لان التعلل فيه أقل الا من غزارة طبع أو فطنة تصنع  
 وتكلف ونشير الى ما يجب في كل واحد من هذه الطرق ليعرف عظم محل القرآن وليعلم  
 ارتفاعه عن مواقع هذه الوجوه وتجاوزه الحد الذي يصح أو يجوز ان يوازن بينه  
 وبينها أو يشتهه ذلك على متأمل ولست نازعم انه يمكننا ان نبين ما رمنا بيانه وأردنا شرحه  
 وتفصيله لمن كان عن معرفة الأدب ذاهبا وعن وجه اللسان غافلا لان ذلك مما لا سبيل  
 اليه الا ان يكون الناظر فيما نعرض عليه مما قصدنا اليه من أهل صناعة العربية  
 قد وقف على جل من محاسن الكلام ومتصرفاته ومذاهبه وعرف جملة من طرق المتكلمين  
 ونظر في شئ من أصول الدين وانما ضمن الله عز وجل فيه البيان لمثل من وصفناه فقال  
 كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون وقال انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون



### فصل في أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن

الذي يوجب الاهتمام التام بعرفة اعجاز القرآن ان نبوة نبينا عليه السلام بنيت  
 على هذه المعجزة وان كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة الا ان تلك المعجزات قامت في  
 أوقات خاصة وأحوال خاصة وعلى أشخاص خاصة ونقل بعضها نقلا متواترا يقع به العلم  
 وجودا وبعضها مما نقل نقلا خاصا الا انه حكى بشهد من الجمع العظيم انهم شاهدوه  
 فلو كان الامر على خلاف ما حكى لانكروه أولا نكروه بعضهم فحل محل المعنى الاول  
 وان لم يتواتر أصل النقل فيه وبعضها مما نقل من جهة الآحاد وكان وقوعه بين يدي  
 الآحاد فأمدالة القرآن فهي عن معجزة عامة عمت الثقيلين وبقيت بقاء العصيرين  
 ولزوم الحجية بها في أول وقت ورودها الى يوم القيامة على حد واحد وان كان قد

يعلم بعجز أهل العصر الأول عن الاتيان بمثله وجه دلالة فيغنى ذلك عن نظر مجدد في عجز  
أول العصر عن مثله وكذلك قد يغنى عجز أهل هذا العصر عن الاتيان بمثله عن النظر في  
حال أهل العصر الأول وانما ذكرنا هذا الفصل لما حكى عن بعضهم انه زعم انه وان كان  
قد عجز عنه أهل العصر الأول فليس أهل هذا العصر بعاجزين عنه ويكفي عجز أهل العصر  
الأول في الدلالة أنهم خصوا بالتحدى دون غيرهم ونحن نبين خطأ هذا القول في موضعه  
فأما الذي يبين ما ذكرناه من ان الله تعالى حين ابتعثه جعل معجزته القرآن وبني أمر  
نبوته عليه سور كثيرة وآيات نذكر بعضها وننبه بالمدكور على غيره فليس يخفى به  
التنبية على طريقه فن ذلك قوله تعالى الر كآب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات  
الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد فأخبر انه أنزله ليقع الاهتداء به ولا يكون  
كذلك الا وهو حجة ولا تكون حجة ان لم تكن معجزة وقال عز وجل وان أحد من  
المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله فلو لا ان سماعه اياه حجة عليه لم يوقف  
أمره على سماعه ولا يكون حجة الا وهو معجزة وقال عز وجل وانه لتنزىل رب العالمين  
نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين وهذا بين جدا فيما قلناه من انه  
جعله سببا لكونه منبرا ثم أوضح ذلك بأن قال بلسان عربى مبين فلو لا ان كونه بهذا  
اللسان حجة لم يعقب كلامه الاول به وما من سورة افتتحت بذكر الحروف المقطعة الا  
وقد أشبع فيها بيان ما قلناه ونحن نذكر بعضها للتستدل بذلك على ما بعده وكثير من هذه  
السور اذا تأملته فهو من أوله الى آخره مبنى على لزوم حجة القرآن والتنبية على وجه  
معجزته فن ذلك سورة المؤمن قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم  
ثم وصف نفسه بما هو أهل من قوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الى ان قال  
ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فدل على ان الجدل فى تنزيه كفر والحاد ثم أخبر  
بما وقع من تكذيب الأمم برسلمهم بقوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من  
بعدهم الى آخر الآية فتوعدهم بأنه آخذهم فى الدنيا بذنبهم فى تكذيب الانبياء ورد  
براهينهم فقال فأخذتهم فكيف كان عقاب ثم توعدهم بالنار فقال وكذلك حق كلمة بك  
على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ثم عظم شأن المؤمنين بهذه الحجة بما أخبر من استغفار  
الملائكة لهم وما وعدهم عليه من المغفرة فقال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون  
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر  
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وفهم عذاب الجحيم فلو لا انه برهان قاهر لم يذم الكفار على  
العدول عنه ولم يحمى المؤمنين على المصير اليه ثم ذكر تمام الآيات فى دعاء الملائكة

للؤمنين ثم عطف على وعيد الكافرين فذكر آيات ثم قال هو الذي يريكم آياته فأمر  
بالنظر في آياته وبراهينه الى ان قال رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره  
على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق فجعل القرآن والوحى به كالروح لانه يؤدى  
الى حياة الابد ولانه لافائدة للجسد بدون الروح فجعل هذا الروح سببا للانذار وعلمها  
عليه وطريقا اليه ولولا ان ذلك برهان بنفسه لم يصح ان يقع به الانذار والاخبار عما  
يقع عند مخالفته ولم يكن الخبر عن الواقع فى الآخرة عند ردهم دلالة من الوعيد حجة  
ولا معلوما صدقه فكان لا يلزمهم قبوله فلما خلاص من الآيات فى ذكر الوعيد على ترك  
القبول ضرب لهم المثل بمن خالف الآيات وجهد الدلالات والمجربات فقال أولم يسيرا  
فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم الى آخر الآية ثم بين ان  
عاقبتهم صارت الى السواى بأن رسلهم كانت تأتيهم بالبينات وكانوا لا يقبلونها منهم فعلم  
ان ما قدم ذكره فى السورة بينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر قصة موسى  
ويوسف عليهما السلام ومجئتهما بالبينات ومخالفتهم حكمهما الى ان قال الذين يجادلون  
فى آيات الله بغير سلطان أثامهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله  
على كل قلب متكبر جبار فأخبر ان جدالهم فى هذه الآيات لا يقع بحجة وانما يقع عن  
جهل وان الله يطبع على قلوبهم ويصرفهم عن تفهم وجه البرهان لجودهم وعنادهم  
واستكبارهم ثم ذكر كثيرا من الاحتجاج على التوحيد ثم قال ألم ترى الذين يجادلون  
فى آيات الله أنى يصرفون ثم بين هذه الجملة وان من آياته الكتاب فقال الذين كذبوا  
بالكتاب وبما أرسنا به رسلنا فسوف يعلمون الى ان قال وما كان لرسول ان يأتي بأية  
الا باذن الله فدل على ان الآيات على ضربين أحدهما كالمجربات التى هى أدلة فى دار  
التكليف والثانى الآيات التى ينقطع عندها العذر ويقع عندها العلم الضرورى وانها  
اذا جاءت ارتفع التكليف ووجب الاهلاك الى ان قال فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا  
بأسنا فاعلمنا انه قادر على هذه الآيات ولكنه اذا أقامها زال التكليف وحقت العقوبة  
على الجاحدين وكذلك ذكر فى حم السجدة على هذا المنهاج الذى شرحنا فقال عز  
وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا  
ونذيرا فلولوا انه جعله برهانا لم يكن بشيرا ولا نذيرا ولم يختلف بأن يكون عربيا مفصلا أو  
بجلاف ذلك ثم أخبر عن جهودهم وقلة قبولهم بقوله فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون  
ولولا انه حجة لم يضرهم الاعراض عنه وليس لقائل ان يقول قد يكون حجة وبححتاج  
فى كونه حجة الى دلالة أخرى كما ان الرسول حجة ولا كنهه يحتاج الى دلالة على صدقه



وصحة نبوته وذلك انه انما احتج عليهم بنفس هذا التنزيل ولم يذكر حجة غيره ويبين ذلك انه قال صقيب هذا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى فأخبر انه مثلهم لولا الوحي ثم عطف عليه بحمده المؤمنين به المصدقين له فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ومعناه الذين آمنوا بهذا الوحي والتنزيل وعرفوا هذه الحجة ثم تصرف في هذا الاحتجاج على الوحدةانية والقدرة الى ان قال فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فتوعدهم بما أصاب من قبلهم من المكذبين بآيات الله من قوم عاد وثمود في الدنيا ثم توعدهم بأمر الآخرة فقال ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون الى انتهاء ما ذكره فيه ثم رجع الى ذكر القرآن فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ثم أثنى بعد ذلك على من تلقاه بالقبول فقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا ثم قال واما ينزعنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وهذا ينبه على ان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف إعجاز القرآن وانه دلالة له على جبهة الاستدلال لان الضروريات لا يقع فيها نزغ الشيطان ونحن نبين ما يتعلق بهذا الفصل في موضعه ثم قال ان الذين يلدون في آياتنا الى ان قال ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا وان كان متأولا على انه لا يوجد فيه غير الحق مما يتضمنه من أقاصيص الاولين وأخبار المرسلين وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه من الاخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أبنا انها تقع في الثاني فلا يخرج عن ان يكون متأولا على ما يقتضيه نظام الخطاب من انه لا يأتيه ما يبطله من شبهة سابقة تقدح في مجزته أو تعارضه في طريقه وكذلك لا يأتيه من بعده قط أمر يشكك في وجه دلالته وهذا أشبه بسياق الكلام ونظامه ثم قال ولو جعلناه قرآنا أجمعيا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى فأخبر انه لو كان أجمعيا لكانوا يحجبون في رده اما بأن ذلك خارج عن عرف خطابهم وكانوا يعتذرون بذهابهم عن معرفة معناه وبأنهم لا يبين لهم وجه الإعجاز فيه لانه ليس من شأنهم ولا من لسانهم أو بغير ذلك من الامور وانه اذا تحدثهم الى ما هو من لسانهم وشأنهم فجزوا عنه وجبت الحجة عليهم به على ما بينه في وجه هذا الفصل الى ان قال قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد والذي ذكرنا من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرهما من السور فكرهنا سرد القول فيها فليست أمثلة المتأمل ما دللناه عليه بجمده كذلك ثم مما يدل على هذا قوله عز وجل وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما

أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فأخبران الكتاب آية من آياته وعلم من أعلامه وإن ذلك يكفى في الدلالة ويقوم مقام معجزات غيره وآيات سواء من الانبياء صلوات الله عليهم ويدل عليه قوله عز وجل تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقوله أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ومعجوات الباطل وبحق الحق بكلماته قدل على انه جعل قلبه مستودعا لوحيه ومستنزلا لكتابه وانه لو شاء صرف ذلك الى غيره وكان له حكم دلالاته على تحقيق الحق وابطال الباطل مع صرفه عنه ولذلك أشباه كثيرة تدل على نحو الدلالة التى وصفناها فبان بهذا وبخطأه ما قلناه من ان بناء نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن ومعجزته وصار له من الحكم فى دلالاته على نفسه وصدقه انه يمكن ان يعلم انه كلام الله تعالى وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الانبياء لانها لا تدل على أنفسهم الا بأمر زائد ووصف مضاف اليها لان نظمها ليس معجزا وإن كان ما يتضمنه من الاخبار عن الغيوب معجزا وليس كذلك القرآن لانه يشاركها فى هذه الدلالة ويزيد عليها فى ان نظمه معجز فيمكن ان يستدل به عليه وحل فى هذا من وجه محل سماع الكلام من القديم سبحانه وتعالى لان موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم انه فى الحقيقة كلامه وكذلك من يسمع القرآن يعلم انه كلام الله وإن اختلف الحال فى ذلك من بعض الوجوه لان موسى عليه السلام سمعه من الله عز وجل وأسمعه نفسه متكلماً وليس كذلك الواحد منا وكذلك قد يختلفان فى غير هذا الوجه وليس ذلك قصدا بالكلام فى هذا الفصل والذى نرومه الآن ما بينا من اتفاقهما فى المعنى الذى وصفنا وهو انه عليه السلام يعلم ان ما يسمعه كلام الله من جهة الاستدلال وكذلك نحن نعلم ما نقرؤه من هذا على جهة الاستدلال

### فصل فى الدلالة على ان القرآن معجزة

قد ثبت بما بينا فى الفصل الاول ان نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم مبنية على دلالة معجزة القرآن فيجب ان نبين وجه الدلالة من ذلك قد ذكر العلماء ان الاصل فى هذا هو ان تعلم ان القرآن الذى هو متواتر محفوظ مرسوم فى المصاحف هو الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانه هو الذى تلاه على من فى عصره ثلاثا وعشرين سنة والطريق الى معرفة ذلك هو التقل المتواتر الذى يقع عنده العلم الضرورى به وذلك انه قام به فى المواقف وكتب به الى البلاد وتحمله عنه اليها من تابعه وأورده على غيره من لم يتابعه

حتى ظهر فهم الظهور الذي لا يشبهه على أحد ولا يحتمل انه قد خرج من أتى بقرآن يتلوه  
ويأخذ به على غيره ويأخذ غيره على الناس حتى انتشر ذلك في أرض العرب كلها وندعى  
الى الملوك المعاقبة لهم كذلك الروم والعجم والقبط والحبش وغيرهم من ملوك الاطراف  
ولما ورد ذلك مضادا لاديان أهل ذلك العصر كلهم ومخالفا لوجوه اعتقاداتهم المختلفة في  
الكفر وقف جميع أهل الخلاف على جملته ووقف جميع أهل دينه الذين أكرمهم الله  
بالإيمان على جملته وتفصيله وتظاهروا بينهم حتى حفظه الرجال وتنقلت به الرحال وتعلمه  
الكبير والصغير اذ كان عمدة دينهم وعلماء عليه والمفروض تلاوته في صلواتهم والواجب  
استعماله في أحكامهم ثم تناقله خلف عن سلف ثم مشلهم في كثرتهم وتوفر دواعيهم على  
نقله حتى انتهى اليها موصفا من حاله فلن يتشكك أحد ولا يجوز ان يتشكك مع وجود  
هذه الاسباب في انه أتى بهذا القرآن من عند الله فهذا أصل واذا ثبت هذا الاصل وجودا  
فانا نقول انه تحتاهم الى ان يأتوا بمثله وقرعهم على ترك الاتيان به طول السنين التي  
وصفناها فلم يأتوا بذلك والذي يدل على هذا الاصل انا قد علمنا ان ذلك مذكور في القرآن  
في المواضع الكثيرة كقوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله  
وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي  
وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وكقوله أم يقولون افترأه قل فأتوا بعشر سور  
مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم  
فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون فجعل عجزهم عن الاتيان بمثله  
دليلا على انه منه ودليلا على وحدانيته وذلك يدل عندنا على بطلان قول من زعم انه لا يمكن  
ان يعلم بالقرآن الوحدانية وزعم ان ذلك مما لا سبيل اليه الا من جهة العقل لان القرآن  
كلام الله عز وجل ولا يصح ان يعلم الكلام حتى يعلم المتكلم أولا فقلنا اذا ثبت بما بينه  
اجازه وان الخلق لا يقدرون عليه ثبت ان الذي أتى به غيرهم وانه انما يختص بالقدرة  
عليه من يختص بالقدرة عليهم وانه صدق واذا كان كذلك كان ما يتضمنه صدقا وليس  
اذا أمكن معرفته من جهة العقل امتنع ان يعرف من الوجهين وليس الغرض تحقيق  
القول في هذا الفصل لانه خارج عن مقصود كلامنا ولكنا ذكرناه من جهة دلالة الآية  
عليه ومن ذلك قوله عز وجل قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن  
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله أم يقولون نقوله بل لا يؤمنون فليأتوا  
بحديث مثله ان كانوا صادقين فقد ثبت بما بيناه انه تحتاهم اليه ولم يأتوا بمثله وفي هذا  
أمر ان أحدهما انتهى اليه والاخر انه لم يأتوا بمثل والذي يدل على ذلك النقل المتواتر

الذي يقع به العلم الضروري فلا يمكن جود واحد من هذين الأمرين وان قال قائل لعله لم يقرأ عليهم الآيات التي فيها ذكر التحدى وانما قرأ عليهم ما سوى ذلك من القرآن كان كذلك قولاً باطلاً يعلم بطلانه مثل ما يعلم به بطلان قول من زعم ان القرآن أضعاف هذا وهو يبلغ جل جل وانه كتم وسيظهره المهدى أو يدعى ان هذا القرآن ليس هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو شئ وضعه عمر أو عثمان رضى الله عنهما حيث وضع المحكف أو يدعى فيه زيادة أو نقصاناً وقد ضمن الله حفظ كتابه ان يأتية الباطل من بين يديه أو من خلفه ووعده الحق وحكاية قول من قال ذلك يغنى عن الرد عليه لان العدد الذين أخذوا القرآن في الامصار وفي البوادي وفي الاسفار والحضر وضبطوه حفظاً من بين صغير وكبير وعرفوه حتى صار لا يشبهه على أحد منهم حرف لا يجوز عليهم السهو والنسيان ولا التخليط فيه والكتمان ولوزادوا ونقصوا أو غيروا لظهور وقد علمت ان شعرا مري القيس وغيره لا يجوز أن يظهر ظهور القرآن ولا أن يحفظ كحفظه ولا ان يضبط كضبطه ولا ان تمس الحاجة اليه مساسها الى القرآن لوزيد فيه بيت أو نقص منه بيت لابل لو غير فيه لفظ لتبرأ منه أصحابه وأنكره أربابه فاذا كان ذلك مما لا يمكن في شعرا مري القيس ونظرائه مع ان الحاجة اليه تقع لحفظ العربية فكيف يجوز أو يمكن ما ذكره في القرآن مع شدة الحاجة اليه في أصل الدين ثم في الاحكام والشرائع واشتمال الهمم المختلفة على ضبطه ففهم من يضبطه لاحكام قراءته ومعرفة وجوهها وصحة ادائها ومنهم من يحفظه للشرائع والفقه ومنهم من يضبطه ليعرف تفسيره ومعانيه ومنهم من يقصد بحفظه الفصاحة والبلاغة ومن المحدثين من يحصله لينظر في عجيب شأنه وكيف يجوز على أهل هذه الهمم المختلفة والآراء المتباينة على كثرة اعدادهم واختلاف بلادهم وتفاوت أغراضهم ان يجتمعوا على التغير والتبديل والكتمان وبين ذلك انك اذا تأملت ما ذكر في أكثر السور مما بينا ومن فظائر في رد قومه عليه ورد غيرهم وقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقول بعضهم ان هذا الاختلاف الى الوجوه التي بصرف اليها قولهم في الطعن عليه ففهم من يستهين بها ويجعل ذلك سبباً لتركه الاتيان بمثله ومنهم من يزعم انه مفترى فالذلك لا يأتي بمثله ومنهم من يزعم انه دارس وانه أساطير الاولين وكرهنا ان نذكر كل آية تدل على تحديه فلا يقع التطويل ولو جاز ان يكون بعضه مكتوماً جاز على كله ولو جاز ان يكون بعضه موضوعاً جاز ذلك في كله فثبت بما بيناه انه تحدى اليه وانهم لم يأتوا له بمثل وهذا الفصل قد بينا ان الجميع قد ذكروه وبنوا عليه فاذا ثبت هذا وجب ان يعلم بعده ان تركهم للاتيان بمثله كان لعجزهم

عنه والذي يدل على انهم كانوا عاجزين عن الاتيان بمثل القرآن انه اتخذهم اليه حتى طال التعدي وجعله دلالة على صدقه ونبوته وتضمن احكامه استباحة دمانهم وأموالهم وسبي ذريتهم فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا وتوصلوا الى تخليص أنفسهم وأهليهم وأموالهم من حكمه بأمر قريب هو عاداتهم في لسانهم ومألوف من خطابهم وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال واكتثار المراء والجدال وعن الجلاء عن الاوطان وعن تسليم الاهل والذرية للسبي فلما لم يحصل هناك معارضة منهم علم انهم عاجزون عنها يبين ذلك ان العدو يقصد لدفع قول عدوه بكل ما قدر عليه من المكيد لاسيما مع استعظامه ما أبدعه بالجنء من خلع آلهته وتسفيه رأيه في ديانتهم وتضليل آباءه والتغريب عليه بما جاء به واطهار أمره بوجوب الانقياد لطاعته والتصرف على حكم ارادته والعدول عن الفه وعاداته والانخراط في سلك الانباع بعد ان كان متبوعا والتشيع بعد ان كان مشيعا وتحكيم الغير في ماله وتسليطه اياه على جملة أحواله والدخول تحت تكاليف شاقة وعبادات متعبة بقوله وقد علم ان بعض هذه الاحوال مما يدعوا الى سلب النفوس دونه هذا والحمة حينهم والهمم الكبيرة همهم وقد بذلوا له السيف وأخطروا بنفوسهم وأموالهم فكيف يجوز أن لا يتوصلوا الى الرد عليه والى تكذيبه بأهون سعيهم ومألوف أمرهم وما يمكن تناوله من غير ان يعرق فيه جبين أو يشتغل به خاطر وهو لسانهم الذي يتخاطبون به مع بلوغهم في الفصاحة النهاية التي ليس وراءها مطلع والرتبة التي ليس وراءها مترع ومعلوم انهم لو عارضوه بما اتخذهم اليه لكان فيه توهين أمره وتكذيب قوله وتفريق جمعه وتشتيت أسبابه وكان من صدقه يرجع على أعقابهم وبعود في مذهب أصحابه فلما لم يفعلوا شيئا من ذلك مع طول المدة ووقوع الفسحة وكان أمره يتزايد حالا فخالا ويعلوشا شيئا وهم على العجز عن القدح في آيته والطعن في دلالته علم مما بينا انهم كانوا لا يقدرون على معارضته ولا على توهين حجه وقد أخبر الله تعالى عنهم انهم قوم خصمون وقال لتندبره قوما لدا وقال خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين وعلم أيضا ان ما كانوا يقولونه من وجوه اعتراضهم على القرآن مما حكى الله عز وجل عنهم من قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين وقولهم ما هذا الا محر مفترى وما سمعنا بهذا في آباءنا الاولين وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكرك انك لجنون وقالوا أفنتون السحر وأنتم تبصرون وقالوا أننا لنتاركوا آلهتنا لشارع مجنون وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين انكمتها



فهى على علمه بكرة وأصيلا وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا  
وقوله الذين جعلوا القرآن عضين الى آيات كثيرة في نحو هذا تدل على انهم كانوا متعبرين في  
أمرهم متعجبين من عجزهم بفزعون الى نحو هذه الامور من تعليل وتعذير ومداخنة بما وقع  
التحدى اليه وعرف الحث عليه وقد علم منهم أنهم ناصبوه الحرب وجاهروه وناذبوه  
وقطعوا الارحام وأخطروا بأنفسهم وطالبوه بالآيات والاثيان بغير ذلك من المعجزات  
يريدون تعجيزه ليظهروا عليه بوجه من الوجوه فكيف يجوز ان يقدر واعلى معارضته  
القريبة السهلة عليهم وذلك يدحض حجته ويفسد دلالاته ويبطل أمره فيعدلون عن ذلك  
الى سائر ماصاروا اليه من الامور التى ليس عليها ضرر فى المناظرة والمعاداة ويتركون  
الامر الخفيف هذا مما يتنوع وقوعه فى العادات ولا يجوز اتقانه من العقلاء والى هذا قد  
استقصى أهل العلم الكلام وأكثر وافى هذا المعنى وأحكموه ويمكن ان يقال انهم لو كانوا  
قادرين على معارضته والاثيان بمثل ما أتى به لم يجز ان يتفق منهم ترك المعارضة وهم على  
ما هم عليه من الذرابة والسلافة والمعرفة بوجوه الفصاحة وهو يستطيع عليهم بانهم  
عاجزون عن مباراته وانهم يضعفون عن مجاراته ويكرر فيما جاء به ذكر عجزهم عن مثل  
ما أتى به ويقرعهم ويؤنبهم عليه ويدرك آماله فيهم وينجح ما يسعى له بتركهم المعارضة وهو  
يذكر فيما يتلوه تعظيم شأنه وتقدير أمره حتى يتلو قوله تعالى قل انى اجتمع الانس والجن  
على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله ينزل الملائكة  
بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان أنذروا انه لا اله الا أنا فاتقون وقوله ولقد  
آتيناك سبع اماناتى والثاني والقرآن العظيم وقوله انما نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون وقوله  
وانه لذكر لك ولقومك وسوف نسألون وقوله هدى للثقلين وقوله الله نزل أحسن الحديث  
كتبا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر  
الله الى غير ذلك من الآيات التى تتضمن تعظيم شأن القرآن فيها ما يتكرر فى السورة فى  
مواضع منها ومنها ما ينفرد فيها وذلك مما يدعوهم الى المباراة ويحضهم على المعارضة  
وان لم يكن متحديا اليه ألا ترى انهم قد كانوا ينافر شعراؤهم بعضهم بعضا ولهم فى ذلك  
مواقف معروفة وأخبار مشهورة وأيام منقولة وكانوا يتنافسون على الفصاحة  
والخطابة والذلافة ويتجبحون بذلك ويتفاخرون بينهم فلن يجوز والحالة هذه ان يتغافلوا  
عن معارضته لو كانوا قادرين عليها تحتهاهم اليها أولم تحتهم ولو كان هذا القبيل مما يقدر  
عليه البشر لوجب فى ذلك أمر آخر وهو انه لو كان مقدورا للعباد لكان قد اتفق الى  
وقت مبعثه من هذا القبيل ما كان يمكنهم ان يعارضوه وكانوا لا يفتقرون الى تكاف

وضعه وتعمل نظمه في الحال فلما لم نرهم احتجوا عليه بكلام سابق وخطبة متقدمة ورسالة سالفة وتظم بديع ولا عارضوه به فقالوا هذا افصح مما جئت به وأعرب منه وأهو مثله علم انه لم يكن الى ذلك سبيل وانه لم يوجد له نظير ولو كان وجد له مثل لكان ينقل اليه ولعرفناه كما نقل اليه أشعار أهل الجاهلية وكلام الفصحاء والحكماء من العرب وأدى اليه كلام الكهان وأهل الرجز والسجع والقصيد وغير ذلك من أنواع بلاغاتهم وصنوف فصاحتهم فان قيل الذي بنى عليه الامر في تثبيت مجزة القرآن انه وقع التحدى الى الاتيان بمثله وانهم عجزوا عنه بعد التحدي اليه فاذا نظر الناظر وعرف وجه النقل المتواتر في هذا الباب وجب له العلم بأنهم كانوا عاجزين عنه وما ذكرتم بوجوب سقوط تأثير التحدي وان ما أتى به قد عرف العجز عنه بكل حال قيل انما احتج الى التحدي لا إقامة الحجة واطهار وجه البرهان لان المجزة اذا ظهرت فائتكون حجة بان يدعيها من ظهرت عليه ولا تظهر على مدع لها الا وهي معلومة انها من عند الله فاذا كان يظهر وجه الإعجاز فيها للكافة بالتحدي وجب فيها التحدي لانه نزول بذلك الشبهة عن الكل وينكشف للجميع ان العجز واقع عن المعارضة والا فان مقتضى ما قدمناه من الفصل أن من كان يعرف وجوه الخطاب ويتقن مصارف الكلام وكان كاملا في فصاحته جامعا للعرفة بوجوه الصناعة لو انه احتج عليه بالقرآن وقيل له ان الدلالة على النبوة والآية على الرسالة ما أتوه عليك منه لكان ذلك بلاغا في ايجاب الحجة وتما في الزامه فرض المصير اليه وبما يؤكد هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الآحاد الى الاسلام محتجا عليهم بالقرآن لانا نعلم انه لم يلزمهم تصديقه تقليدا ونعلم ان السابقين الاولين الى الاسلام لم يقلدوه وانما دخلوا على بصيرة ولم تعلمه قال لهم ارجعوا الى جميع الفصحاء فان عجزوا عن الاتيان بمثله فقد ثبتت حجتى بل لما رآهم يعلمون اعجازه ألزمهم حكمه فقبولوه وتابعوا الحق وبادروا اليه مستسلمين ولم يشكوا في صدقه ولم يربوا في وجه دلالته فن كانت بصيرته أقوى ومعرفة أبلغ كان الى القبول منه أسبق ومن اشتبه عليه وجه الإعجاز واشتبه عليه بعض شروط المعجزات وأدلة النبوات كان أبطل الى القبول حتى تكاملت أسبابه واجتمعت له بصيرته وترادفت عليه مواده وهذا فصل يجب ان يتم القول فيه بعد فليس هذا بموضع له وبين ما قلناه ان هذه الآية علم يلزم الكل قبوله والانقياد له وقد علمنا تفاوت الناس في ادراكه ومعرفة وجه دلالته لان الاجمعي لا يعلم انه معجز الا بأن يعلم عجز العرب عنه وهو يحتاج في معرفة ذلك الى أمور لا يحتاج اليها من كان من أهل صنعة الفصاحة فاذا عرف عجز أهل الصنعة حل محالهم وجرى مجراهم في توجه الحجة عليه وكذلك لا يعرف

المتوسط من أهل اللسان من هذا الشأن ما يعرفه العال في هذه الصنعة فربما حل في ذلك محل الاعجمي في أن لا يتوجه عليه الحجة حتى يعرف عجز المنتهى في الصنعة عنه وكذلك لا يعرف المنتهى في معرفة الشعر وحده أو الغاية في معرفة الخطيب أو الرسائل وحدهما غور هذا الشأن ما يعرف من استكمال معرفة جميع تصاريح الخطاب ووجوه الكلام وطرق البراعة فلا تكون الحجة قائمة على المختص ببعض هذه العلوم بانفرادها دون تحققه بعجز البارع في هذه العلوم كلها عنه فأما من كان متناهيًا في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها اظهار الفصاحة فهو متى سمع القرآن عرف اعجازه وان لم نقل ذلك أدى هذا القول الى ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف اعجاز القرآن حين أوحى اليه حتى سبر الحال بعجز أهل اللسان عنه وهذا خطأ من القول فصح من هذا الوجه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين أوحى اليه القرآن عرف كونه معجزًا وبأن قيل له انه دلالة وعلم على نبوتك انه كذلك من قبل ان يقرأه على غيره أو يتحدث اليه سواء ولذلك قلنا ان المنتهى في الفصاحة والعلم بالاساليب التي يقع فيها التفاسيح متى سمع القرآن عرف انه معجز لانه يعرف من حال نفسه انه لا يقدر عليه ويعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه فيعلم ان عجز غيره كعجزه هو وان كان يحتاج بعد هذا الى استدلال آخر على انه علم على نبوة ودلالة على رسالة بأن يقال له ان هذه آية تنبيه وانما ظهرت عليه وادعاها معجزته وبرهانًا على صدقه فان قيل فان من الفخفاء من يعلم عجز نفسه عن قول الشعر ولا يعلم مع ذلك عجز غيره عنه فكذلك البليغ وان علم عجز نفسه عن مثل القرآن فهو قد يخفى عليه عجز غيره قيل هو مع مستقر العادة وان عجز عن قول الشعر وعلم انه معجز فانه يعلم ان الناس لا ينفكون من وجود الشعراء فيهم ومتى علم البليغ المنتهى في صنوف البلاغات عجزه عن القرآن علم عجز غيره لانه كهو لانه يعلم ان حاله وحال غيره في هذا الباب سواء اذ ليس في العادة مثل للقرآن يجوز أو يعلم قدرة أحد من البلغاء عليه فاذا لم يكن لذلك مثل في العادة وعرف هذا المناظر جميع أساليب الكلام وأنواع الخطاب ووجد القرآن مبينا لها علم خروجه عن العادة وجرى مجرى ما يعلم ان اخراج اليد البيضاء من الجيب خارج عن العادات فهو لا يجوز من نفسه وكذلك لا يجوز وقوعه من غيره الاعلى وجهه نقض العادة بل يرى وقوعه موقع المعجزة وهذا وان كان يفارق فليق البحر واخراج اليد البيضاء ونحو ذلك من وجهه وهو انه يستوى الناس في معرفة عجزهم عنه فكونه ناقضا للعادة من غير تأمل شديد ولا نظر بعيد فان النظر في معرفة اعجاز القرآن يحتاج الى تأمل ويقتصر الى مراعاة مقدمات والكشف عن أمور نحن ذاكروها بعد هذا الموضع فكل

واحد منها يؤل الى مثل حكم صاحبه في الجمع الذي قدمنا ومما بين ما قلناه من ان البليغ  
 المتناهي في وجوه الفصاحة يعرف اعجاز القرآن وتكون معرفته حجة عليه اذا تخدى  
 ليه وعجز عن مثله وان لم ينتظر وقوع التخدي في غيره وما الذي يصنع ذلك الغير وهو  
 ما روى في الحديث ان جبير بن مطعم ورد على النبي صلى الله عليه وسلم في معنى حليف  
 له اراد ان يفاديه فدخل والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة والطور وكتاب مسطور  
 في صلاة الفجر قال فلما انتهى الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع قال خشيت ان  
 يدركني العذاب فاسلم وفي حديث آخر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع سورة طه  
 فاسلم وقد روى ان قوله عز وجل في أول حم السجدة الى قوله فأعرض أكثرهم فهم  
 لا يسمعون نزلت في شعبة وعتبة ابني ربيعة وأبي سفيان بن حرب وأبي جهل وذكر انهم  
 بعثوا هم وغيرهم من وجوه قریش بعثته بن ربيعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ليكلّمه  
 وكان حسن الحديث عجيب الشأن بليغ الكلام وأرادوا ان يأتيهم بما عنده فقرأ النبي  
 صلى الله عليه وسلم سورة حم السجدة من أولها حتى انتهى الى قوله فان أعرضوا فقل  
 أنذرناكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوثب مخافة العذاب فاستهكوه ما سمع فذكر  
 انه لم يسمع منه كلمة واحدة ولا اهتدى لجوابه ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم يخف عليه  
 رجه الاحتجاج والرد فقال له عثمان بن مظعون لتعلموا انه من عند الله اذ لم يهتد لجوابه  
 رأيين من ذلك قول الله عز وجل وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام  
 الله ثم أبلغه مأمنه فجعل سماعه حجة عليه بنفسه فدل على ان فهم من يكون سماعه اياه  
 حجة عليه فان قيل لو كان على ما قلتم لوجب ان يكون حال الفصحاء الذين كانوا في عصر  
 النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة واحدة في اسلامهم عند سماعه قيل لا يجب ذلك لان  
 صوارفهم كانت كثيرة منها انهم كانوا يشكون منهم من يشك في اثبات الصانع وفهم  
 من يشك في التوحيد وفهم من يشك في النبوة ألا ترى ان أبا سفيان بن حرب لما جاء الى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم عام الفتح قال له النبي عليه السلام أما أن لك ان تشهد  
 ان لا اله الا الله قال بلى فشهد قال أما أن لك ان تشهد اني رسول الله قال أما هذه ففي  
 انفس منها شئ فكانت وجوه شكوكهم مختلفة وطرق شبههم متباينة فهم من قلت شبهه  
 تأمل الحجة حتى تأملها ولم يستكبر فاسلم ومنهم من كثرت شبهه وأعرض عن  
 أهل الحجة حتى تأملها أو لم يكن في البلاغة على حدود النهاية فقطاول عليه الزمان الى ان  
 طر واستبصر وراعى واعتبر واحتاج الى ان يتأمل عجز غيره عن الاتيان بمثله فلذلك  
 قف أمره ولو كانوا في الفصاحة على مرتبة واحدة وكانت صوارفهم وأسبابهم متفقة

لتوافقوا الى القبول جملة واحدة فان قيل فكيف يعرف البليغ الذي وصفتموه اعجاز القرآن وما الوجه الذي يتطرق به اليه والمنهاج الذي يسلكه حتى يقف به على جملة الامر فيه قيل هذا سبيله ان يفرد له فصل فان قيل فلم زعمتم ان البلغاء عاجزون عن الاتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف البلاغات وتصرفهم في أجناس الفصاحات وهلا قلتم ان من قدر على جميع هذه الوجوه البديعة وتوجه من هذه الطرق الغربية كان على مثل نظم القرآن قادرا وانما يصرفه الله عنه ضربا من الصرف أو يمنع من الاتيان بمثله ضربا من المنع أو تقصر دواعيه ودونه مع قدرته عليه ليتكامل ما أراد الله من الدلالة ويحصل ما قصده من ايجاب اللمحة لان من قدر على نظم كلمتين بديعتين لم يعجز عن نظم مثلهما واذا قدر على ذلك قدر على ضم الثانية الى الاولى وكذلك الثالثة حتى يتكامل قدرا لآية والسورة فالجواب انه لو صح ذلك صح لكل من أمكنه نظم ربع بيت أو مصراع من بيت ان ينظم القصائد ويقول الاشعار وصح لكل ناطق قد يتفق في كلامه الكلمة البديعة نظم الخطب البليغة والرسائل العجيبة ومعلوم ان ذلك غير سائغ ولا يمكن على ان ذلك لو لم يكن معجزا على ما وصفناه من جهة نظمه الممنوع لكان مهما حط من رتبة البلاغة فيه ووضع من مقدار الفصاحة في نظمه أبلغ في الاعجوبة اذا صرفوا عن الاتيان بمثله ومنعوا عن معارضته وعدلت دواعيهم عنه فكان يستغنى عن انزاله على النظم البديع واخراجه في المعرض الفصيح العجيب على انه لو كانوا صرفوا على ما ادعاه لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف لانهم لم يتعدوا اليه ولم يلزمهم حجة فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم ان ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان وفيه معنى آخر وهو ان أهل الصنعة في هذا الشأن اذا سمعوا كلاما مطمعا لم يخف عليهم ولم يشتبه لديهم ومن كان متناهيا في فصاحته لم يجز ان يطمع في مثل هذا القرآن بحال فان قال صاحب السؤال انه قد يطمع في ذلك قيل له أنت تريد على هذا فتزعم ان كلام الآدمي قد يضارع القرآن وقد يزيد عليه في الفصاحة ولا يتحاشاه وبحسب أن ما ألفه في الجزء والظفرة هو أبداع وأغرب من القرآن لفظا ومعنى ولكن ليس الكلام على ما يقتدره مقدر في نفسه وبحسبه طان من أمره والمرجوع في هذا الى جملة الفصحاء دون الآحاد ونحن نبين بعد هذا وجه امتناعه عن الفصح البليغ ونميزه في ذلك عن سائر أجناس الخطاب ليعلم ان ما يقتدره من مساواة كلام الناس به تقدير ظاهر الخطأ بين الغلط وان هذا التقدير من جنس من حكى الله تعالى قوله في محكم كتابه انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر



واستكبر فقال ان هذا الاسعر يؤثر ان هذا الا قول البشر فهم يعبرون عن دعواهم انهم يمكنهم ان يقولوا مثله بأن ذلك من قول البشر لان ما كان من قولهم فليس يقع فيه التفاضل الى الحد الذي يتجاوز امكان معارضته ومما يبطل ما ذكره من القول بالصرفه انه لو كانت المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرفه لم يكن الكلام معجزا وانما يكون المنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه وليس هذا بأعجب مما ذهب اليه فريق منهم ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به ولا بأعجب من قول فريق منهم انه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب وانه يصح من كل واحد منهما الاعجاز على حد واحد فان قيل فهل تقولون بان غير القرآن من كلام الله عز وجل معجز كالنوراة والانجيل والصحف قيل ليس شئ من ذلك معجز في النظم والتأليف وان كان معجزا كالقرآن فيما يتضمن من الاخبار بالغيوب وانما لم يكن معجزا لان الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ولانا قد علمنا انه لم يقع التصدي اليه كما وقع التصدي الى القرآن ولعنى آخر وهو ان ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهى الى حد الاعجاز ولكنه يتقارب وقد رأيت أصحابنا يذكرون هذا في سائر اللسنة ويقولون ليس يقع فيها من التفاوت ما يتضمن التقديم العجيب ويمكن بيان ذلك بأننا لانجد في القدر الذي نعرفه من اللسنة للشئ الواحد من الاسماء ما نعرف من اللغة وكذلك لانعرف فيها الكلمة الواحدة تتناول المعاني الكثيرة على ما تتناوله العربية وكذلك التصرف في الاستعارات والاشارات ووجوه الاستعمالات البديعة التي يجيء تفصيلها بعد هذا ويشهد لذلك من القرآن ان الله تعالى وصفه بأنه بلسان عربي مبين وكرر ذلك في مواضع كثيرة وبين انه رفعه عن ان يجعله أعجميا فلو كان يمكن في لسان العجم ايراد مثل فصاحته لم يكن ليرفعه عن هذه المنزلة وانه وان كان يمكن ان يكون من فائدة قوله انه عربي مبين انه مما يفهمونه ولا يقتضون فيه الى الرجوع الى غيرهم ولا يحتاجون في تفسيره الى من سواهم فلا يتمتع ان يفيد ما قلنا أيضا كما أفاد بظاهرة ما قدمناه وبين ذلك ان كثيرا من المسلمين قد عرفوا تلك اللسنة وهم من أهل البراعة فيها وفي العربية فقد وفقوا على انه ليس يقع فيها من التفاضل والفصاحة ما يقع في العربية ومعنى آخر وهو اننا لم نجد أهل التوراة والانجيل ادعوا الاعجاز لكتابهم ولا ادعى لهم المسلمون فعلم ان الاعجاز مما يختص به القرآن وبين هذا ان الشعر لا يتأتى في تلك اللسنة على ما قد اتفق في العربية وان كان قد يتفق منها صنف أو أصناف ضيقة لم يتفق فيها من البديع ما يمكن ويتأتى في العربية وكذلك لا يتأتى في الفارسية جميع

الوجوه التي يتبين فيها الفصاحة على ما يتأتى في العربية فان قيل فان المجوس تزعم ان كتاب زرادشت وكتاب ماني معجزان قيل الذي يتضمنه كتاب ماني من طريق الذيرنجيات وضروب من الشعوذة ليس يقع فيها اعجاز ويزعمون ان في الكتاب الحكم وهي حكم منقولة متداولة على اللسان لا يختص بها أمة دون أمة وان كان بعضهم أكثر اهتماما بها وتحصيلا لها وجعلها لبوابها وقد ادعى قوم ان ابن المقفع عارض القرآن وانما فزعوا الى الدرّة اليتيمة وهما كتابان أحدهما يتضمن حكما منقولة توجد عند حكماء كل أمة مذكورة بالفضل فليس فيها شيء بديع من لفظ ولا معنى والاخر في شيء من الديانات وقد نهوس فيه بما لا يخفى على متأمل وكتابه الذي بيناه في الحكم منسوخ من كتاب بزرجمهر في الحكمة فأى صنع له في ذلك وأى فضيلة حازها فيما جاء به وبعد فليس يوجد له كتاب يدعى مدع انه عارض فيه القرآن بل يزعمون انه اشتغل بذلك مدة ثم مرق ما جمع واستحيا لنفسه من اظهاره فان كان كذلك فقد أصاب وأبصر القصد ولا يمنع ان يشبهه عليه الحال في الابتداء ثم يلوح له رشده ويتبين له أمره وينكشف له عجزه ولو كان بقي على اشتباه الحال عليه لم يخف علينا موضع غفلته ولم يشبهه لذيها وجه شبهته ومتى أمكن ان ندعى الفرس في شيء من كتبهم انه معجز في حسن تأليفه وبغيب نظمته

### فصل في جملة وجوه اعجاز القرآن

ذكر اصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة اوجه من الاعجاز • أحدها يتضمن الاخبار عن الغيوب وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سميل لهم اليه فن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام انه سيظهر دينه على الاديان بقوله عز وجل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ففعل ذلك وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله من اظهار دينه ليثقوا بالنصر ويستيقنوا بالنجح وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يفعل كذلك في أيامه حتى وقف أصحاب جيوشه عليه فكان سعد بن أبي وقاص رجه الله وغيزه من أمراء الجيوش من جهته بذلك لاصحابه وبحرضهم به ويوثق لهم وكانوا يلقون الطفر في موجهاتهم حتى فتح الى آخر أيام عمر رضى الله عنه الى بلخ وبلاد الهند وفتح في أيامه مرو والشاهجان ومرو الروذ ومنعهم من العبور فيجئون وكذلك فتح في أيامه فارس الى اصفخر وكرمان ومكران وسجستان وجميع ما كان من مملكة كسرى وكل ما كان ملكه ملوك الفرس بين البحرين من الفرات الى جيهون وأزال ملك

ملوك الفرس فلم يعد الى اليوم ولا يعود ابدا ان شاء الله تعالى ثم الى حدود ارمينية والى باب الابواب وفتح ايضا ناحية الشام والاردن وفلسطين وفسطاط مصر وأزال ملك قيصر عنها وذلك من الفرات الى بحر مصر وهو ملك قيصر وغزت الخيول في أيامه الى عمورية فأخذ الضواحي كلها ولم يبق دونها الا ما حزدونه بحر أو حال عنه جبل منيع أو أرض خشنة أو بادية غير مسلوكة وقال الله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد فصديق فيه وقال في أهل بدر واذ بعدكم الله اجدى الطائفتين أنها لكم ووفى لهم عا وعد وجميع الآيات التي يتضمنها القرآن من الاخبار عن الغيوب بكثير جدا وانما أردنا أن نبه البعض على السكل والوجه الثاني انه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان أميا لا يكتب ولا يحسن ان يقرأ وكذلك كان معروفا من حاله انه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأطاصيصهم وأنبأهم وسيبرهم ثم أتى بحملة ما وقع وحدث من عظيمات الامور ومهمات السيرة من حين خلق الله آدم عليه السلام الى حين مبعته فذكر في الكتاب الذي جاء به مجهزة له قصة آدم عليه السلام وابتداء خلقه وما صار اليه أمره من الخروج من الجنة ثم جلا من أمر ولده وأحواله وتوابعه ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان بينه وبين قومه وما انتهى اليه أمره وكذلك أمر ابراهيم عليه السلام الى ذكر سائر الانبياء المذكورين في القرآن والملوك والفراعنة الذين كانوا في أيام الانبياء صلوات الله عليهم ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل اليه الا عن تعلم واذا كان معروفا انه لم يكن ملابسلا أهل الآثار وجملة الاخبار ولا مترددا الى التعلم منهم ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع اليه كتاب فباخذ منه علم أنه لا يصل الى علم ذلك الا بتأييد من جهة الوحي ولذلك قال عز وجل وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبتلون وقال وكذلك نفصل الآيات وليقولوا درست وقد بينا ان من كان يختلف الى تعلم علم ويستغل بملابسة أهل صنعة لم يخف على الناس أمره ولم يختلف عندهم مذهبه وقد كان يعرف فهم من يحسن هذا العلم وان كان نادرا وكذلك كان يعرف من يختلف اليه للتعليم وليس يخفى في العرف عالم كل صنعة ومتعلمها فلو كان منهم لم يخف أمره والوجه الثالث انه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة الى الحد الذي يعلم بحج الخلق عنه والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ونكشف الجملة التي أطلقوها فالذي يشتمل عليه بديع نظم المتضمن للعجاز وجوه منها ما يرجع الى الجملة وذلك ان نظم القرآن على تصرف وجوه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم

ومباين للألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به ويميز في نصرفه عن أساليب  
الكلام المعتاد وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم الى  
أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ثم الى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ثم الى  
أصناف الكلام المعدل المسجع ثم الى معدل موزون غير مسجع ثم الى ما يرسل ارسالا  
فتطلب فيه الاصابة والافادة وافهام المعاني المعترضة على وجه بديع وترتيب لطيف وان لم  
يكن معتدلا في وزنه وذلك شبيهة بجملة الكلام الذي لا يتجمل ولا يتصنع له وقد علمنا ان  
القرآن خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق ويبقى علينا أن نبين أنه ليس من باب  
السجع ولا فيه شئ منه وكذلك ليس من قبيل الشعر لان من الناس من زعم أنه كلام  
مسجع ومنهم من يدعى ان فيه شعرا كثيرا والكلام عليهم يذكر بعده هذا الموضع فهذا اذا  
تأمل المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم أنه خارج عن العادة  
وأنه معجز وهذه خصوصية ترجع الى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه ومنها أنه ليس للعرب  
كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد  
الغزيرة والحكم الكثيرة والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى  
هذا القدر وانما تنسب الى حكمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة والى شاعرهم قصائد  
محصورة يقع فيها ما يبينه بعد هذا من الاختلال ويعترضها ما نكشفه من الاختلاف ويقع  
فيها ما تبديه من التجمل والتكلف والتعجز والتعسف وقد حصل القرآن على كثرة وطوله  
متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به فقال عز من قائل الله نزل أحسن الحديث  
كتابا متشابها مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر  
الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فأخبر أن كلام الأدي ان امتد  
وقع فيه التفاوت وبأن عليه الاختلال وهذا المعنى هو غير المعنى الاول الذي بدأنا به كره  
فتأمله تعرف الفضل وفي ذلك معنى ثالث وهو أن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا  
يتباين على ما يتصرف اليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج  
وحكم وأحكام واعداد وانذار ووعود وعيد وتبشير وتخويف وأوصاف وتعليم أخلاق  
كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها ونجد كلام البليغ  
الكامل والشاعر المطلق والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الامور فن  
الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ومنهم من  
يسبق في التقريظ دون التايبين ومنهم من يجود في التايبين دون التقريظ ومنهم من يغرب  
في وصف الابل أو الخيل أو سير الليل أو وصف الحرب أو وصف الروض أو وصف

الجرأ والغزل أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام ولذلك ضرب المثل  
 بأمرئ القيس إذا ركب والتابغة إذا رهب وبزهر إذا رغب ومثل ذلك يختلف في  
 الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام ومتى تأملت شعر الشعراء البليغ رأيت  
 التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها فيأتى بالغاية في البراعة في معنى  
 فإذا جاء إلى غيره قصر عنه ووقف دونه وبأن الاختلاف على شعره ولذلك ضرب المثل بالذين  
 سميتهم لأنه لا خلاف في تقدمهم في صنعة الشعر ولا شك في تبريزهم في مذهب النظم فإذا  
 كان الاختلال بينا في شعرهم لا اختلاف ما يتصرفون فيه واستغنينا عن ذكر من هودونهم  
 وكذلك يستغنى به عن تفصيل نحو هذا في الخطب والرسائل ونحوها نعم نجد في الشعراء من  
 يجود في الرجز ولا يمكنه نظم القصيدة أصلاً ومنهم من ينظم القصيدة ولكن يقصر فيه مهما  
 تكلفه أو عمله ومن الناس من يجود في الكلام المرسل فإذا أتى بالموزون قصر ونقص  
 نقصاً عجيباً ومنهم من يوجد بضد ذلك وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف  
 فيه من الوجوه التي قلنا مذاكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف  
 لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المتزلة العليا ولا إسفال فيه إلى الرتبة الدنيا وكذلك قد  
 تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا العجز في  
 جميعها على حد واحد لا يختلف وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة  
 الواحدة فرأينا غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة  
 فعلنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر لأن الذي يقدر على عليه قد بينا فيه التفاوت  
 الكثير عند التكرار وعند تبين الوجوه واختلاف الأسباب التي يتضمن ●  
 ومعنى رابع وهو أن كلام الفحهاء يتفاوت تفاوتاً بينا في الفصل والوصل والعلق  
 والنزول والتقريب والتباعد وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ويتصرف فيه  
 القول عند انضمام الجمع ألا ترى أن كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل  
 من معنى إلى غيره والخروج من باب إلى سواه حتى أن أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير  
 البهترى مع جودة نظمه وحسن وصفه في الخروج من النسيب إلى المديح وأطبقوا على أنه  
 لا يحسنه ولا يأتي فيه بشئ وإنما اتفق له في مواضع معدودة خروج يرتضى وتثقل يستحسن  
 وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شئ إلى شئ والقول من باب إلى باب ونحن  
 نقص بعد هذا ونفسر هذه الجملة ونبين على أن القرآن على اختلاف ما يتصرف فيه من  
 الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب والمتنافر  
 في الأفراد إلى حد الآحاد وهذا أمر عجيب تبين فيه الفصاحة وتظهر به البلاغة ويخرج

به الكلام عن حد العادة ويتجاوز العرف \* ومعنى خامس وهو أن نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الانس والجن فهم يحزنون عن الاتيان بمثله كحزننا ويقصرون دونه كقصورنا. وقد قال الله عز وجل " قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " فان قيل هذه دعوى منكم وذلك أنه لا سبيل لنا الى أن نعلم عجز الجن عن مثله وقد يجوز أن يكونوا قادرين على الاتيان بمثله وان كما عجزين كما أنهم قد يقدرون على أمور لطيفة وأسباب غامضة دقيقة لا نقدر نحن عليها ولا سبيل لنا للطفها اليها واذا كان كذلك ليكن الى علم ما دعيتم سبيل قيل قد يمكن أن نعرف ذلك بخبر الله عز وجل " وقد يمكن أن يقال ان هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن وما يروون لهم من الشعر ويحكمون عنهم من الكلام وقد علمنا أن ذلك محفوظ عندهم منقول عنهم والقدر الذي نقلوه قد تأملناه فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الانس ولعله يقصر عنها ولا يتسع ان يسمع الناس كلامهم ويقع بينهم وبينهم محاورات في عهد الانبياء صلوات الله عليهم وذلك الزمان مما لا يتسع فيه وجود ما ينقض العادات على أن القوم الى الآن يعتقدون مخاطبة الغيلان ولهم أشعار محفوظة مروية في دواوينهم قال تأبط شرا

وأدهم قد حبت جلبابه \* كما احتابت الكاعب الخيعلا  
الى ان حـد الصبح اثاءه \* ومزق جلبابه الاليـلا  
على شيم نار تنورتها \* فبت لها مدبرا مقبـلا  
فأصبحت والغول لي جارة \* فياجارتا أنت ما أهـولا  
وطالبتها بضعتها فالتوت \* بوجه تهول واسـتعولا  
فن سال أين ثوت جارتى \* فان لها بالوى مـنزلا  
وكنت اذا ما هممت اعترتهـت وأحراذا قت أن أفعلا  
(وقال آخر) عشوا نارى فقلت منون أنتم \* فقالوا الجن قلت عموا ظلما  
فجئت الى الطعام فقال منهم \* زعيم يحسد الانس الطعاما  
ويذكرون لامرئ القيس قصيدة مع عمر والجن وأشعارا لهما كرهنا ذكرها الطولها  
وقال عبيد بن أيوب

فلة در الغول أى رفيقة \* لصاحب قفسر خائف متقفر  
أرنت لجن بعد لحن وأوقدت \* حوالى نيرانا تبوخ وتزهر  
وقال ذو الرمة بعد قوله

قد أعسف النازح المجهول معسفه \* في ظل أخضر يدعو هامة البوم  
للجن بالليل في حافاتها زجل \* كما تتأوح يوم الريح عيشوم  
دوية ودجا ليل كانهما \* يَم تراطن في حافاته الروم  
(وقال أيضا)

وكم عرست بعد النوى من معرس \* لها من كلام الجن أصوات سامي  
(وقال) ورمل عزيف الجن في عقباته \* هزير كتضراب المغنين بالطبيل  
وإذا كان القوم يعتقدون كلام الجن ومخاطباتهم ويحكون عنهم وذلك القادر المحكي  
لا يزدأمره على فصاحة العرب صح ما وصف عندهم من عجزهم عنه كعجز الانس وبين  
ذلك من القرآن أن الله تعالى حكى عن الجن ما تفاوضوا فيه من القرآن فقال واذا صرفنا  
اليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروا قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم  
منذرين إلى آخر ما حكى عنهم فيما يتلوه فإذا ثبت أنه وصف كلامهم ووافق ما يعتقدونه  
من نقل خطابهم صح أن يوصف الشيء المألوف بأنه يخط عن درجة القرآن في الفصاحة  
وهذان الجوابان أسد عندي من جواب بعض المتكلمين عنه بأن عجز الانس عن القرآن  
يثبت له حكم الإعجاز فلا يعتبر غيره ألا ترى أنه لو عرفنا من طريق المشاهدة عجز الجن  
عنه فقال لنا قائل فدلوا على أن الملائكة تعجز عن الاتيان بمثله لم يكن لنا في الجواب غير هذه  
الطريقة التي قد بيناها وانما ضعفنا هذا الجواب لأن الذي حكى وذكر عجز الجن والانس  
عن الاتيان بمثله فيجب أن نعلم عجز الجن عنه كما علمنا عجز الانس عنه ولو كان وصف عجز  
الملائكة عنه لوجب أن نعرف ذلك أيضا بطريقه فان قيل أنتم قد انتهيت إلى ذكر الإعجاز  
في التفاصيل وهذا الفصل انما يدل على الإعجاز في الجملة قبل هذا كما أنه يدل على الجملة فانه  
يدل على التفصيل أيضا فصح أن يلحق هذا القبيل كما كان يصح أن يلحق بباب الجمل \*  
ومعنى سادس وهو أن الذي ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصار والجمع والتفريق  
والاستعارة والتصريح والتجوز والتحقيق ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم  
موجود في القرآن وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتادينهم في الفصاحة والابداع  
والبلاغة وقد ضمننا بيان ذلك بعد لأن الوجه هنا ذكر المقدمات دون البسط  
والتفصيل \* ومعنى سابع وهو أن المعاني التي تتضمن في أصل وضع الشريعة والاحكام  
والاحتجاجات في أصل الدين والرد على الملحدين على تلك الالفاظ البديعة وموافقة بعضها  
بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمنع ذلك أنه قد علم أن تخير الالفاظ للمعاني  
المتداولة المألوفة والاسباب الدائرة بين الناس أسهل وأقرب من تخير الالفاظ لمعان

مبتكرة وأسباب مؤسسة مستعدنة فلو أبرع اللفظ في المعنى البارع كان أطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر والامر المتكرر المنصور ثم ان انضاف الى ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تأييد ما يبتدأ تأسيسه ويراد تحقيقه بان التفاضل في البراعة والفصاحة ثم اذا وجدت الالفاظ وفق المعنى والمعاني وفقها لا يفضل أحدهما على الآخر فالبراعة أظهر والفصاحة أتم ومعنى ثامن وهو ان الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في نضعيف كلام أو نقد ما بين شعر فتأخذه الاسماع وتشوق اليه النفوس ويرى وجهه ونقه باديا عامرا سائر ما يقرن به كالذرة التي ترى في سلك من خرز وكالباقوت في واسطة العقد وأنت ترى الكلمة من القرآن يقبل بها في نضعيف كلام كثير وهي غرة جميعه وواسطة عقده والمنادى على نفسه بتميزه وتخصصه برنقه وجاله واعتراضه في جنسه ومائه وهذا الفصل أيضا مما يحتاج فيه الى تفصيل وشرح ونص ليحقق ما ادعينا منه ولولا هذه الوجوه التي بينها لم يغير فيه أهل الفصاحة وكانوا يفرغون الى العمل للقابلة والتصنع للمعارضة وكانوا ينظرون في أمرهم ويراجعون أنفسهم أو كان يراجع بعضهم بعضا في معارضته ويتوقفون لها فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك علم ان أهل المعرفة منهم بالصنعة انما عدلوا عن هذه الامور لعلمهم بعجزهم عنه وقصور فصاحتهم دونه ولا يتسع ان يلتبس على من لم يكن بارعا فيهم ولا متقدما في الفصاحة منهم هذه الحال حتى لا يعلم الا بعد نظر وتأمل وحتى يعرف حال عجزه الا انا رأينا اصناديدهم وأعيانهم ووجوههم سلما ولم يشتغلوا بذلك تحقيقا بظهور العجز وتبيناله وأما قوله تعالى حكاية عنهم قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا فقد يمكن ان يكونوا كاذبين فيما أخبروا به عن أنفسهم وقد يمكن ان يكون هذا الكلام انما خرج منهم وهو يدل على عجزهم ولذلك أو رده الله مورد تفرع بهم لانه لو كانوا على ما وصفوا به أنفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد الى الانجاز والضماني الى الوفاء فلما لم يستعملوا ذلك مع استمرار التحدى وتداول زمان الفسحة في اقامة الحجة عليهم بعجزهم عنه علم بعجزهم اذ لو كانوا قادرين على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط ومعلوم من حالهم وجميهم ان الواحد منهم يقول في الحشرات والهوام والحيات وفي وصف الازمة والانساع والامور التي لا يؤب لها ولا يحتاج اليها ويتنافسون في ذلك أشد التنافس ويتجهجون به أشد التبحر فكيف يجوز ان تمكنهم معارضته في هذه المعاني الفسيحة والعبارات النصيحة مع تضمن المعارضة تكذيبه والذب عن أديانهم القديمة واخراجهم أنفسهم من تسفيه رأيهم وتضليله اياهم والخلص من منازعته ثم من محاربتة ومقارعتة ثم لا يفعلون شيئا من ذلك وانما



يحيون أنفسهم على التعاليل وبعالونها بالباطيل \* ومعنى تاسع وهو ان الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهو أربعة عشر حرفا ليبدل بالذكور على غيره وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم والذي ينقسم اليه هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية وبنوا عليها وجوهها أقسام نحن ذاكرها \* فن ذلك أنهم قسموها الى حروف مهموسة وأخرى مجهورة فالمهموسة منها عشرة وهى الحاء والهـاء والخاء والكاف والشين والياء والفاء والتاء والصاد والسين وما سوى ذلك من الحروف فهى مجهورة وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء لازيادة ولا نقصان والمجهور معناه أنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت والمهموس كل حرف ضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس وذلك مما يحتاج الى معرفته لتبتي عليه أصول العربية وكذلك مما يقسمون اليه الحروف يقولون انها على ضربين أحدهما حروف الحلق وهى ستة أحرف العين والحاء والهمزة والهاء والخاء والغين والنصف من هذه الحروف مذكور في جملة الحروف التي تشتمل عليها الحروف المبنية في أوائل السور وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف الحلق وكذلك تنقسم هذه الحروف الى قسمين آخرين أحدهما حروف غير شديدة والى الحروف الشديدة وهى التي تمنع الصوت أن يجرى فيه وهى الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والذال والطاء والباء وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضا هى مذكورة في جملة تلك الحروف التي بنى عليها تلك السور ومن ذلك الحروف المطبقة وهى أربعة أحرف وما سواها منفتحة فالمطبقة الطاء والطاء والصاد والصاد وقد علمنا أن نصف هذه في جملة الحروف المبدوء بها في أوائل السور واذا كان القوم الذين قسموا في الحروف هذه الاقسام لا غرض لهم في ترتيب العربية وتزليلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ورأوا مباني اللسان على هذه الجهة وقد نبه بما ذكر في أوائل السور على ما لم يذكر على حد التنصيف الذى وصفنا دل على أن وقوعها الموضع الذى يقع التواضع عليه بعد العهد الطويل لا يجوز أن يقع الا من الله عز وجل لان ذلك يجرى مجرى علم الغيوب وان كان انما نبهوا على ما بنى عليه اللسان في أصله ولم يكن لهم في التقسيم ثنى وانما التأثير لمن وضع أصل اللسان فذلك أيضا من البديع

الذى يدل على ان أصل وضعه وقع موقع الحكمة التى يقصر عنها اللسان فان كان أصل اللغة توقيفا فالامر فى ذلك أبين وان كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضا لانه لا يصح أن تجتمع همهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى وكل ذلك يوجب اثبات الحكمة فى ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من وجه وقد يمكن ان نعاد فاتحة كل سورة لفائدة تخصها فى النظم اذا كانت حروفا كنعو الم لان الالف المبدوء بها هى أقصاها مطالعا واللام متوسطة والميم من طرفه لانها تأخذ فى الشفة فنبه بذكرها على غيرها من الحروف وبين انه اعلم انهم بكلام منظوم بما يتعارفون من الحروف التى ترد بين هذين الطرفين ويشبه أن يكون التنصيف وقع فى هذه الحروف دون الالف لان الالف قد تلغى وقد تقع الهزة وهى موقعا واحدا \* ومعنى عاشر وهو انه سهل سبيله فهو خارج عن الوحشى المستكره والغريب المستنكر وعن الصنعة المتكلفة وجعله قريبا الى الافهام يبادر معناه لفظه الى القلب ويسابق المغزى منه عبارته الى النفس وهو مع ذلك تمتنع المطلب عسير المتناول غير مطمع مع قرب به فى نفسه ولا موهوم مع دونه فى موقفه أن يقدر عليه أو يظفر به فأما الانحطاط عن هذه الرتبة الى رتبة الكلام المبذل والقول المسفسف فليس يصح ان تقع فيه فصاحة أو بلاغة فيطلب فيه التمتع أو يوضع فيه الإعجاز ولكن لو وضع فى وحشى \* مستكره أو غر بوجوه الصنعة وأطبق بأبواب التعسف والتكلف لكان لقاائل ان يقول فيه ويعتذر ويعيب ويقرع ولكنه أوضح مناره وقرب منهاجه وسهل سبيله وجعله فى ذلك متشابها متماثلا وبين مع ذلك إعجازهم فيه وقد علمت ان كلام فصحاانهم وشعر بلغائهم لا ينفك من تصرف فى غريب مستنكر أو وحشى \* مستكره ومعان مستبعدة ثم عدولهم الى كلام مبذل وضيع لا يوجد دونه فى الرتبة ثم تحوّلهم الى كلام معتدل بين الامر من متصرف بين المنزلتين فن شاء ان يتحقق هذا نظرى قصيدة امرئ القيس • قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل \* ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل ما يتصرف اليه هذه القصيدة ونظائر ها ومنزلتها من البلاغة ونذكر وجه فوت نظم القرآن محلها على وجه يؤخذ باليد ويتناول من كتب ويتصور فى النفس كتصور الاشكال لبيان ما ادعيناه من الفصاحة العجيبة للقرآن واعلم ان من قال من أصحابنا ان الاحكام معللة بعلم موافقة مقتضى العقل جعل هذا وجهان وجوه الإعجاز وجعل هذه الطريقة دلالة فيه كنهوا يعلمون به الصلاة ومعظم الفروض وأصولها ولهم فى كثير من تلك العلل طرق قريبة وجوه تستحسن وأصحابنا من أهل خراسان يولعون بذلك ولكن الأصل الذى يننون عليه عندنا غير مستقيم وفى ذلك كلام يأتي فى كتابنا فى الاصول وقد يمكن فى

تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة والافراد فاجعنا بين أمور وذكرنا المزية المتعلقة بها وكل واحد من تلك الأمور مما قد يمكن اعتماده في اظهار الاعجاز فيه فان قيل فهل تزعمون انه معجز لانه حكاية للكلام القديم سبحانه أولانه عبارة عنه أولانه قديم في نفسه قيل لسننا نقول بأن الحروف قديمة فكيف يصح التركيب على الفاسد ولا نقول أيضاً ان وجه الاعجاز في نظم القرآن أنه حكاية عن الكلام القديم لانه لو كان كذلك لكانت التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل معجزات في الفظم والتأليف وقد بينا أن اعجازها في غير ذلك وكذلك كان يجب ان تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومفردة وقد ثبت خلاف ذلك

### فصل في شرح ما بينا من وجوه اعجاز القرآن

فأما الفصل الذي بدأنا بذكره من الاخبار عن الغيوب والصدق والاصابة في ذلك كله فهو كقوله تعالى قل للخليقين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فأغزاهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما الى قتال العرب والفرس والروم وكقوله الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وراهن أبو بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك وصدق الله وعده وكقوله في قصة أهل بدر سهزم الجمع ويولون الدبر وكقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لتخافون وكقوله واذ بعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم في قصة أهل بدر وكقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا وصدق الله تعالى وعده في كل ذلك وقال في قصة المخلفين عنه في غزوة بن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا فحق ذلك كله وصدق ولم يخرج من المخالفين الذين خوطبوا بذلك معه أحد وكقوله ليطهره على الدين كله وكقوله قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبنتل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فامتنعوا من المباهلة ولو أجابوا إليها اضطربت عليهم الاودية تاراعلى ما ذكر في الخبر وكقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ولو تمنوه لو وقع بهم فهذا وما أشبهه فصل • وأما الوجه الثاني الذي ذكرناه من اخباره عن قصص الاولين وسير المتقدمين فن العجيب الممتنع على من لم يقف على الاخبار ولم يشغل بدرس الآثار وقد حكى في القرآن تلك الامور حكاية

من شهدها وحضرها ولذلك قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لا رتاب المبطلون وقال وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك فين وجه دلالته من اخباره بهذه الامور الغائبة السالفة وقال تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا الآية فأما الكلام في الوجه الثالث وهو الذي بيناه من الاعجاز الواقع في النظم والتأليف والرصف فقد ذكرنا من هذا الوجه وجوها منها اننا قلنا انه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم ومباين لاساليب خطابهم ومن ادعى ذلك لم يكن له بد من ان يجمع انه ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى لان قوما من كفار قريش ادعوا انه شعر ومن المخدعة من يزعم ان فيه شعرا ومن اهل الملة من يقول انه كلام مسجع الا انه أفصح مما قد اعتادوه من أمجاعهم ومنهم من يدعى انه كلام موزون فلا يخرج بذلك عن أصناف ما يتعارفونه من الخطاب

### فصل في نفي الشعر من القرآن

قد علمنا ان الله تعالى نفي الشعر من القرآن ومن النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقال في ذم الشعراء والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر انهم في كل واد يهيمون الى آخر ما وصفهم به في هذه الآيات فقال وما هو بقول شاعر وهذا يدل على ان ما حكاها عن الكفار من قولهم انه شاعر وان هذا شعر لا بد من ان يكون محمولا على انهم نسبوه في القرآن الى ان الذي اتاهم به هو من قبيل الشعر الذي يتعارفونه على الاعاريض المحصورة المألوفة أو يكون محمولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكايتهم وأهل الفطنة منهم في وصفهم اياهم بالشعر لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرق لهم في المنطق وان كان ذلك الباب خارجا عما هو عند العرب شعر على الحقيقة أو يكون محمولا على انه أطلق من بعض الضعفاء منهم في معرفة أوزان الشعر وهذا أبعد الاحتمالات فان جل على الوجهين الاولين كان ما أطلقوه صحيحا وذلك ان الشاعر يظن لما لا يظن له غيره واذا قدر على صنعة الشعر كان على مادونه في رأيهم وعندهم أقدر فنسبوه الى ذلك لهذا السبب فان زعم زاعم انه قد وجد في القرآن شعرا كثيرا فن ذلك ما يزعمون انه بيت تام أو أبيات تامة ومنه ما يزعمون انه مصراع كقول القائل قد قلت لما حاولوا سلوتي \* ههنا ههنا لما توقعدون

وما يزعمون انه بيت قوله

وجفان كالجواب \* وقدور راسيات

قالوا هو من الرمل من البحر الذي قيل فيه

ساكن الريح نطو \* في المزن منخل العزالي

وكقوله من تزكى فاعما \* يتركي لنفسه

كقول الشاعر من بحر الخفيف

كل يوم بشمسه \* وغد مثل أمسه

وكقوله عز وجل

ومن يتق الله يجعل له مخرجا \* ويرزقه من حيث لا يحتسب

قالوا هو من المتقارب وكقوله

ودانية عليهم ظلالها \* وذلت قطوفها تذليلا

ويشبعون حركة الميم فيزعمون انه من الرجز وذكر عن أبي نواس انه ضمن ذلك شعرا وهو قوله

وقتيمة في مجلس وجوههم \* ربحانهم قد عدموا التشجيلا

دانية عليهم ظلالها \* وذلت قطوفها تذليلا

وقوله عز وجل

ويجزهم وينصرم عليهم \* ويشف صدور قوم مؤمنينا

زعموا انه من الوافر كقول الشاعر

لنا غم نسوقها غزار \* كأن قرون جلنبا عصي

وكقوله عز وجل

أرأيت الذي يكذب بالدين — فذلك الذي يدع اليتيم

ضمنه أبو نواس في شعره ففصل وقال فذاك الذي وشعره

وقرأ معلنا ليصدع قلبي \* والهوى يصدع الفؤاد السقبا

أرأيت الذي يكذب بالدين — فذاك الذي يدع اليتيما

وهذا من الخفيف كقول الشاعر

وفؤادي كعهده بسلمي \* بهوى لم يحل ولم يتغير

وكما ضمنه في شعره من قوله

سبحان من سخر هذا لنا \* حقا وما كآله مقرنين

فزا فيه حتى انتظم الشعر وكما يقولونه في قوله عز وجل والعاديات ضبا فالموريات قدحا

ونحو ذلك في القرآن كثير كقوله والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا وهو عندهم شعر من بحر البسيط والجواب عن هذه الدعوى التي ادعوها من وجوه •  
 أولها ان الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن لو كانوا يعتقدونه شعرا ولم يروه خارجا عن أساليب كلامهم لبادروا الى معارضته لان الشعر مسخر لهم سهل عليهم لهم فيه ما قد علمت من التصرف العجيب والاقدار اللطيف فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك ولا عولوا عليه علم انهم لم يعتقدوا فيه شيئا مما يقدره الضعفاء في الصنعة والمردون في هذا الشأن وان استدرأ من يحيى الآن على فصحاء قريش وشعراء العرب قاطبة في ذلك الزمان وبلغاتهم وخطبائهم وزعمه انه قد نظف بشعر في القرآن ذهب أولئك النفر عنه وخفي عليهم معشدة حاجاتهم الى الطعن في القرآن والغرض منه والتوصل الى تكذيبه بكل ما قدروا عليه فلن يجوز ان يخفى على أولئك وان يجهلوه ويعرفه من جاء الآن وهو بالجهل حقيق واذا كان كذلك علم ان الذي أجاب به العلماء عن هذا السؤال شديد وهو انهم قالوا ان البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا وأقل الشعر بيتان فصاعدا والى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الاسلام وقالوا أيضا ان ما كان على وزن بيتين الا انه يختلف رويهما ووافيهما ما فليس بشعر ثم منهم من قال ان الرجز ليس بشعرا أصلا لاسيما اذا كان مشطورا أو منهوكا وكذلك ما كان يقارنه في قلة الاجزاء وعلى هذا يسقط السؤال ثم يقولون ان الشعر انما يطلق متى قصد القاصد اليه على الطريق الذي يتعمد ويسلك ولا يصح ان يتفق مثله الا من الشعراء دون ما يستوى فيه العاى والجاهل والعالم بالشعر واللسان ونصرفه وما يتفق من كل واحد فليس يتكسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر لانه لو صح ان يسمى كل من اعترض في كلامه ألفاظ تنزن بوزن الشعر أو تنتظم انتظام بعض الاعاريض كان الناس كلهم شعراء لان كل متكلم لا ينفك من ان يعرض في جملة كلام كثير يقوله ما قد تنزن بوزن الشعر وينتظم انتظامه الا ترى ان العاى قد يقول لصاحبه أغلق الباب واتننى بالطعام ويقول الرجل لصاحبه اكرموا من لقيتم من تميم ومتى تتبع الانسان هذا عرف انه يكثر في تضاعيف الكلام مثله وأكثر منه وهذا القدر الذي يصح فيه التوارد ليس بعده أهل الصناعة سرقة اذ لم نعلم فيه حقيقة الاخذ كقول امرئ القيس وقوفها بصحبى على مطهم \* يقولون لانه لك أسى وتحمل

وكقول طرفة وقوفها بصحبى على مطهم \* يقولون لانه لك أسى وتجلد

ومثل هذا كثير فاذا صح مثل ذلك في بعض البيت ولم يمنع التوارد فيه فكذلك لا يمنع وقوعه في الكلام المنشور اتفاقا غير مقصود اليه فاذا اتفق لم يكن ذلك شعرا وكذلك يمنع

التوارد على بيتين وكذلك يتنوع في الكلام المنشور وقوع البيتين ونحوهما فثبت بهذا ان ما وقع هذا الموضع لم يعد شعرا وانما يعد شعرا ما اذا قصده صاحبه تأتي له ولم يتنوع عليه فاذا كان هو مع قصده لا يتأتى له وانما يعرض في كلامه عن غير قصد اليه لم يصح ان يقال انه شعر ولا ان صاحبه شاعر ولا يصح ان يقال ان هذا يوجب ان مثل هذا لو اتفق من شاعر فيجب ان يكون شعرا لانه لو قصده لمكان يتأتى منه وانما لم يصح ذلك لان ما ليس بشعر فلا يجوز ان يكون شعرا من أحد وما كان شعرا من أحد من الناس كان شعرا من كل أحد ألا ترى ان السوق قد يقول اسقني الماء يا غلام سريعا وقد يتفق ذلك من الساهي ومن لا يقصد النظم فأما الشعر اذا بلغ الحد الذي ينفذ فلا يصح ان يقع الامن فاصدا اليه فأما الرجز فانه يعرض في كلام العوام كثيرا فاذا كان بيتا واحدا فليس ذلك بشعر وقد قيل ان أقل ما يكون منه شعرا أربعة أبيات بعد ان يتفق قوافيها ولم يتفق ذلك في القرآن بحال فأما ما دون أربعة أبيات منه أو ما يجري مجراه في قلة الكلمات فليس بشعر وما اتفق في ذلك من القرآن مختلف الروي ويقولون انه متى اختلف الروي خرج من ان يكون شعرا وهذه الطرق التي سلكوها في الجواب معتمدة أو أكثرها ولو كان ذلك شعرا لكانت النفوس تتشوق الى معارضته لان طريق الشعر غير مستصعب على أهل الزمان الواحد وأهله يتقاربون فيه أو يضربون فيه بسهم فان قيل في القرآن كلام موزون كوزن الشعر وان كان غير مقفى بل هو مزاج متساوي الضروب وذلك آخر أقسام كلام العرب قيل من سبيل الموزون من كلام ان يتساوى أجزاءه في الطول والقصر والسواكن والحركات فان خرج عن ذلك لم يكن موزونا كقوله رب أح كنت به مغتبطا أشد كفى بعرا بحبته تمسكمني بالود ولا أحسبه يزهد في ذي أمل تمسكمني بالود ولا أحسبه يغير العهد ولا يحول عنه أبدا انخاب فيه أمل وقد علمنا ان هذا القرآن ليس من هذا القبيل بل هذا قبيل غير عمد ولا مقصود من جهة القصص وربما كان عندهم مستنكرا بل أكثره على ذلك وكذلك ليس في القرآن من الموزون الذي وصفناه أولا وهو الذي شرطنا فيه التعادل والتساوي في الاجزاء غير الاختلاف الواقع في التقفية وبين ذلك ان القرآن خارج عن الوزن الذي بينا وتم فائدته بالخروج منه وأما الكلام الموزون فان فائدته تتم بوزنه

### فصل في نفي السجع من القرآن

ذهب أصحابنا كلهم الى نفي السجع من القرآن وذكره أبو الحسن الاشعري في غير موضع

من كتبه وذهب كثير من يخالفهم الى اثبات السجع في القرآن وزعموا ان ذلك مما يبين به فضل الكلام وانه من الاجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على ان موسى أفضل من هرون وعليهما السلام ولم يكن السجع قبل في موضع هرون وموسى ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالوار والنون قبل موسى وهرون قالوا هذا يفارق أمر الشعر لانه لا يجوز ان يقع في الخطاب الا مقصود اليه واذا وقع غير مقصود اليه كان دون القدر الذي يسمى شعرا وذلك القدر ما يتفق وجوده من المفهم كما يتفق وجوده من الشاعر وأما في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح ان يتفق كله غير مقصود اليه وينمون الامر في ذلك على تحديد معنى السجع قال أهل اللغة هو موالة الكلام على وزن واحد قال ابن دريد سجت الجملة معناها ردت صوتها وأنشد

طربت فأبكيتك الحمام السواجع • تميل بها سخوا غصون نوائح

النوائح الموائل من قولهم جائع نائع أي متمائل ضعفا وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان دخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ولو جاز أن يقال هو سجع مجز لجاز لهم ان يقولوا شعر مجز وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ونقيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر لان الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاؤه وكلوه في شأن الجنين كيف ندى من لا أكل ولا شرب ولا صاح فاستهل أليس دمه قد بطل فقال أسجاعة كسجاعة الجاهلية وفي بعضها أسجعا كسجع الكهان فرأى ذلك مذموما لم يصح ان يكون في دلالة والذي يقتدر به انه سجع فهو وهم لانه قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعا لان ما يكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض لان السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن لان اللفظ يقع فيه تابع للمعنى وفصل بين ان ينظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت افادة السجع كافادة غيره ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا للتجنيس الكلام دون تعجيج المعنى فان قيل فقد يتفق في القرآن ما يكون من القسيلين جميعا فيجب ان تسموا أحدهما سجعا قيل الكلام في تفصيل هذا خارج عن غرض كتابنا والا كنا أتى على فصل فصل من أول القرآن الى آخره ونبين في الموضوع الذي يدعون الاستغناء عن السجع من القوائد ما لا يخفى ولكنه خارج عن غرض



كأننا وهذا القدر يحقق الفرق بين الموضعين ثم ان سلم لهم مسلم موضعا أو مواضع معدودة وزعم ان وقوع ذلك موقع الاستراحة في الخطاب الى الفواصل لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام وزعم ان الوجه في ذلك انه من باب الفواصل أو زعم ان ذلك وقع غير مقصود اليه وان ذلك اذا اعترض في الخطاب لم يعد مجعاً على ما قد بينا من القليل من الشعر كالبيت الواحد والمصراع والبيتين من الرجز ونحو ذلك يعرض فيه فلا يقال انه شعر لانه لا يقع مقصودا اليه وانما يقع معجوراً في الخطاب فكذلك حال السجع الذي يزعمونه ويقدرونه ويقال لهم لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه سجعاً لكان مذموماً مردولاً لان السجع اذا تفاوتت أوزانه واختلفت طرقه كان قبيحاً من الكلام والسجع منهج مرتب محفوظ وطريق مضبوط متى أدخل به المتكلم أوقع الخلل في كلامه ونسب الى الخروج عن الفصاحة كما ان الشاعر اذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئاً وكان شعره مردولاً وربما أخرجه عن كونه شعراً وقد علمنا ان بعض ما يدعونه سجعاً متقارب الفواصل متداني المقاطع وبعضها مما يعتمد حتى يتضاعف طولها عليه وترد الفاصلة على ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير وهذا في السجع غير مرضي ولا محمود فان قيل متى خرج السجع المعتدل الى نحو ما ذكرتموه خرج من ان يكون سجعاً وليس على المتكلم ان يلتزم ان يكون كلامه كله سجعاً بل يأتي به طوراً ثم يعدل عنه الى غيره ثم قد يرجع اليه قيل متى وقع أحد مصراعي البيت مخالفاً للآخر كان تخليطاً وخطباً وكذلك متى اضطرب أحد مصراعي الكلام المسجع وتفاوت كان خطباً وعلم ان فصاحة القرآن غير مذمومة في الاصل فلا يجوز ان يقع فيها نحو هذا الوجه من الاضطراب ولو كان الكلام الذي هو في صورة السجع منه لما تحيروا فيه وكانت الطبائع تدعو الى المعارضة لان السجع غير ممتنع عليهم بل هو عادتهم فكيف تنقض العادة بما هو نفس العادة وهو غير خارج عنها ولا يميز منها وقد يتفق في الشعر كلام على منهاج السجع وليس بسجع عندهم وذلك نحو قول الجعري

تشكى الوجي والليل ملتبس الدجا \* عزيزة الانساب مرت نقيعها

وقوله قريب المدى حتى يكون الى الندى • عدو البناء حتى يكون معالي  
ورأيت بعضهم يرتكب هذا فيزعم انه سجع مداخل ونظيره من القرآن قوله تعالى ثم يوم  
القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم وقوله أمرنا مترفها ففسقوا  
فيها وقوله أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله وقوله التوراة والانجيل ورسولا  
الى بنى اسرائيل وقوله اني وهن العظم مني ولو كان ذلك عندهم سجعاً لم يتعبروا فيه ذلك  
التعير حتى سماه بعضهم سجعاً وتصرفوا فيما كانوا يسمونه به ويصرفونه اليه ويتوهمونه فيه

وهم في الجملة عارفون بعجزهم عن طريقه وليس القوم بعاجزين عن تلك الاساليب المعتادة عندهم المألوفة لديهم والذي تكلمنا به في هذا الفصل كلام على جملة دون التفصيل ونحن نذكر بعد هذا في التفصيل ما يكشف عن مباينة ذلك وجوه السجع ومن جنس السجع المعتاد عندهم قول أبي طالب لسيف بن ذي يزن انبتك منبتنا طابت أرومته وعزت جروتمته وثبت أصله وبسق فرعوه ونبت زرعوه في أكرم موطن وأطيب معدن وما يجري هذا الجرى من الكلام والقرآن مخالف لخواص هذه الطريقة مخالفة للشعر وسائر أصناف كلامهم الدائر بينهم ولا معنى لقولهم ان ذلك مشتق من ترديد الحماة صوتهما على نسق واحد وروى غير مختلف لان ما جرى هذا الجرى لا يبنى على الاشتقاق وحده ولو بني عليه لكان الشعر سجعاً لان رويته يتفق ولا يختلف وتتردد القوافي على طريقة واحدة وأما الامور التي يستريح اليها الكلام فانها تختلف فربما كان ذلك يسمى قافية وذلك انما يكون في الشعر وربما كان ما ينفصل عنده الكلامان يسمى مقاطع السجع وربما سمي ذلك فواصل وفواصل القرآن مما هو مختص بها لا شركة بينها وبين سائر الكلام فيها ولا تناسب وأما ما ذكره من تقديم موسى على هرون عليهما السلام في موضع وتأخير عنته في موضع الا كان السجع ولتساوي مقاطع الكلام فليس بصحيح لان الفائدة عندنا غير ما ذكره وهي ان اعادة ذكر القصة الواحدة بالفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً من الامور الصعبة الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين فيه البلاغة وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة ونهوا بذلك على عجزهم عن الاتيان بعنلة مبتدأ به ومكررا ولو كان فهم تمكن من المعارضة لقصد وانك انقصه فعبر واعنها بالفاظ لهم تؤدي تلك المعاني وتحويها وجعلوها بازاء ما جاء به وتوصلوا بذلك الى تكذيبه والى مساواته فيما جاء به كيف وقد قال لهم فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها اظهار الاعجاز على الطريقين جميعاً دون التسجيع الذي توهموه فان قال قائل القرآن مختلف من أوزان كلام العرب ففيه من جنس خطبهم ورسائلهم وسجعهم وموزون كلامهم الذي هو غير مقفى ولكنه أبدع فيه ضرباً من الابداع لبراعته وفصاحته قيل قد علمنا ان كلامهم ينقسم الى نظم ونثر وكلام مقفى غير موزون ونظم موزون ليس بمقفى كالخطب والسجع ونظم مقفى موزون له روى ومن هذه الاقسام ما هو سجيبة الاغلب من الناس فتناوله اقرب وسلكه لا يتعذر ومنه ما هو اصعب تناولا كالوزون عند بعضهم والشعر عند الآخرين وكل هذه الوجوه لا تخرج عن ان يقع لهم بأحد أمرين اما بتعمل أو بتكلف وتعلم وتصنع أو باتفاق من الطبع وقذف من النفس على اللسان لل حاجة اليه ولو كان ذلك مما يجوز اتفاقه من

الطبايع لم ينفك العالم من قوم يتفق ذلك منهم ويتعرض على ألسنتهم وتبحث به خواطرهم ولا ينصرف عند الكل مع شدة الدواعي اليه ولو كان طريقه التعلم لتصنعوه ولتعلموه فالمهله لهم فسيحة والامد واسع وقد اختلفوا في الشعر كيف اتفق لهم فقد قيل انه اتفق في الاصل غير مقصود اليه على ما تعرض من أصناف النظام في تضاعيف الكلام ثم لما استحسنوه واستطابوه ورأوا انه تألفه الاسماع وتقبله النفوس تتبعوه من بعد وتعلموه وحكى لي بعضهم عن أبي عمر و غلام ثعلب عن ثعلب ان العرب تعلم أولادها قول الشعر بوضع غير معقول يوضع على بعض أوزان الشعر كأنه على وزن \* قمانك من ذكرى حبيب ومنزل \* ويسمون ذلك الوضع الميتر واشتقاقه من المتر وهو الجذب أو القطع يقال مترت الحبل بمعنى قطعتة أو جذبتة ولم يذكر هذه الحكاية عنهم غيره فيحتمل ما قاله وأما ما وقع السبق اليه في شبه أن يكون على ما قدمنا ذكره أولا وقد يحتمل على قول من قال بأن اللغة اصطلاح انهم تواضعوا على هذا الوجه من النظم وقد يمكن ان يقال مثله على المذهب الآخر وانهم وقفوا على ما يتصرف اليه القول من وجوه التعاضع أو توافقوا هم بينهم على ذلك ويمكن ان يقال ان التواضع وقع على أصل الباب وكذلك التوقيف ولم يقع على فنون تصرف الخطاب وان الله تعالى أجرى على لسان بعضهم من النظم ما أجرى وفطنوا لحسنه فتبعوه من بعد وبنوا عليه وطلبوه ورتبوا فيه المحاسن التي يقع الاضطراب وزنها وتهش النفوس اليها وجمع دواعيهم وخواطرهم على استهسان وجوه من ترتيبها واختيار طرق من ترتيبها وعرفهم بحسن الكلام ودلهم على كل طريقة عجيبه ثم أعلمهم بحزمهم عن الاتيان بالقرآن والقدر الذي يتناهى اليه قدرهم هو ما لم يخرج عن لغتهم ولم يشذ من جميع كلامهم بل قد عرض في خطابهم ووجدوا ان هذا انما تعذر عليهم مع التهذي والتقريع الشديد والحاجة الماسة اليه مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر وتكامل أحوالهم فيه دل على انه اختص به ليكون دلالة على النبوة ومجزة على الرسالة ولولا ذلك لكان القوم اذا اهتموا في الابتداء الى وضع هذه الوجوه التي يتصرف اليها الخطاب على براعته وحسن انتظامه فلان يقدروا بعد التنبيه على وجهه والتهذي اليه أولى ان يبادروا اليه ولو كان لهم اليه سبيل فلو كان الامر على ما ذكره السائل لوجب أن لا يتخيروا في أمرهم ولا تدخل عليهم شبهة فيما نابهم ولكانوا يسرعون الى الجواب ويبادرون الى المعارضة ومعلوم من حالهم ان الواحد منهم يقصد الى الامور البعيدة عن الوهم والاسباب التي لا يحتاج اليها فيكثر فيها من شعور ورجز ونجد من يعينه على نقله عنه على ما قدمنا ذكره من وصف الابل ونتاجها وكثير من أمرها لا فائدة في الاشتغال به في دين ولا دنيا ثم كانوا يتفاخرون باللسن والذلاقة والفصاحة والدراية

ويتفاوتون فيه وتجري بينهم فيه الاسباب المنقولة في الآثار على ما لا يخفى على أهلها فاستدلنا بتبصيرهم في أمر القرآن على خروجه عن عادة كلامهم ووقوعه موقعا يخرق العادات وهذه سبيل المجزآت فبان بما قلنا ان الحروف التي وقعت في الفواصل مناسبة موقع النظائر التي تقع في الاسجاع لا يخرجها عن حدها ولا يدخلها في باب السجع وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الاجزاء فكان بعض مصاربعه كلمتين وبعضها تبلغ كلمات ولا يرون في ذلك فصاحة بل يرونه عجزا فلورأوا ان ما تلى عليهم من القرآن سجعاً لقالوا نحن نعارضه بسجع معتدل فتريد في الفصاحة على طريقة القرآن وتجاوز حده في البراعة والحسن ولا معنى لقول من قدر أنه ترك السجع تارة الى غيره ثم رجع اليه لان ما تخلل بين الامر بن يؤذن بأن وضع الكلام غير ما قدره من التسجيع لانه لو كان من باب السجع لكان أرفع نهاياته وأبعد غاياته ولا بد لمن جاوز السجع فيه وسلك ما سلكوه من ان يسلم ما ذهب اليه النظام وعباد بن سلمان وهشام القرظي ويذهب مذهبهم في انه ليس في نظم القرآن وتأليفه اعجاز وانه يمكن معارضته وانما صرفوا عنه ضرباً من الصرف ويتضمن كلامه تسليماً الخبط في طريقة النظم وانه منتظم من فرق شتى ومن أنواع مختلفة ينقسم اليها خطابهم ولا يخرج عنها ويستهن ببديع نظمهم وعجيب تأليفه الذي وقع التعدي اليه وكيف يعجزهم الخروج عن السجع والرجوع اليه وقد علمنا عاداتهم في خطبهم وكلامهم أنهم كانوا لا يلزمون أبداً طريقة السجع والوزن بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة فاذا ادعوا على القرآن مثل ذلك لم يجدوا فاصلة بين نظمى الكلامين

### فصل في ذكر البديع من الكلام

ان سأل سائل فقال هل يمكن ان يعرف اعجاز القرآن من جهة ما يتضمنه من البديع قيل ذكر أهل الصنعة ومن صنف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظاً نحن نذكرها ثم نبين ما سألو عنه ليكون الكلام وارداً على أمر مبين مقرر وباب مصور ذكرنا ان من البديع في القرآن قوله عز ذكره واخفض لهم جناح الذل من الرحمة وقوله وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم وقوله واشتعل الرأس شيباً وقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون وقوله وآياتهم عذاب يوم عقيم وقوله نور على نور وقد يكون البديع من الكلمات الجامعة الحكمية كقوله ولكم في القصاص حياة وفي الالفاظ الفصيحة كقوله فلما استنأسوا منه خلصوا نجياً وفي الالفاظ الالهية كقوله وله كل شئ وقوله وما بكم من نعمة فمن الله وقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وينكرون من البديع من قول النبي صلى الله عليه وسلم

خير الناس رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعه طار إليها وقوله ربنا تقبل  
توبتي واغسل حوبتي وقوله غلب عليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وهي الخالقة  
خالقة الدين لخالقة الشعر وكقوله الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وكقوله وهل يكب  
الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد السنتهم وكقوله ان مما ينبت الربيع ما يقتل  
حبطاً أو يلم وكقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في كلامه قد نقلناه بعده هذا على وجهه  
وقوله لخالد بن الوليد احرص على الموت توهب لك الحياة وقوله فر من الشرف يتبعك الشرف  
وكقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه في كتابه الى ابن عباس وهو عامله على  
البصرة أرغب راغبتهم واحلل عقدة احوافهم وقوله حين سئل عن قول النبي صلى الله  
عليه وسلم انما قال ذلك والدين في قل فأما وقد اتسع نطاق الاسلام فكل امرئ وما اختار  
وسأل على رضي الله عنه بعض كبراء فارس عن أحمد ملو كههم عندهم فقال لا زديشير فضيلة  
السبق غير ان أحدهم أنوشروان قال فأى أخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم والاتاة فقال  
على رضي الله عنه هما توأمان ينتجها علو الهمة وقال قيمة كل امرئ ما يحسن وقال العلم  
قفل ومفتاحه المسئلة وكتب خالد بن الوليد الى مرزبة فارس أما بعد فالحمد لله الذي فض  
خدمتكم وفرق كلتكم والخدمة الحلقة المستديرة ولذلك قيل للخلائيل خدام وقال  
الحجاج دلوني على رجل سمين الامانة ولما عقدت الرئاسة لعبد الله بن وهب الراسبي على  
الخوارج أرادوه على الكلام فقال لا خير في الرأي الفطير وقال دعوا الرأي يغيب وقال  
اعرابي في شكر نعمة ذلك عنوان نعمة الله عز وجل ووصف اعرابي قوماً فقال اذا اصطفوا  
سفرت بينهم السهام واذا تصاحفوا بالسيوف قعد الحام وسئل اعرابي عن رجل فقال  
صفرت عباب الود بيني وبينه بعد امتلائها واصكفهرت وجوه كانت بمائها  
وقال آخر من ركب ظهر الباطل نزل دار الندامة وقيل لرؤية كيف خلقت ما وراءك  
فقال التراب يابس والمال عابس ومن البديع في الشعر طرق كثيرة قد نقلنا منها جملة  
لتستدل بها على ما بعده فاق ذلك قول امرئ القيس

وقد اغتدى والطير في وكأها \* بمنجرد قيد الاوابد هيكلا

قوله قيد الاوابد عندهم من البديع وعن الاستعارة ويرونه من الالفاظ الشريفة وعني  
بذلك انه اذا ارسل هذا الفرس على الصيد صار قيداً لها وكانت بحالة المقيد من جهة سرعة  
احضاره واقتدى به الناس واتبعه الشعراء فقل قيد النواظر وقيد الالحاظ وقيد  
الكلام وقيد الحديث وقيد الرهان وقال الاسود بن يعفر

بمقص عز جهير شلته \* قيد الاوابدو الرهان جواد

وقال أبو تمام لها منظر قيد الاوابد لم يزل \* يروح وينغدو في خفارته الحب

وقال آخر الحـاظـه قـيد عـيـون الـورى فـليس طـرف يـتـعـده

وقال آخر • قيد الحسن عليه الحدقا •

وذكر الاصمعي وأبو عبيدة وجادوقبلهم أبو عمرو أنه أحسن في هذه اللفظة وأنه اتبع فيها فلم

يلحق وذكره في باب الاستعارة البليغة وسماها بعض أهل الصنعة باسم آخر وجعلوها من

باب الازداف وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل

بلفظ هو تابع له وردف قالوا ومثله قوله • نؤم النخى لم تنتطق عن تفضل •

وانما أراد ترفيفها بقوله نؤم النخى ومن هذا الباب قول الشاعر

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل • أبوها واما عبد شمس وهاتم

وانما أراد أن يصف طول جيدها فأتى بردفه ومن ذلك قول امرئ القيس • وليل كموج البحر

أرعى سدوله • وذلك من الاستعارة الملمحة ويجعلون من هذا القبيل ما قدمنا ذكره من

القرآن واشتعل الرأس شيبا واخفض لها جناح الذل من الرحمة ومما عتونه من البديع

التشبيه الحسن كقول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا • وأرجلنا الجزع الذي لم يثقب

وقوله • كأن قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والخسف البالي

واستبدعوا تشبيهه شيئين بشيئين على حسن تقسيم ويزعمون أن أحسن ما وجد في هذا

للمحدثين قول بشار

كأن مثار النقع فوق رؤسنا • وأسيافنا ليل نهارى كواكب

وقد سبق امرؤ القيس الى صحة التقسيم في التشبيه ولم يتمكن بشار الا من تشبيه احدى

الجمتين بالآخرى دون صحة التقسيم والتفصيل وكذلك عتوا من البديع قول امرئ

القيس في أذن الفرس

وسامعتان يعرف العنق فهما • كسامعتي مذعورة وسط دبر

واتبعه طرفة فقال فيه

وسامعتان يعرف العنق فهما • كسامعتي شاة بحومل مفرد

ومثله قول امرئ القيس في وصف الفرس

وعينان كالماويتين ومحجر • الى سند مثل الصفيح المنصب

وقال طرفة في وصف عيني ناقته

وعينان كالماويتين استكنتا • بكهفي هجاجي صخرة ثلث مورد

ومن البديع في التشبيه قول امرئ القيس

له ابتلاطي وساقا نعامه • وارخاء سرحان وتقريب تنقل  
وذلك في تشبيهه أربعة أشياء بأربعة أشياء أحسن فيها ومن التشبيه الحسن في القرآن قوله  
تعالى وله الجوارى المنشآت في البحر كالاعلام وقوله تعالى كأنهن بيض مكنون  
ومواضع نذكرها بعد هذا ومن البديع في الاستعارة قول امرئ القيس  
وايل كموج البحر أرخى سدوله • على بأنواع الهموم ليتلى  
فقلت له لما تغطي بصلبه • وأردف إعجازا وناء بكل شكل  
وهذه كلها استعارات أتى بها في ذكر طول الليل ومن ذلك قول النابغة  
وصدر أراح الليل عاذب همه • تضاعف فيه الحزن من كل جانب  
فاستعاره من اراحة الراعي ابله الى مواضعها التي تأوى اليها بالليل وأخذ منه ابن  
الدهينة فقال

أقضى نهاري بالحديث وبالمنى • ويجمعني والهمم والليل جامع  
ومن ذلك قول زهير

صحا القلب عن لبلى وأقصر باطله • وعرى أفراس الصباور واحله  
ومن ذلك قول امرئ القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها • سمو حباب الماء حال على حال  
وأخذه أبو تمام فقال • سمو حباب الماء جاشت غواربه •

وانما أراد امرؤ القيس اخفاء شخصه ومن ذلك قوله • كأنى وأصحابى على قرن أعفرا •  
يريد انهم غير مطمئنين ومن ذلك ما كتب الى الحسن بن عبد الله بن سعيد قال أخبرني أبي  
قال أخبرنا عسل بن ذكوان أخبرنا أبو عثمان المازني قال سمعت الاصمعي يقول أجمع  
أصحابنا انه لم يقل أحسن ولا أجمع من قول النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركى • وان خلت ان المنتأى عنك واسع  
قال الحسن بن عبد الله وأخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا عون بن محمد الكندى أخبرنا قعنب بن  
محرز قال سمعت الاصمعي يقول سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوق ولو ضرب  
على أسفل قدميه ما تئدق على ان يقول كقول النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركى • وان خلت ان المنتأى عنك واسع  
لما قال يريد ان سلطانه كالليل يصل الى كل مكان واتبعه الفرزدق فقال  
ولو حملتنى الريح ثم طلبتنى • لكنت كشئ أدركتنى مقادره

فلم يأت بالمعنى ولا اللفظ على ما سبق اليه النابغة ثم أخذه الاخطل فقال  
 وان أمير المؤمنين وفعله \* لكالدهر لا عار بما فعل الدهر  
 وقدر روى نحو هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالربح وجعل رزقي تحت ظل  
 رحمتي وليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل وأخذه على بن ٣ فقال  
 وما الامرئى حاولته عنك مهرب \* ولو كان في جوف السماء المطالع  
 بلى هارب لا يهتدى لمكانه \* ظلام ولا ضوء من الصبح طالع  
 ومثله قول سلم الخاسر  
 فأنت كالدهر مبثوثا حباله \* والدهر لا ملجأ منه ولا هرب  
 ولو ملكك عنان الريح أصرفه \* في كل ناحية ما فاكك الطلب  
 فأخذه البهتري فقال  
 ولو أنهم ركبوا الكواكب لم يكن \* بنهيهم عن خوف بأسك مهرب  
 ومن بديع الاستعارة قول زهير  
 فلما وردن الماء زرقا جامه \* وضعن عصي الحاضر المقيم  
 وقول الاعشى  
 وان عناق العيس سوف يزوركم \* ثناء على أعجازهن معلق  
 ومثله أخذ نصيب فقال  
 فعا جوافأثنوا بالذي أذت أهله \* ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب  
 ومن ذلك قول ثابت شرا  
 فخالط سهل الارض لم يكدح الصفا \* به كدحة والموت خزيان ينظر  
 ومن الاستعارة في القرآن كثير كقوله وانه لذكر لك ولقومك يريد ما يكون الذكر عنه  
 شرفا \* وقوله صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة قيل دين الله أراد وقوله اشتروا الضلالة  
 بالهدى فارجحت تجارتهم ومن البديع عندهم الغلو كقول النمر بن تولب  
 أبقي الحوادث والايام من عمر \* اسناد سيف قديم اثره بادي  
 تظل تحفر عنه ان ضربت به \* بعد الذراعين والقيدين والهمادي  
 وكقول النابغة  
 فقد السلوق المضاعف نسجه \* ويوقدن بالصفاح نار الحباب  
 وكقول عنتره فازور من وقع القنا بلبلانه \* وشكالى بعبرة وتحمهم  
 وكقول أبي تمام



لو يعلم الركن من قد جاء بثلثه \* نخر يلم منه موطن القدم  
وكقول البهري

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما \* في وسعه لمشي اليك المنبر  
ومن هذا الجنس في القرآن يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وقوله إذا  
رأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله تكاد تميز من الغيظ وما بعدونه من  
البديع المائلة وهو ضرب من الاستعارة وذلك أن يقصد الإشارة الى معنى فيضع الفاظا  
تدل عليه وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي يقصد الإشارة اليه نظيره من المنشوران  
يزيد بن الوليد بلغه أن مروان بن محمد يتكاعن ببعته فكتب اليه أما بعد فاني أراك  
تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيتهما شئت وكهوما كتب به الطاج الى المهلب فان  
أنت فعلت ذلك والأشرفت اليك الرح فأجابه المهلب فان أشرع الأمير الرح قلبت اليه  
ظهر الجن وكقول زهير

ومن يعص أطراف الزجاج فانه • بطيع العوالى ركبت كل لهدم  
وكقول امرئ القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربي \* بسهميك في أعشار قلب مقتل  
وكقول عمرو بن معدى كرب

فلوان قوى أنطقني رماحهم • نطقف ولكن الرماح أجزت  
وكقول القائل

بنى عملا تذكروا الشعر بعدما • دفنتم بعمراء الفجر القوافيا  
وكقول الآخر

أقول وقد سدوا الساني بنسعة • أمعشرتهم أطلقوا عن لسانيا  
ومن هذا الباب في القرآن كقوله فما أصبرهم على النار وكقوله وثيا بك فظهر قال الاصمعي  
أراد البدن قال وتقول العرب فدا لك ثوباى يريد نفسه وأنشد

ألا أبلغ أبا حفص رسولا • فدا لك من أخى ثقة أزارى  
ويرون من البديع أيضا ما يسمونه المطابقة وأكثرهم على أن معناها أن يذكر الشئ وضده  
كالليل والنهار والسواد والبياض واليه ذهب الخليل بن أحمد والاصمعي ومن المتأخرين  
عبد الله بن المعتز وذكر ابن المعتز من تطأه من المنشور ما قاله بعضهم آتيناك لتسلك بنا  
سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان ونظيره من القرآن ولكم في القصص حياة  
وقوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وقوله يولج الليل في النهار ويولج

النهار في الليل ومثله كثير جدا. وكقول النبي صلى الله عليه وسلم لا انصار انكم تكثرون عند الفزع وتقاتلون عند الطمع وقال آخرون بل المطابقة ان يشترك معنيان بلفظة واحدة واليه ذهب قدامة بن جعفر الكاتب فن ذلك قول الافوه الاودي

واقطع الهوجل مستأنسا • بهوجل مستأنس عنتريس  
عنى بالهوجل الاول الارض والثاني الناقة ومثله قول زياد الاعم  
ونباتهم يستنظرون بكاهل \* وللوم فهم كاهل وسنام  
ومثله قول ابي دواد

عهدت لها منزلا دائرا • والاعلى الماء يحملن الا  
فالال الاول اعمدة الخيام تنصب على البئر للسقي والال الثاني السراب وليس عنده قول من  
قال المطابقة انما تكون باجتماع الشئ وضده بشئ ومن المعنى الاول قول الشاعر  
أهين لهم نفسى لا كرمها بهم • ولن تكرم النفس التي لا تهينها  
ومثله قول امرئ القيس

وتردى على صم صلاب ملاطس \* شديداً عقد لبنات متان  
وكقول النابغة

ولا يحسبون الخير لا ثمر بعده • ولا يحسبون الشر ضربة لازب  
وكقول زهير وقد جمع فيه طباقين  
بعزمة مأثور مطيع وأمر • مطاع فلا يلقى لحزمهم مثل  
وكقول الفرزدق

والشيب ينهض في الشباب كأنه • ليل يصيح بجانيبه نهار  
ومما قيل فيه ثلاث تطبيقات قول جرير  
وباسط خير فيكم بيمينه • وقابض شر عنكم بشمالها  
وكقول رجل من بلعنبر

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة • ومن اساءة أهل السوء احسانا  
وروى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه تمثل بقول القائل  
فلا الجود يفي المال والجد مقبل • ولا البخل يبق المال والجد مدبر  
وكقول الآخر

فسرى كاعلاف وتلك سميتي \* وظلمة ليلي مثل ضوءه نهاريا  
وكقول قيس بن الخطيم

إذا أنت لم تنفع فضر قائما • يرجى الفتى كيما يضر وينفعا  
 وكقول السموأل وماضرا نا فليل وجارنا • عزيز وجارا لا كثيرين ذليل  
 فهذا باب يرونه من البديع وباب آخر وهو التجنيس ومعنى ذلك ان تأتى بكلمتين  
 متجانستين فنه ما تكون الكلمة تجانس الاخرى في تأليف حروفها واليه ذهب الخليل  
 ومنهم من زعم ان المجانسة ان تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق كقوله عز وجل فأقم  
 وجهك للدين القيم وكقوله وأسلمت مع سليمان وكقوله يا أسفا على يوسف وكقوله الذين  
 آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الا من وكقوله وهم ينهون عنه وينأون عنه وكقول  
 النبي صلى الله عليه وسلم أسلم سالها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله  
 وكقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله لا يكون ذوالوجهين وجهيهما عند الله وكتب بعض  
 الكتاب العذر مع التعذر واجب فرأيت فيه وقال معاوية لابن عباس ما لكم يا بني هاشم  
 تصابون في أبصاركم فقال كاتصابون في بصائركم وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه هاجروا  
 ولا تهجروا ومن ذلك قول قيس بن عاصم

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة \* كسته نجيعا من دم الجوف أشكال

وقال آخر أمل عليها بالبلى الملوأ

وقال الآخر وذا كمن ذل الجار حالفكم • وان انفكم لاتعرف الانفا  
 وكتب الى بعض مشايخنا قال أنشدنا الاخفش عن المبرد عن التوزي

وقالوا حمامات فخم لقاءها • وطلمح فزيرت والمطى طلوح  
 عقاب باعقاب من النأى بعدما • جرت نية تنسى المحب طروح  
 وقال صحابي هدهد فوق بانه • هدى وبيان بالنجاح يلوح  
 وقالوا دم دامت موافق عهده • ودام لنا حسن الصفاء صريح

وقال آخر أقبلن من مصر يبارين البرى

وقال القطامى ولما ردها فى الشول شالت • بذيال يكون لها انفا  
 وقد يكون التجنيس بزيادة حرف أو ما يقارب ذلك كقول البهترى  
 هل لمافات من تلاف تلاف • أم لشاك من الصبابة شاف

وقال ابن مقبل

عشبن هيل النقامات جوانبه • ينال حيناً وينهاه الثرى حيناً

وقال زهير

هم بضربون حبيل البيض اذ لحقوا • لا ينكولون اذا ما استلحموا وجوا

ومن ذلك قول أبي تمام

يعدون من أيد عواص عواصم • نصول بأسياق قواض قواضب  
وأبو نواس يقصد في مصراعى مقدمات شعره هذا الباب كقوله

ألا دارها بالماء حتى تلينها • فلن تكرم الصهباء حتى تهينها  
وكذلك قوله ديار نوار ماديار نوار • كسوك نجواهن منه عوار  
وكقول ابن المعتز

سأثنى على عهد المطيرة والقصر • وأدعو لها بالساكنين وبالقطر  
وكقوله هي الدار إلا أنها منهم قفر • وإن بها ناول وانهم سفر  
وكقوله للاماني حديث يقر • ويسوء الدهر من قد يسر

وكقول المتنبي

وقد أراى الشباب الروح فى بدنى • وقد أراى المشيب الروح فى بدنى  
وقد قيل ان من هذا القليل قوله عز وجل خلق الانسان من عجل سأريكم آياتى فلا  
تستجلبون وقوله قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه ويعدون من  
البديع المقابلة وهى ان يوفق بين معان وتطائرهما والمضاد بضده وذلك مثل قول النابغة  
الجعدي فنى تم فيه ما يسر صديقه • على ان فيه ما يسوء الا عادي  
وقال تأبط شرا

أهزبه فى ندوة الحى عطفه • كما هز عطفى بالهجان الاوارك  
وكقول الآخر

واذا حديث ساءنى لم أكتب • واذا حديث سرتنى لم أسر  
وكقول الآخر

وذى اخوة قطعت أقران بينهم • كما ترى كوني واحدا لا أخاليا  
ونظيره من القرآن ثم اذا مسكم الضر فاله تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق  
منكم يرمهم بشركون ويعدون من البديع الموازنة وذلك كقول بعضهم اصبر على خرا لقا  
ومضض النزال وشدة المصارع وكقول امرئ القيس \* سليم الشظاء عبل الشوى شيخ النساء \*  
ونظيره من القرآن والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود ويعدون من  
البديع المساواة وهى ان يكون اللفظ مساويا للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وذلك يعد  
من البلاغة وذلك كقول زهير

ومهما شكن عند امرئ من خليفة • وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكقول جرير فلو شاء قوي كان حلي فيهم • وكان على جهال أعدائهم جهلي  
وكقول الآخر

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والخطا • أصبت حلما أو أصابك جاهل  
وكقول الهذلي

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها • وأول راض سيرة من سيرها  
وكقول الآخر

فإنهم طاعوك فطاوعهم • وإن عاصوك فاعصى من عصاك  
وتظير ذلك في القرآن كثير ومما يعتونه من البديع الإشارة وهو اشتغال اللفظ القليل على  
المعاني الكثيرة وقال بعضهم في وصف البلاغة لمحة دالة من ذلك قول طرفة  
فقطل لنا يوم لذيذ بنعمة • فقل في مقيل تحسه متعيب  
وكقول زيد الخيل

نخيسة من يخيب على غني • وباهلة بن أعصر والرباب  
وتظيره من القرآن ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموق  
ومواضع كثيرة ويعتدون من البديع المبالغة والغلو والمبالغة تأكيد معاني القول وذلك  
كقول الشاعر ونكرم جارا ما كان فينا • وتتبعه الكرامة حيث مالا  
ومن ذلك قول الآخر

وهم تركوك أسلم من جباري • رأت صفرا وأسرده من نعام  
فقوله رأت صفرا مبالغة ومن الغلو قول أبي نواس  
توهمت في كأسها فكأئما • توهمت شيئا ليس بدركه العقل  
فأيرتقي التكييف فيها إلى مدى • يحسد به إلا ومن قبله قبل

وقول زهير

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم • قوم بأولهم أو مجدهم فعدوا  
وكقول النابغة بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا • وإننا لرجو فوق ذلك مظهرا  
وكقول الخنساء

وما بلغت كنف امرئ متناول • بها المجد إلا حينما نلت أطول  
وما بلغ المهدون في القول مدحة • وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل  
وقول الآخر

له هم لا منتهى لكبارها • وهمة الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو ان معشار جودها \* على البر صار البرأندى من البحر  
ويرون من البديع الا يغال في الشعر خاصة فلا يطلب مثله في القرآن الا في النواصل  
كقول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا \* وأرجلنا الجزع الذي لم ينقب  
وقد أوغل بالقافية في الوصف وأكدا التشبيه لها والمعنى قديستقل دونها ومن البديع  
عندهم التوشيح وهو ان يشيد أول البيت بقافيته وأول الكلام بآخره كقول الجعفي  
فليس الذي حلقته بمحمل \* وليس الذي حرمته بحرام  
ومثله في القرآن فن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ومن ذلك رد عجز الكلام  
على صدره كقول الله عز وجل انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخره أكبر  
درجات وأكبر تفضيلا وكقوله لا تقفروا على الله كذبا فيسكتكم بعذاب وقد خاب من  
افترى ومن هذا الباب قول القائل

وان لم يكن الاتعلل ساعة \* قليلا فاني نافع لى قليلها  
وكقول جرير سقى الرمل جون مستهل غمامه \* وما ذاك الا حب من حل بالرمل  
وكقول الآخر

يوذا الفتى طول السلامة والغنى \* فكيف يرى طول السلامة يفعل  
وكقول أبي صخر الهذلي  
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها \* فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر  
وكقول الآخر

أصد بأيدى العيس عن قصد أرضها \* وقلبي اليها بالمودة قاصد  
وكقول عمرو بن معدى كرب

اذا لم تستطع شيا فادع \* وهاوزه الى ما نستطيع  
ومن البديع صحة التقسيم ومن ذلك قول نصيب

فقال فريق القوم لا وفريقهم \* نعم وفريق قال ويحك ما يدري  
وليس في أقسام الجواب أكثر من هذا وكقول الآخر  
فكأنما فيه نهار ساطع \* وكأنه ليل عليها مظلم

وقول المقفع الكندي

وان يا كلوا لحى وفرت لحومهم \* وان يهدموا مجدى بنيت لهم مجدا  
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم \* وان هم هو واغبي هويت لهم رشدا

وان زجروا طيرا بنفس عمري \* زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا  
وكقول عروة بن حزام

بن لو راہ غائبا لقدمته \* ومن لو راہ غائبا لقدمته  
ونحوه قول الله عز وجل "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين  
كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ونحوه صحة التفسير كقول  
القائل ولي فرس للعلم بالحلم ملجم \* ولي فرس للجهل بالجهل مسرج  
ومن البديع التكميل والتتيم كقول نافع بن خليفة  
رجال اذا لم يقبلوا الحق منهم \* ويعطوه عادوا بالسيوف القواطع  
وانما تم جودة المعنى بقوله ويعطوه وذلك كقول الله عز وجل "ان الله عنده علم الساعة الى  
آخر الآية ثم قال ان الله عليم خبير ومن البديع الترصيع وذلك من ألوان منها قول امرئ  
القيس محش محش مقبل مدبر معا \* كتبس طباء الحلب في العدوان  
ومن ذلك كثير من مقدمات أبي نواس

يامنة امتها السكر \* ما ينقضى مني لها السكر  
وكقوله وقد ذكرناه قبل هذا

ديار نوار ماديان نوار \* كسونك شجواهن منه عوار  
ومن ذلك الترصيع مع التجنيس كقول ابن المعتز

ألم تجزع على الربع المحيل \* واطلال وآثار محمول  
ونظيره من القرآن كقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم  
مبصرون واخوانهم عدونهم في التي ثم لا يقصرون وقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون  
وان لك لأجرا غير ممنون وكقوله وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد وكقوله  
والطور وكاب مسطور وقوله والسابحات سبحا فاسابقات سبقا وقد أروع الشعراء بنحو  
هذا فأكثروا فيه ومنهم من اقتنع بالترصيع في بعض أطراف الكلام ومنهم من بنى كلامه  
عليه كقول ابن الرومي أبدانهم ومالبس \* ن من الحرير معا حير

أردانهم وما مس \* ن من العبير معا عير  
وكقوله فلراهب أن لا يريب أمانه \* ولراغب أن لا يريث نجاحه

وما يقارب الترصيع ضرب يسمى المضارعة وذلك كقول الخنساء  
حامي الحقيقة محمود الخليفة مه \* دى الطريقة نفاع وضرار  
جواب قاسية جازا ناصية \* عقاد ألوية للخيال جزار

ومن البديع باب التكافؤ وذلك قريب من المطابقة كقول المنصور لا تخرجوا من عز  
الطاعة الى ذل المعصية وقول عمر بن ذر اننا لم نجد لك اذ عصبت الله فينا خيرا من ان نطيع  
الله فيك ومنه قول بشار

اذا أيقظتك حروب العدا \* فنبه لها عرا ثم ثم

ومن البديع باب التعطف كقول امرئ القيس \* عود على عود على عود خلق \*

وقد تقدم مثاله ومن البديع السلب والایجاب كقول القائل

ونسكران شئنا على الناس قولهم \* ولا ينسكرون القول حين نقول

ومن البديع الكناية والتعريض كقول القائل

وأحر كالديباج أما سماؤه \* فريا وأما أرضه فمحمول

ومن هذا الباب لحن القول ومن ذلك العكس والتبديل كقول الحسن ان من خوفك

لتأمن خير من أمنك لتخاف وكقوله اللهم اغنى بالفقر اليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك

وكقوله بع دنياك بأخرتك تربحهما جميعا ولا تبسع آخرتك بدنياك فتفسرهما جميعا

وكقول القائل

واذا الدرزان حسن وجوه \* كان للدر حسن وجهك زينا

وقد يدخل في هذا الباب قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ومن

البديع الالتفات فن ذلك ما كتب الى الحسن بن عبد الله العسكري أخيرا محمد بن عبد

الله الصولي حدثني يحيى بن علي المنجم عن أبيه عن اسحاق بن ابراهيم قال قال لي الاصمعي

أنتعرف التفاتات جرير قلت لا فها هي قال

أنسى اذ تودعنا سليمي \* بفرع بشامة سقى البشام

ومثل ذلك الجرير

متى كان الخيام بذى طلوح \* سقيت الغيث أيتها الخيام

ومعنى الالتفاتات انه اعترض في الكلام قوله سقيت الغيث ولو لم يعترض لم يكن ذلك

التفاتا وكان الكلام منتظما ولكن يقول متى كان الخيام بذى طلوح أيتها الخيام فتخرج

عن الكلام الاول ثم رجع اليه على وجه يلفظ كان ذلك التفاتا ومثله قول النابغة

الجعدى ألا زعمت بنو سعد بأني \* ألا كذبوا كبير السن فاني

ومثله قول كثير

لوان الباذلين وأنت منهم \* رأوك تعلموا منك المطالا

ومثله قول أبي تمام



وأنجدتم من بعد انهام داركم \* فيادمع أنجدني على ساكني نجده  
وكقول جرير

طرب الحمام بذى الاراك فشافني \* لازلت في غلل وأبك ناضر  
التفت الى الحمام فدعا لها ومثله قول حسان

ان التي ناولتني فردتها \* قبلت قبلت فهاتها لم تقتل  
ومنه قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

وأجل اذا ما كنت لا بد مانعا \* وتديمنع الشئ الفقى وهو مجمل  
وكقول ابن ميادة

فلاصرمه يبدو وفي اليأس راحة \* ولا وصله يصفو لنا فذكارمه  
وتطير ذلك من القرآن ما حكى الله تعالى عن ابراهيم الخليل من قوله اعبدوا الله واتقوه  
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله آثانا وتخلقون افكا الى قوله  
فما كل جواب قومه وقوله عز وجل ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله  
بعزيز وبرزوا لله جميعا ومثله قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة الى آخر  
الآية ومثله قوله وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الى قوله فثله كمثل  
الكلب ان تحمله عليه يلهث أو تتركه يلهث ومثله قوله والسارق والسارقة فاقطعوا  
أيديهم ما جزاء بما كسبوا نكالا من الله والله عزيز حكيم فن تاب من بعد ظلمه ومنهم من  
لا بعد الاعتراض والرجوع من هذا الباب ومنهم من يفرد عنه كقول زهير  
قف بالديار التي لم يعفها القدم \* نعم وغيرها الارواح والديم  
وكقول الاعراب

أليس قليلا نظرة ان نظرتها \* اليك وكلا ليس منك قليل  
وكقول ابن هرمة

ليت حظي لحظة العين منها \* وكثير منها القليل المهنه  
ومن الرجوع قول القائل

بكل تدأوينه فلم يشف ما بنا \* على ان قرب الدار خير من البعد  
وقال الاعشى

صرمت ولم أصرمكم وكصارم \* أخ قد طوى كشحا وآب ليذهبا  
وكقول بشار  
لى حيلة فيمن ينم \* وليس في الكذاب حيلة  
من كان يخلق ما يقو \* ل خيلاني فيه قليله

وقال آخر

وما بي انتصار ان غدا الدهر ظالمى • على بلى ان كان من عندك النصر  
وباب آخر من البدیع یسمى التذیل وهو ضرب من التأكید وهو ضد ما قد مناذ کره من  
الاشارة کقول أبی رواد

اذا ما عقدنا له ذممة \* شددنا العناج وعقدنا الكرب  
وأخذہ الخطیئة فنال

فدعوا نزال فکنت أول نازل • وعلام أركبه اذا لم أنزل  
وکقول جریر لقد کنت فہا یا فرزدق تابعا \* وریش الذنابی تابع للقوادم  
ومثله قوله عز وجل ان فرعون علا فی الارض وجعل أهلہا شیعا الى قوله انه کان  
من المفسدین ونزید ان عن علی الذین استضعفوا فی الارض ونجعلہم أئمة ونجعلہم الوارثین  
الی قوله کانوا خاطئین

\* وباب من البدیع یسمى الاستطراد فن ذلك ما کتب الی الحسن بن عبد الله قال أنشدنی  
أبو بکر بن درید قال أنشدنا أبو حاتم عن أبی عبیدة لحسان بن ثابت رضی الله تعالی عنه  
ان کنت کاذبة التی حدثتني \* فجوت منجا الحرث بن هشام  
ترك الاحبة لم یقاتل دونهم \* ورى برأسی طمرة ولجام  
وکقول السموأل

وانا لاقوم لانزى القتل سبة \* اذا مارأته عامر وسلول

وکقول الآخر

خلیلى من کعب أعینا أنا کما • علی دهره ان الکرم معین  
ولا تبغلا بخل ابن قرعة انه • مخافة ان یرجى نراه حزین  
وکقول الآخر

فاذرقن الشمس حتی کائننا • من الی نضحی أحمد بن هشام  
وکقول زهير

ان البخیل ملوم حیث کان ولا • سکن الجواد علی علانه هرم  
وفیما کتب الی الحسن بن عبد الله قال أخبرنی محمد بن یحیی حدثنی محمد بن علی الانباری  
قال سمعت البهتری یقول أنشدنی أبو تمام لنفسه

وسابج هطل التعداء هتان • علی الجراء أمین غیر خوان  
أظمی الفصوص ولم تنظیم أقوائه • بخل عینک فی ریان ظمان

ولو تراء مشيعا والحصى فلق \* بين السنايك من مشى ووحدان  
 أيقنت ان لم تثبت ان حافره • من صخر تدمر أو من وجه عثمان  
 وقال لي ما هذا من الشعر قلت لا أدري قال هذا المستطرد أو قال الاستطرد قلت وما  
 معنى ذلك قال يرى انه يصف القرس ويريد هجاء عثمان فقال وقال البهترى  
 ما ان يعاف قذى ولو أوردته • يوما خلأني جدويه الاحول  
 قال فقيل للبهترى انك أخذت هذا من أبي تمام فقال ما يعاب على ان آخذ منه وأتبعه فيما  
 يقول ومن هذا الباب قول أبي تمام  
 صب الفراق علينا صب من كتبنا \* عليه امحق يوم الروع منتفعا  
 ومنه قول السرى الرفاء

نزع الوشاة لنا بسهم قطيعة • يرمى بسهم الحين من يرمى به  
 ليت الزمان أصاب حب قلوبهم • بقنا ابن عبد الله أو بحرا به  
 وتظيره من القرآن أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفكر ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا  
 لله وهم داخرون والله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم  
 لا يستكبرون كأنه كان المراد ان يجرى بالقول الاول الى الاخبار عن ان كل شئ  
 يسجد لله عز وجل وان كان ابتداء الكلام فى أمر خاص ومن البديع عندهم التكرار  
 كقول الشاعر هلا سألت جوع كذ • مدة يوم ولوا أين أين  
 وكقول الآخر وكانت فزارة تصلى بنا • فأولى فزارة أولى لها  
 وتظيره من القرآن كثير كقوله ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا والتكرار فى  
 قوله قل يا أيها الكافرون وهذا فيه معنى زائد على التكرار لانه يفيد الاخبار عن الغيب  
 ومن البديع عندهم ضرب من الاستثناء كقول النابغة  
 ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب  
 وكقول النابغة الجعدي

فتى كملت أخلاقه غير انه • جواد فلا يبقى من المال باقيا  
 فتى تم فيسه ما يسر صديقه • على ان فيسه ما يسوء الاعاديا  
 وكقول الآخر حاتم اذا ما الحلم زين أهله • مع الحلم فى عين العدو مهييب  
 وكقول أبي تمام تنصل ربها من غير جرم • اليك سوى النصيحة والوداد  
 ووجوه البديع كثيرة جدا فاقصرنا على ذكر بعضها ونهنا بذلك على ما لم نذكر  
 كراهة التطويل فليس الغرض ذكر جميع أبواب البديع وقد قدر مقتدون انه يمكن

استفادة عجاز القرآن من هذه الابواب التي نقلناها وان ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه وليس كذلك عندنا لان هذه الوجوه اذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل اليها بالتدرب والتعود والتصنع لها وذلك كالشعر الذي اذا عرف الانسان طريقه صح منه العمل له وأمكنه نظمهم والوجوه التي نقول ان عجاز القرآن يمكن ان يعلم منها فليس مما يقدر البشر على التصنيع له والتوصل اليه بحال ويبين ما قلنا ان كثير من المحدثين قد تصنع لابواب الصنعة حتى حشى جميع شعره منها واجتهد ان لا يفوته بيت الا وهو يعلمونه من الصنعة كما صنع أبو تمام في لاميته

متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل • وصدرك منها مدة الدهر آهل  
تطل طول الدمع في كل موقف • وتمثل بالصبر الديار الموانل  
دوارس لم يحف الربيع ربوعها • ولا مر في اغفالها وهو غافل  
فقد صهبت فيها السحاب ذيولها • وقد أخلت بالنورتك الخمانل  
تعفن من زاد العفا اذا انتهى • على الحى صرف الازمة المتماحل  
لهم سلف سمر العوالى وسامر • وفهم جمال لا يغيض وجمال  
ليالى أضلت العزاء وخذلت • بعقلك آرام الخلدور العقائل  
من الهيف لو أن الخلا خيل صيرت • لها وشها حالت عليه الخلاخل  
مهى الوحش الا ان هاتا أوانس • قنا الخط الا ان تلك ذوابل  
هوى كان خلسا ان من أطيب الهوى \* هوى حلت في أقيانه وهو خامل  
ومن الادباء من عاب عليه هذه الابيات ونحوها على ما قد تكلف فيها من البديع وتعمل من الصنعة فقال قد اذهب ماء هذا الشعر ورونقه وفانته اشتغالا بطلب التطبيق وسائر ما جمع فيه وقد تعصب عليه أجد بن عبيد الله بن عمار وأسرف حتى تجاوز الى الغضب من محاسنه ولما قد أولع به من الصنعة ربما غطى على بصره حتى يبدع في القبيح وهو يريد ان يبدع في الحسن كقوله في قصيدة له أولها

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد \* وعاد قنادا عندها كل مرقد  
فقال فيها لجرى لقد حررت يوم لقيته \* لو ان القضاء وحده لم يرد  
وكقوله لو لم تدارك مسن المجد مذ من • بالجود والبأس كان المجد قد خرفا  
فهذا من الاستعارات القبيحة والبديع المقيت كقوله  
تسعون ألفا كاساد الشرى نجت \* أعمارهم قبل نضج التين والعنب  
وكقوله لو لم يمت بين أطراف الرماح اذا \* لما تاذل يمت من شدة الحزن

وكقوله خسنت عليه أخت بني خشين  
وكقوله ألا لائمة الدهر كفا بسئ • الى مجتدى نصر فتنقطع من الزند  
وقال في وصف المطايا  
لو كان كفها عبيد حاجة • يوما لزني شديقا وجديلا  
وكقوله ف ضربت الشتاء في أخدعيه \* ضربة غادرته عودا ركوبا  
فهذا وما أشبهه انما يحدث من غلوه في محبة الصنعة حتى يعميه عن وجه الصواب وربما  
أسرف في المطابى والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها حتى استنقل نظمها  
واستوخم رصعه وكان التكلف باردا والتصرف جامدا وربما اتفق مع ذلك في كلامه  
النادر المليح كما يتفق البارد القبيح فأما البهترى فانه لا يرى في التجنيس ما يراه أبو تمام  
ويقل التصنع له فاذا وقع في كلامه كان في الاكثر حسنا رشيقا وظرفا جريلا وتصنعه  
للمطابق كثير حسن وتعمقه في وجوه الصنعة على وجه طلب السلامة والرغبة في السلاسة  
فلذلك يخرج سليما من العيب في الاكثر وأما وقوف الالفاظ به عن تمام الحسنى وقعود  
العبارات عن الغاية القصوى فشيئ لا بد منه وأمر لا محيص عنه كيف وقد وقف على  
من هو أجل منه وأعظم قدرا في هذه الصنعة وأكبر في الطبقة كمرئ القيس وزهير  
والنابعة والى يومه ونحن نبين تميز كلامه وانحطاط درجة قولهم ونزول طبقة نظمهم عن  
بديع نظم القرآن في باب مفرد يتصور به ذوا الصنعة ما يجب تصوره ويتحقق وجه الإعجاز  
فيه بمشيئة الله وعونه ثم رجع الكلام بنا الى ما قدمناه من انه لا سبيل الى معرفة أعجاز  
القرآن من البديع الذى ادعوه في الشعر ووصفوه فيه وذلك ان هذا الفن ليس فيه  
ما يخرق العادة ويخرج عن العرف بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له  
كقول الشعر ورصف الخطب وصناعة الرسالة والحدق في البلاغة وله طريق يسلك ووجه  
يقصد وسلم يرتقى فيه اليه ومثال قديق طالبه عليه قرب انسان يتعود ان ينظم جميع كلامه  
شعرا أو يتعود ان يكون جميع خطابه سجعاً أو صنعة متصلة لا يسقط من كلامه حرف وقد  
يباده به ما قد تعودوه وأنت ترى أدباء زماننا يضيفون المحاسن في جزء وكذلك يؤلفون أنواع  
البارع ثم ينظرون فيه اذا أرادوا انشاء قصيدة أو رسالة أو خطبة فيحشون به كلامهم  
ومن كان قد تدرب وتقدم في حفظ ذلك اشتغل عن هذا التصنيف ولم يحتاج الى تكلف هذا  
التأليف وكان ما أشرف عليه من هذا الشأن باسطا من باع كلامه وموشها بأنواع  
البديع ما يحاوله من قوله وهذا طريق لا يتعذر وباب لا يتنع وكل يأخذ فيه مأخذا ويقف  
فيه موقفا على قدر ما معه من المعرفة وبحسب ما عتده من الطبع فأما شأ وتظم القرآن

فليس له مثال يحتذى اليه ولا امام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا كما يتفق للشاعر البيت النادر والكلمة الشاردة والمعنى الغذا الغريب والشئ القليل العجيب وكما يلحق بكلامه بالوحشيات ويضاف من قوله الى الاوابد لان ما جرى هذا المجرى ووقع هذا الموقع فاعلمتقى للشاعر في اعم من شعره وللكاتب في قليل من رسائله وللخطيب في يسير من خطبه ولو كان كل شعره نادرا ومثلا سائرا ومعنى بدبعا ولفظا رشيقا وكل كلامه مملوا من رونقه ومائه وملائي بهجته وحسن روايه ولم يقع فيه المتوسط بين الكلامين والمتردين الطرفين ولا البارد المستقل والغث المستنكر لم بين الايجاز في الكلام ولم بين التفاوت العجيب بين النظام والنظام وهذه جملة تحتاج الى تفصيل ومبهم قد يحتاج في دفعه الى تفسير وسند ك ذلك بحسب الله وعونه ولكن قد يمكن ان يقال في البديع الذي حكيناه و اصفناه اليهم ان ذلك باب من أبواب البراعة وجنس من أجناس البلاغة وانه لا ينفك القرآن عن فن من فنون بلاغاتهم ولا وجه من وجوه فصاحتهم واذا أورد هذا المورد ووضع هذا الموضوع كان جديرا وانما نطلق القول اطلاقا لانا لا نجعل الايجاز متعلقا بهذه الوجوه الخاصة ووقفنا عليها ومضافا اليها وان صح ان تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة آخذة بحظها من الحسن والبهيمة متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشع والتجمل المستشع

### فصل في كيفية الوقوف على اعجاز القرآن

قد بينا انه لا ينبغي لمن كان لسانه غير العربية من العجم والترك وغيرهم ان يعرفوا اعجاز القرآن الا ان يعلموا ان العرب قد عجزوا عن ذلك فاذا عرفوا هذا بأن علموا انهم قد تحذوا على ان يأثروا بجملة وقرعوا على ترك الاتيان بجملة ولم يأثروا به تبينوا انهم عاجزون عنه واذا عجز أهل ذلك اللسان فهم عنه أعجز وكذلك نقول ان من كان من أهل اللسان العربي الا انه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى الى معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة وما يعتونه فصحا بليغا بارعا من غيره فهو كالأعمى في انه لا يمكنه ان يعرف اعجاز القرآن الا بمثل ما بينا ان يعرف به الفارسي الذي بدأ يتركوه وهو ومن ليس من أهل اللسان سواء فأما من كان قد تنهى في معرفة اللسان العربي ووقف على طرقها ومذايبها فهو يعرف القدر الذي ينتهى اليه وسع المتكلم من الفصاحة ويعرف ما يخرج عن الوسع ويتجاوز حدود القدرة فليس يخفى عليه اعجاز القرآن كما عجز عن جنس الخطب والرسائل والشعر وكما عجز عن الشعر الجيد والردى والفصيح والبديع والنادر والبارع والغريب وهذا كما

يميز أهل كل صناعة صنعتهم فيعرف الصيرفي من النقد ما يخفى على غيره ويعرف البزاز من قيمة الثوب وجودته ووراءته ما يخفى على غيره وإن كان يبقى مع معرفة هذا الشأن أمر آخر وربما اختلفوا فيه لأن من أهل الصناعة من يختار الكلام المتين والقول الرصين ومنهم من يختار الكلام الذي يروق مأثره وتروع بهجته ورواؤه ويسلس مأخذه ويسلم وجهه ومنفذه ويكون قريب المتناول غير عويص اللفظ ولا غامض المعنى كما يختار قوم ما ينحسر معناه ويقرب لفظه ولا يختار ما سهل على اللسان وسبق إلى البيان وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصف زهيراً فقال كان لا يدح الرجل إلا بما فيه وقال لعبد بن الحسحاس حين أنشده \* كفى الشيب والأسلام للرهناهما \*

أمانته لو قلت مثل هذا لأجزئك عليه وروى أن جريراً سئل عن أحسن الشعر فقال قوله إن الشقي الذي في النار منزله • والفوز فوز الذي ينجوم من النار كأنه فضله لصديق معناه ومنهم من يختار الغلو في قول الشعر والافراط فيه حتى ربما قالوا أحسن الشعر كذبه كقول النابغة

يقدم السلوقي المضاعف نسجه \* ويوقدن بالصفاح نار الحباب  
وأكثرهم على مدح المتوسط بين المذهبيين في الغلو والاقتصاد في المنانة والسلاسة ومنهم من رأى أن أحسن الشعر ما كان أكثر صنعة والطف تعجلاً وإن يقتصر الالفاظ الرشيقة للعاني البديعة والقوافي الواقعة كذهب البهري وعلى ما وصفه عن بعض الكتاب في نظام من البلاغة ماش — ك امرؤ انه نظام فريد  
وبدبغ كأنه الزهر الضا • حك في رونق الربيع الجديد  
حزن مستعمل الكلام اختياراً \* وتجنب ظلمة التعقيد  
وركن اللفظ القريب فادرك \* ن به غاية المراد البعيد

ويروى أن من تعدى هذا كان سالماً مسلماً عامياً ولم يروه شاعراً ولا مصيباً وفيها كتب الحسن بن عبد الله أبو أحمد العسكري قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرني عبد الله بن الحسن قال قال لي البهري دعاني على بن الجهم فضيت إليه فافتننا في أشعار المحدثين إلى أن ذكرنا شعراً شجع فقال لي أنه يخلى وأعادها مرات ولم أفهمها وانفت أن أسأله عن معناها فلما انصرفت أفكرت في الكلمة ونظرت في شعره فاذا هو رباعيات الأبيات مغسوة ليس فيها بيت رائع وإذا هو يريد هذا بعينه أن يعمل الأبيات فلا يصيب فيها بيت نادر كما أن الراعي إذا رمى برشق فلم يصب بشئ تيل قد أدخل قال وكان علي بن الجهم أحسن الناس بحلاً بالشعر وقوم من أهل اللغة يميلون إلى الرصين من الكلام الذي يجمع الغريب والمعاني

مثل أبي عمرو بن العلاء وخلف الأجر والاصمعي ومنهم من يختار الوحشي من الشعر كما اختار المفضل للتصور من المفضليات وقيل انه اختار ذلك لميله الى ذلك الفن وذكر الحسن ابن عبد الله انه أخبره بعض الكتاب عن علي بن العباس قال حضرت مع الجعفي مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد سألت الجعفي عن أبي نواس ومسلم بن الوليد أيهما أشعر فقال الجعفي أبو نواس أشعر فقال عبيد الله ان أبا العباس ثعلب لا يطالبك على قولك وبفضل مسلم فقال الجعفي ليس هذا من عمل ثعلب وذو به من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله انما يعلم ذلك من وقع في سلك الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضروره فقال له عبيد الله وريبت بك زنادي يا أبا عبيدة وقد وافق حكمك حكم أخيك بشار بن برد في جرير والفرزدق أيهما أشعر فقال جرير أشعرهما فقبل له بما ذاق قال لان جرير اشتد اذا شاء وليس كذلك الفرزدق لانه يشتد ابداف قبل له فان يونس وأبا عبيدة يفضلان الفرزدق على جرير فقال ليس هذا من عمل أولئك القوم انما يعرف الشعر من يضطر الى أن يقول مثله وفي الشعر ضرر ولم يحسنها الفرزدق ولقد ماتت النوار امرأته فراح عليها بقول جرير

لولا الحياء لعاذني استعبار \* وزوت قبرك والحبيب يزار

وروى عن أبي عبيدة انه قال للفرزدق مالك لا تنسب كما ينسب جرير فغاب حولاً ثم جاء فأنشد يا أخت ناجية بن سامة اني • أخشى عليك نبي ان طلبوا دمي

والاعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام من الجنس الذي جمعه في كتاب الحاسة وما اختاره من الوحشيات وذلك انه تنكر المستنكر الوحشي والمبتذل العاوي وأتى بالواسطة وهذه طريقة من ينصف في الاختيار ولا يعدل به غرض يخص لان الذين اختاروا الغريب فانما اختاروه لغرض لهم في تفسير ما يشبهه على غيرهم وإظهار التقدم في معرفته وعجز غيرهم عنه ولم يكن قصدهم جيد الاشعار لشي يرجع اليها في انفسها وبين هذا ان الكلام موضوع للابانة عن الاغراض التي في النفوس واذا كان كذلك وجب ان يختير من اللفظ ما كان أقرب الى الدلالة على المراد وأوضح في الابانة عن المعنى المطلوب ولم يكن مستكره المطلع على الاذن ومستنكر المورء على النفس حتى يتأني بغرابته في اللفظ عن الافهام أو يمنع بتعويض معناه عن الابانة ويجب ان يتنكب ما كان عليه اللفظ مبتذل العبارة ركيك المعنى سفاسف في الوضع محتلب التأسيس على غير أصل ممد ولا طريق موطن وانما فضلت العربية على غيرها لاعتدالها في الوضع ولذلك وضع أصلها على أكثرها بالحرروف المعتدلة فقد أهملوا الانفاط المستكره في نظمها وأسقطوها من كلامهم فحري لسانهم على الاعدل ولذلك صار أكثر كلامهم من الثلاثي لانهم بدؤا بحرف وسكتوا على آخر



وجعلوا حرفا وصلة بين الحرفين لئلا يتم الابتداء والانهاء على ذلك والثاني أقل وكذلك الرابع والخامس أقل ولو كان كله ثنائيا لتكررت الحروف ولو كان كله باعيا أو خماسيا لتكررت الكلمات وكذلك بنى أمر الحروف التي ابتدئ بها السور على هذا فأكثر هذه السور التي ابتدئت بذكر الحروف ذكر فيها ثلاثة أحرف وما هو أربعة أحرف سورتان وما ابتدئ بخمسة أحرف سورتان فأما مبادئ بحرف واحد فقد اختلفوا فيه فهم من لم يجعل ذلك حرفا وإنما جعله فعلا واسم الشئ خاص ومن جعل ذلك حرفا قال أراد ان يحقق الحروف مفردا ومنظوما ولصيق ماسوى كلام العرب أو لخروجه عن الاعتدال يتكرر في بعض الالسنه الحرف الواحد في الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة كثيرا كقوت تكرر الطاء والسين في لسان يونان وكقوت الحروف الكثيرة التي هي اسم لشي واحد في لسان الترك ولذلك لا يمكن ان ينظم من الشعر في تلك الالسنه على الاعراض التي تمكن في اللغة العربية والعربية أشدها تمكلا وأشرفها انصرفا وأعد لها ولذلك جعلت حلية لنظم القرآن وعلق بها الاعجاز وصارت دلالة في النبوة وإذا كان الكلام انما يفيد الابانة عن الاغراض القائمة في النفوس التي لا يمكن التوصل اليها بأنفسها وهي محتاجة الى ما يعبر عنها كما كان أقرب في تصويرها وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها وكان مع ذلك أحكم في الابانة عن المراد وأشد تحقيقا في الايضاح عن الطلب وأعجب في وضعه وأرشق في تصرفه وأبرع في نظمه كان أولى وأحق بأن يكون شريفا وقد شبهوا النطق بالخط والخط يحتاج مع بيانه الى رشاقة وصحة ولفظ حتى يحوزا الفضيلة ويجمع الكمال وشبهوا الخط والنطق بالتصوير وقد أجمعوا ان من أحسن المصورين من صور لك البياكى المتضاحك والبياكى الحزين والضحاك المتبكي والضحاك المستبشر وكأنه يحتاج الى لطف يد في تصوير هذه الامثلة فكذلك يحتاج الى لطف في اللسان والطبع في تصوير ما في النفس للغير وفي جملة الكلام الى ما تنقص عبارته وتفضل معانيه وفيه ما تنقص المعاني وتفضل العبارات وفيه ما يقع كل واحد منهما وفقا للآخر ثم ينقسم ما يقع وفقا الى انه قديم فريدها على تفصيل وكل واحد منهما قديم ينقسم الى ما يفيد على ان يكون كل واحد منهما مبدعا شريفا وغريا لطيفا وقد يكون كل واحد منهما مستقبلا متكلفا ومصنوعا متعسفا وقد يكون كل واحد منهما حسنا شيقا وبهجا نضيرا وقد يتفق أحدهما من دون الآخر وقد يتفق ان يسلم الكلام والمعنى من غير رشاقة ولا نضارة في واحد منهما انما يميز من غير ويعرف من يعرف والحكم في ذلك صعب شديد والفضل فيه شأو بعيد وقد قل من يميز أصناف الكلام فقد حكى عن طبقة أبي عبيدة وخلف الاجر وغيرهم في زمانهم انهم قالوا ذهب من يعرف نقد الشعر

وقد بينا قبل هذا اختلاف القوم في الاختيار وما يجب ان يجمعوا عليه ويرجعوا عند التحقيق اليه وكلام المقتدر غلط وكلام المتوسع باب وكلام المطبوع له طريق وكلام المتكلف له منهاج والكلام المصنوع المطبوع له باب ومتى تقدم الانسان في هذه الصنعة لم تخف عليه هذه الوجوه ولم تشبهه عنده هذه الطرق فهو غير قادر كل متكلم بكلامه وقدر كل كلام في نفسه وبحاله محله ويعتقد فيه ما هو عليه وبحكم فيه بما يستحق من الحكم وان كان المتكلم يجود في شئ دون شئ عرف ذلك منه وان كان يعم احسانه عرف الا ترى ان منهم من يجود في المدح دون الهجو ومنهم من يجود في الهجو وحده ومنهم من يجود في المدح والسخر ومنهم من يجود في الاوصاف والعالم لا يشذ عنه مراتب هؤلاء ولا يذهب عليه اقدارهم حتى انه اذا عرف طريقه شاعر في قصائده معدودة فأنشد غيرهما من شعره لم يشك ان ذلك من نسجه ولم يرتب في انه من نظمه كما انه اذا عرف خط رجل لم يشبهه عليه خطه حيث رآه من بين الخطوط المختلفة وحتى يميز بين رسائل كاتب وبين رسائل غيره وكذلك أمر الخطب فان اشبهه عليه البعض فهو لاشتباه الطريقتين وتمائل الصورتين كما قد يشبه شعر أبي تمام بشعر البحتري في القليل الذي يترك أبو تمام فيه التصنع ويقصد فيه التسهيل ويسلك الطريقة الكيكية ويتوجه في تقريب الالفاظ وترك تعويض المعاني ويتفوق له مثل بهجة أشعار البحتري والفاظه ولا يخفى على أحد يميز هذه الصنعة سبك أبي نواس ولا نسج ابن الرومي من نسج البحتري وينبئه ديباجة شعر البحتري وكثرة مائه وبديع رونقه وبهجة كلامه الا فيما يسترسل فيه فيشبهه بشعر ابن الرومي ويحركه بالشعر أبي نواس من الخلاوة والرقوة والشفافة والسلاسة حتى يفرق بينه وبين شعر مسلم وكذلك يميز بين شعر الاعشى في التصرف وبين شعر امرئ القيس وبين شعر النابغة وزهير وبين شعر جرير والاخلط والبعيث والفرزدق وكل له منهج معروف وطريق مألوف ولا يخفى عليه في زماننا الفصل بين رسائل عبد الحميد وطبقته وبين طبقة من بعده حتى انه لا يشبهه عليه ما بين رسائل ابن الحميد وبين رسائل أهل عصره ومن بعده ممن برع في صنعة الرسائل وتقدم في شأوها حتى جمع فيها بين طرق المتقدمين وطريقة المتأخرين حتى خلص لنفسه طريقة وأنشأ لنفسه منها فسلك تارة طريقة الجاحظ وتارة طريقة السجع وتارة طريقة الاصل وبرع في ذلك باقتداره وتقدم بحدته ولكنه لا يخفى مع ذلك على أهل الصنعة طريقه من طريق غيره وان كان قد يشبهه البعض ويدق القليل وتعمض الاطراف وتشذ النواحي وقد يتقارب سبك نفر من شعراء عصر وتبدان رسائل كآب دهر حتى تشبهه اشتباها شديدا وتمائل تماثلا قريبا فيغض الفصل وقد يتشاكل الفرع والاصل وذلك

فما لا يتعدو ادراك أمده ولا يتصعب طلاب شأوه ولا يتعجب بلوغ غابته والوصول الى نهايته لان الذى يتفق من الفصل بين أهل الزمان اذا تفاضلوا وتفاوتوا فى مضممار فصل قريب وأمر يسير وكذلك لا يخفى عليهم معرفة سارق الاقفاط وسارق المعاني ولا من يخترعها ولا من يلزمها ولا من يجاهر بالاخذ من يكاتبه ولا من يخترع الكلام اختراعا ويتبدده ابتدائها من يروى فيه ويجيل الفكر فى تنقيحه ويصبر عليه حتى يتخلص له ما يريد وحتى يتكرر نظره فيه قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو يقول زهير والخطيئة وأشباهها معابد الشعر لانهم نقيضوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين وكان زهير يسمى كبر شعره الحوليات المنقمة وقال عدى بن الرقاع

وقصيدة قد بت أجمع بينها \* حتى أقوم صيلها وسنادها

نظر المنقف فى كعوب قنانه • حتى يقيم ثقافه متأداه

وكقول سويد بن كراع

أبيت بأبواب القوافى كأنما • أصادى هم امر بامن الوحش نزعا

ومنهم من يعرف بالبدية وحدة الخاطر ونقاد الطبع وسرعة النظم يرتجل القول ارتجالا ويطبعه عفوا صفوا فلا يقعد به عن قوم قد تعبوا وكثروا أنفسهم وجاهدوا خواطرهم وكذلك لا يخفى عليهم الكلام العلو واللفظ الملو كى كما لا يخفى عليهم الكلام العالى واللفظ السوفى ثم تراهم ينزلون الكلام تنزيلا ويعطونه كيف تصرف حقوقه ويعرفون مراتبه فلا يخفى عليهم ما يختص به كل فاضل تقدم فى وجهه من وجوه النظم من الوجه الذى لا يشاركه فيه غيره ولا يساهمه سواه ألا تراهم وصفوا زهيراً بأنه أمدحهم وأشدهم اثر شعره قاله أبو عبيدة وروى ان الفرزدق انتحل بيتا من شعر جرير وقال هذا يشبه شعزى فكان هؤلاء لا يخفى عليهم ما قد نسبناه اليهم من المعرفة بهذا الشأن وهذا كما يعلم البزازون هذا الديباج عمل يتستر وهذا الميعل يتستر وان هذا من صنعة فلان دون فلان ومن نسج فلان دون فلان حتى لا يخفى عليه وان كان قد يخفى على غيره ثم انهم يعلمون ايضا من له سميت بنفسه ورفت برأسه ومن يقتدى فى الاقفاط وفى المعاني أو فيهما بغيره ويجعل سواه قدوة ومن يلزم فى الاحوال بذهب غيره ويأتى فى الاحيان بمخترعه وهذه أمور مهيمة عند العلماء وأسباب معروفة عند الادباء وكما يقولون ان البهترى بغير على أبى تمام اغارة وياخذ منه صريحا وإشارة ويستأنس بالاخذ منه بخلاف ما يستأنس بالاخذ من غيره ويألف اتباعه كالألف اتباع سواه وكما كان أبو تمام يلزم بأبى نواس ومسلم وكما يعلم ان بعض الشعراء يأخذ من كل أحد ولا يقاهاش ويؤلف ما يقوله من فرق شتى وما الذى نفع

المتنبى جوده الاخذ وانكاره معرفة الطائنين وأهل الصنعة يدلون على كل حرف أخذه  
منهم ما جهارا أو الهم ما فيه سرارا أو ما لم يأخذ عن الغير ولكن سلك الفط وراعى النهج  
فهم يعرفونه ويقولون هذا اشبه به من التمرة بالتمرّة وأقرب اليه من الماء الى الماء وليس  
بينهما الا كباين الليلة والليلة فاذا تابنا وذهب أحدهما فى غير مذهب صاحبه وسلك فى  
غير جانبه قيل بينهما ما بين السماء والارض وما بين النجم والنون وما بين المشرق والمغرب  
وانما أطلت عليك ووضعت جميعه بين يديك لتعلم ان أهل الصنعة يعرفون دقيق هذا الشأن  
وجليله وغامضه وجليله وقرينه وبعيدة ومعوجه ومستقيمة فكيف يخفى عليهم الجنس  
الذى هو بين الناس متداول وهو قريب متناول من أمر يخرج عن أجناس كلامهم  
ويبعد عما هو فى عرفهم ويفوت موافق قدرهم واذا اشتبه ذلك فاعلم ان اشتبه على ناقص فى  
الصنعة أو ناقص عن معرفة طرق الكلام الذى يتصرفون فيه ويدرونه بينهم ولا يتجاوزونه  
فلكلامهم سبل مضبوطة وطرق معرفة محصورة وهذا كما يشبهه على من يدعى الشعر  
من أهل زماننا والعلم بهذا الشأن فيدعى انه أشعر من البهترى ويتوهم انه أدق مسلكا من  
أبي نواس وأحسن طريقا من مسلم وأنت تعلم انهما متباعدان وتحقق انهما لا يجتمعان  
ولعل أحدهما انما يلحظ عبارة صاحبه ويطالع ضياء نجمه ويراعى حروف جناحه وهو  
راكذ فى موضعه ولا ينظر البهترى ظنه ولا يلحقه بشأوه وهمه فان اشتبهه على متأذب أو  
متشاعر أو ناثق أو مرمد فصاحة القرآن وموقع بلاغته وعجيب براعته فما عليك منه  
انما يخبر عن نقصه ويدل على عجزه ويبين عن جهله ويصرح بسخافته فهمه وركاكة  
عقله وانما قد منا ما فتناه فى هذا الفصل لتعرف ان ما أذعنناه من معرفة البليغ بعلو  
شأن القرآن وعجيب نظمه وبديع تأليفه أمر لا يجوز غيره ولا يحتمل سواه ولا يشبهه على  
ذى بصيرة ولا يخجل عند أخى معرفة كما يعرف الفصل بين طباع الشعراء من أهل الجاهلية  
وبين الخضرين وبين المحدثين وبميزين من يجرى على شاكله طبعه وغريزة نفسه وبين  
من يشتغل بالتكليف والتصنع وبين من يصير التكليف كالطبع وبين من كان مطبوعه  
كالتعمل المصنوع هيئات هيئات هذا أمر وان دق فله قوم يقبلونه علما وأهل يحيطون به  
فهما ويعرفونه اليك ان شئت ويصورونه لديك ان أردت ويجلون على خواطر ان  
أحييت ويعرضونه لفظتكم ان حاولت وقد قال القائل

للحرب والضرب أقوام لها خلقوا • وللدواوين كتاب وحساب

ولكل عمل رجال ولكل صنعة ناس وفى كل فرقة الجاهل والعالم والمتوسط ولكن قد قل من  
عجز فى هذا الفن خاصة وذهب من يحصل فى هذا الشأن الا قليلا فان كنت ممن هو بالصفة

التي وصفناها من التناهي في معرفة الفصاحات والتحقيق بمجاري البلاغات فاعلمنا يكفينا  
التأمل ويغنيك التصور وان كنت في الصنعة مرمدا وفي المعرفة بها متوسطا فلا بد لك  
من التقليد ولا غنى بك عن التسليم أن الناقص في هذه الصنعة كالخارج عنها والشاذ  
فيها كالبائت منها فان أراد ان يقرب عليه أمرا وينسخ له طريقا ويفتح له بابا ليعرف به  
اعجاز القرآن فانا نضع بين يديه الامثلة ونعرض عليه الاساليب ونصور له صورة كل قبيل  
من النظم والنثر ونحضر له من كل فن من القول شيئا يتأمله حق تأمله ويراعيه حق  
مراعاه فيستدل استدلال العالم ويستدرك استدراك الناقد ويقطعه الفرق بين الكلام  
الصادر عن الربوبية الطامع عن الالهية الجامع بين الحكم والحكم والاختبار عن  
الغيوب والغائبات والمنضمين لمصالح الدنيا والدين والمستوعب لجلبية اليقين والمعاني  
المختصرة في تأسيس أصل الشريعة وفروعها بالالفاظ الشريفة على تمنها ونصرفها ونهد  
الى شئ من الشعر المجمع عليه فبين وجه النقص فيه وندل على انحطاط رتبته ووقوع  
أبواب الخلل فيه حتى اذا تأمل ذلك وتأمل ما ذكره من تفصيل اعجاز القرآن وفصاحته  
وعجيب براعته انكشف له واقعه وثبت ما وصفناه لديه ووضح وليعرف حدود البلاغة  
ومواقع البيان والبراعة ووجه التقدم في الفصاحة وذكر الجاحظ في كتاب البيان  
والتبيين ان الفارسي سئل فقيل له ما البلاغة فقال معرفة الفصل من الوصل وسئل  
اليوناني عنها فقال تصحيح الاقسام واختيار الكلام وسئل الرومي عنها فقال حسن  
الاقتضاب عند البدهة والغزارة يوم الاطالة وسئل الهندي عنها فقال وضوح الدلالة  
وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال مرة التماس حسن الموقع والمعرفة بساحات  
القول وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غرض وشرد من اللفظ ونعذر وزينته ان تكون  
السمائل موزونة والالفاظ معدلة والهجعة نقية وأن لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ويكون  
في قواه فضل التصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل  
التنقيح وبصفيها كل النصفية ويهذبها بغاية التهذيب وأما البراعة ففيما يذكر أهل  
اللغة الخلق بطريقة الكلام وتجويده وقد يوصف بذلك كل متقدم في قول أو صناعة  
وأما الفصاحة فقد اختلفوا فيها منهم من عبر عن معناها بأنه ما كان جزل اللفظ حسن المعنى  
وقد قيل معناها الاقتدار على الابانة عن المعاني الكامنة في النفوس على عبارات جلية  
ومعان نقية بهية والذي يصور عندك ما ضمننا تصويره ويحصل عندك معرفته اذا كنت  
في صنعة الادب متوسطا وفي علم العربية متبيننا ان تنظر أولا في نظم القرآن ثم في شئ من  
كلام النبي صلى الله عليه وسلم فتعرف الفصل بين النظمين والفرق بين الكلامين فان

تبين لك الفصل ووقعت على جليلة الامر وحقيقة الفرق فقد أدركت الغرض وصادفت المقصد وان لم تفهم الفرق ولم تقع على الفصل فلا بد لك من التقليد وعلمت انك من جملة العامة وان سبيلك سبيل من هو خارج عن أهل اللسان

﴿ خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم ﴾

روى طه بن عبيد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على منبره يقول ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا وبادروا الأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرته ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتوحدوا وتتصروا واعلموا ان الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة في مقامى هذا في عامي هذا في شهرى هذا الى يوم القيامة حياتي ومن بعد موتي فمن تركها وله امام فلاجع الله له شمله ولا بارئ له في أمره ألا ولا جملة ألا ولا صومه ألا ولا صدقته ألا ولا بره ألا ولا يوم اعرابي مهاجرا ألا ولا يوم فاجر مؤمنا الا ان يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه

﴿ خطبة له صلى الله عليه وسلم ﴾

أيها الناس ان لكم معام فأنتموا الى معالمكم وان لكم نهاية فأنتموا الى نهايتكم ان المؤمن بين مخافتين بين أجل قدمضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله تعالى قاض عليه فيه فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لا آخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب ولا بعد الدنيا دار الاجنة أو النار

﴿ خطبة له صلى الله عليه وسلم ﴾

ان الحمد لله أحمده وأستعينه نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد ان لا اله الا الله وخده لا شريك له ان أحسن الحديث كتاب الله قد أفصح من زينه الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس انه أصدق الحديث وأبلغه أحبوا من أحب الله وأحبوا الله من كل قلوبكم ولا تعلموا كلام الله وذكره ولا تنسوا عليه قلوبكم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا اتقوا الله حق تقاته وصدقوا صالحي ما تنملون بأفواهكم وتجاوبوا بروح الله بينكم والسلام عليكم ورحمة الله

﴿ خطبة له صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق ﴾

قال بعد حمد الله أيها الناس هل تدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم وفي أي بلد أنتم

قالوا في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام قال ألا فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم  
 حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه ثم قال اسمعوا مني  
 تعيشوا ألا تتظلموا ثلاثاً ألا أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه إلا أن كل دم  
 ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه ألا وان أول دم وضع دمر ببيعة بن الحارث  
 ابن عبد المطلب كان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل ألا وان كل ربا كان في الجاهلية  
 موضوع ألا وان الله تعالى قضى أن أول ربا يوضع ربا عبي العباس لكم رؤس أموالكم  
 لا تظلمون ولا تظلمون ألا وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض  
 منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب  
 بعضكم رقاب بعض ألا وان الشيطان قديس أن يعبد المصلون ولكن في التعريض بينكم  
 اتقوا الله في النساء فانهم عندكم عوان لا يمكن لأنفسهن شيئاً وإن لهن عليكم حقاً ولكم  
 عليهن حق ألا يوطئن فرشكم أحد اغبركم فان خفتم نشوزهن فعضوهن واهجرهن وهن في  
 المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف فانما أخذتوهن  
 بأمانة الله تعالى واستحلتم فروجهن بكلمة الله ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من  
 ائتمنه عليها ثم بسط يده فقال ألا هل بلغت ألا هل بلغت ليبلغ الشاهد الغائب قرب مبلغ  
 أبلغ من سامع

خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده  
 وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة  
 البيت وسقاية الحاج ألا وقتل الخطأ الحمد بالسوط والعصافيه الدية مغلظة منها أربعون  
 خلفه في بطونها أولادها يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها  
 بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس إنا خلقناكم  
 من ذكر وأنثى الآية يا معشر قريش أو يا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم قالوا خيراً أخ  
 كريم وابن أخ قال فاذهبوا فأنتم الطلقاء

خطبته صلى الله عليه وسلم بالخيف

روى زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب بالخيف من منى فقال  
 نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها قرب فقهه لا فقه له ورب  
 حامل فقهه إلى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن إخلاص العمل لله  
 والنصيحة لأولي الأمر ولزوم الجماعة أن دعوتهم تكون من ورثته ومن كان همه إلا الآخرة

جمع الله له شمسه وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كان همه الدنيا فرتق الله أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له

خطبة له صلى الله عليه وسلم

(رواها أبو سعيد الخدري رضي الله عنه)

خطب بعد العصر فقال أذا ان الدنيا خضرة حلوة ألا وان الله مستخفكم فيها فنناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ألا لا يمنعن رجلا مخافة الناس ان يقول الحق اذا علمه قال ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس الا جرة على أطراف السعف فقال انه لم يبق من الدنيا فيه اذى الا كباقي من يومكم هذا فيما مضى

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ملك فارس

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاء الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لا نذر من كان حيا وبحق القول على الكافر ان فاسلم تسلم

كتاب له صلى الله عليه وسلم الى النجاشي

من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت فاني أجد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكنته ألقاها الى مريم البتول الطيبة فحملت بعيسى فحملته من روحه ونفخه كما خلق آدم من طين بيده ونفخه واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموا لاة على طاعته وان تتب عني وتؤمن بالذي جاءني واني أدعوك وجنودك الى الله تعالى فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحتي والسلام على من اتبع الهدى

نسخة عهد الصلح مع قريش عام الحديبية

هذا ما صلح عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو واصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشرين سنة يأمن فيه الناس ويكف فيه بعضهم عن بعض على انه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير دوه عليه وان يئتنا عيبة مكفوفة وانه لا اسلار ولا اغلال وانه من أحب ان يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه ومن أحب ان يدخل في عهد قريش وعهدهم دخل فيه وانك ترجع عنا عامك هذا فلان دخل علينا مكة فاذا كان عاما قابلا خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقت بها اثلانا وان معك سلاح الراكب والسيوف في الركب فلان دخلها بغير \* هذا ولا أطول عليكم واقتصر على ما ألقبته اليك



فان كان لك في الصنعة حظ أو كان لك في هذا المعنى حس أو كنت تضرب في الأدب بسهم أو في العربية بقسط وان قل ذلك السهم أو نقص ذلك النصيب فما أحسب انه يشته به عليك الفرق بين براعة القرآن وبين ما نسخناه لك من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبه ورسائله وما عساك تسمعه من كلامه ويتساقط اليك من ألفاظه وأقدر انك ترى بين الكلامين بونا بعيدا وأمداما مديدا وميدانا واسعا ومكانا شاسعا فان قلت لعله ان يكون نعل للقرآن وتصنع لنظمه وشبه عليك الشيطان ذلك من خبثه فتثبت في نفسك وارجع الى عقلك واجمع لبك وتيقن ان الخطيب يحتشد لها في المواقف العظام والمحافل الكبار والمواسم الفخام ولا يتجاوز فيها ولا يستهان بها والرسائل الى الملوكة مما يجمع لها الكاتب جواميزه ويشمر لها عن جد واجتهاد فكيف يقع بها الاخلال وكيف يتعرض للتغريب فستعلم لاحالة ان نظم القرآن من الامر الالهى وان كلام النبي صلى الله عليه وسلم من الامر النبوى فاذا أردت زيادة في التبيين وتقدم في التعرف واشرافا على الجليلة وفوزا بحكم القضية فتأمل هذا الله ما نسخناه لك من خطب الحجابة والبلغاء لتعلم ان نسجها ونسج ما نقلنا من خطب النبي صلى الله عليه وسلم واحد وسبكها سبك غير مختلف وانما يقع بين كلامه وكلام غيره ما يقع من التفاوت بين كلام الفصيح وبين شعر الشاعرين وذلك أمره مقدار معروف وحديثه الى مضبوط فاذا عرفت ان جميع كلام الآدمي منهاج والجلته طريق وتبينت ما يمكن فيه من التفاوت نظرت الى نظم القرآن نظرة أخرى وتأملته مرة ثانية فتراعى بعد موقعة وعالى محله وموضعه وحكمت بواجب من اليقين وثب الصدر بأصل الدين

خطبة لأبي بكر الصديق رضى الله عنه

قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فاني وليت أمركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن ورسن النبي صلى الله عليه وسلم وعلما فعلنا واعلموا ان أكيس الكيس التقى وان أحق الحق الفجور وان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذله بحقه وان أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق أيها الناس انما أنا متبع ولست بمتبع فان أحسنت فأعينوني وان زغت فقوموني

عهد لأبي بكر الصديق الى عمر رضى الله عنهما

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ساعة يؤمن فيها للكافر ويبتقى فيها الفاجر انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدك فذاك ظني به ورأيي فيه وان جار وبدل فلا

علم لي بالغيب والخير أردت لاسكم ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وفي حديث عبد الرحمن بن عوف رجة الله عليه قال دخلت على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في علته التي مات فيها فقلت أراك بارئاً يا خليفة رسول الله فقال أما اني على ذلك لشديد الوجع وماليت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي اني وليت أموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم أنفه ان يكون له الامر من دونه والله لتتخذن نضائد الدياج وستورا لحر برولت لمن النوم على الصوف الاذربي كما يألم أحدكم النوم على حسل السعدان والذي نفسي بيده لان يقدم أحدكم فضر برقبته في غير خديره من ان يخوض غمرات الدنيا يا هادي الطريق جزت انما هو والله الفجر أو البحر قال فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يهيضك الى ما بك فوالله ما زلت صالحا مصحلا تاأسى على شيء فانك من أمر الدنيا ولقد تخليت بالامر وحدك فما رأيت الا خيرا وله خطب ومقامات مشهورة اقتصرنا منها على ما نقلنا منها قصة السقيفة

( نسخة كتاب )

كتب أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فانا عهدناك وأمر نفسك لك أمهم فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحرها وأسودها يجلس بين يديك الصديق والعدو والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل فانظر كيف أنت يا عمر عند ذلك فانا نحذرك يوما نعنو فيه الوجه وتجب فيه القلوب وانا كنا نتحدث ان هذه الامة ترجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية أعداء السريرة وانا نعنو بالله أن تنزل كتابنا سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا فانا انما كتبنا اليك نصيحة والسلام

فكتب اليهما من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل سلام عليك فاني أجد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فقد جاني كتابكما تزعمان انه بلغكما اني وليت أمر هذه الامة أحرها وأسودها يجلس بين يدي الصديق والعدو والشريف والوضيع وكتبتما ان انظر كيف أنت يا عمر عند ذلك وانه لا حول ولا قوة لعمرك عند ذلك الا بالله وكتبتما يحذران ما حذرت به الأمم قبلنا وقد بما كان اختلاف الليل والنهار بأجل الناس يقر بان كل بعيد ويبلبان كل جديد ويأتیان بكل موعود حتى يصبر الناس الى منازلهم من الجنة أو النار ثم توفي كل نفس بما كسبت ان الله مريب الحساب وكتبتما تزعمان ان أمر هذه الامة يرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية أعداء السريرة واستم بذلك وليس هذا ذلك الزمان ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرغبة فيكون رغبة بعض الناس

الى اصلاح دينهم ورهبه بعض الناس اصلاح دنياهم وكتبتم انعود انى بالله ان أنزل  
كتابكم منى سوى المنزل الذى نزل من قلوبكم وانما كتبتم نصيحة لى وقد صدقتكم  
فتعهدانى منكم: كآب ولاغنى فى عنكم

عهد من عهود عمر رضى الله عنه

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن  
قيس سلام عليك أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلى اليك  
فانه لا ينفع ~~ت~~كلم بحق لا نفاذه آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجاسك حتى لا يطمع  
شريف فى حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر  
والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيت به بالامس  
فراجعت فيه عقلك وهديت لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق  
خير من التماهى فى الباطل الفهم الفهم فيما تلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ثم  
اعرف الاشباه والامثال وقس الامور عند ذلك واعمد الى أشبهها بالحق واجعل لمن ادعى  
حقا غائبا أو بينة أمرا ينتهى اليه فان أحضر بينة أخذت له بحقه والاستحلت عليه  
القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعى المسلمون عدول بعضهم على بعض الاجلودا فى حد أو  
مجر با عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ  
بالإيمان والبيئات واياك والغلو والخبر والتأذى بالخصوم والتشكر عند الخصومات فان  
الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه  
كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شأنه الله فما  
ظنك بشواب الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام ولعمر رضى الله عنه  
خطب مشهورة مذكورة فى التاريخ لم ننقلها اختصارا

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

(خطبة له رضى الله عنه)

قال ان لكل شئ آفة وان لكل نعمة عاهة فى هذا الدين عيايون ظنانون يظهرون لكم  
ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم ويقولون طغام مثل النعام يتبعون  
أول ناعق أحب مواردكم اليهم النازح لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما أنتم على  
ولكنه وقكم وقكم وزجركم زجر النعام الخزمية والله انى لأقرب ناصرا وأعز نفرا وأقن  
ان قلت لهم أن تجاب دعوى من عمر هل تفقدون من حقوقكم شيئا فالى لا أفعل فى الحق  
ما أشاء اذا قلتم كنت اماما

﴿ كتابه الى علي حين حضر رضى الله عنهما ﴾

أما بعد فقد بلغ السيل الزبي وجاوز الحزام الطيبين وطمع في من لا يدفع عن نفسه فاذا أتاك كتابي هذا فاقبل الى "علي" كنت أم لي

فان كنت ما كولا فكن خيرا كل \* والا فأدر كني ولما أمرق

(ومن كلام علي "رضي الله عنه") قال لما قبض أبو بكر رضى الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض النبي صلى الله عليه وسلم وجاء علي "با يكما سترجعوا هو يقول اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف علي باب البيت الذي فيه أبو بكر فقال رحك الله أبا بكر كنت الف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسه ونقته وموضع سره كنت أول القوم اسلا ما وأخلصهم ايماناً وأشدهم بقيناً وأخوفهم لله وأعظمهم غناء في دين الله وأحوطهم على رسوله وآمنهم على الاسلام وآمنهم على أحمابهم أحسنهم حمية وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأقر بهم وسيلة وأقر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سننا وهدى ورجة وفضلا وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده جزاك الله عن الاسلام وعن رسوله خيرا كنت عنده بمنزلة السمع والبصر صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس فسمك الله في تنزيله صديقا فقال والذي جاء بالصدق وصدق به واسيته حين بخلوا وقت معه عند المكاره حين عنه قعدوا وصحبته في الشدة أكرم الصحبة ناني اثنين وصاحبه في الغار والمنزل عليه السكينة والوقار ورفيقه في الهجرة وخليفته في دين الله وفي أمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس فهضت حين وهن أصحابك وبرزت حين استكانوا وقويت حين ضعفوا وقت بالامر حين فشلوا ونظقت حين تبععوا مضيت بنور اذ وقفوا واتبعوك فهدوا وكنت أصوبهم منطلقا وأطولهم صمتا وأبلغهم قولاً وأكثرهم رأيا وأتبعهم نفسا وأعرفهم بالامور وأشرفهم عملا كنت للمدين يعسو بأولا حين نفر عنه الناس وآخرها حين اقبلوا وكنت لأومنين أبارحيا اذ صار واعليك عيا لا خملت انقال ما ضعفوا ورعبت ما أهملوا وحفظت ما أضاعوا شمرت اذ خنعوا وعلوت اذ هلعوا وصبرت اذ جزعوا وأدركت أوتار ما طلبوا وراجعوا رashedهم برأيك ظفروا وناولوا بك ما لم يحتسبوا وكنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن الناس عليه في صحبتك وذات يدك وكنت كما قال ضعيفا في بدنك قويا في أمر الله متواضعا في نفسك عظيما عند الله جليلا في أعين الناس كبيرا في أنفسهم لم يكن لاحد فيك منزع ولا لاحد مطمع ولا لخلق عندك هوادة الضعيف الذليل عندك قوى عزيز حتى تأخذه بحقه والقوى العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق القريب والبعيد عندك سواء أقرب الناس اليك أطوعهم لله شأنك الحق والصدق والرفق

قولك حركم وأمرك حزم ورأيك علم وعزم فأبلغت وقد نهج السبيل وسهل العسير وأطفأت النيران واعتدل بك الدين وقوى الإيمان وظهر أمر الله ولو كره الكافرون واتعبت من بعدك اتعابا شديدا وفزت بالجد فوزا مبينا فجالت عن البكاء وعظمت رزيتك في السماء وهدت مصيبتك الأنام فالله وأنا إليه راجعون رضينا عن الله قضاءه وسلمناه أمره فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أبدا فأحقك الله بنبية ولا حرمانا أجرك ولا أضلنا بعدك وسكت الناس حتى انقضى كلامهم ثم بكوا حتى علت أصواتهم

﴿ خطبة أخرى لعلي رضي الله عنه ﴾

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأدنت بوداع وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وإن المضمار اليوم وغدا السباق ألا وإنكم في أيام مهمل ومن ورائه أجل فمن أخلص في أيام أمه فقد فاز ومن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أمه ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ألا وإني لم أراكم لجنة نام طالها ولا كالتار نام هاربها ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لم يستقم به الهدى يجر به الضلال ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودلتهم على الزاد ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم الهوى وطول الأمل (وخطب) فقال بعد حمد الله أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو ما دنياء التي تحسنت إليه بخلف من الآخرة التي فيها سوء النظر إليه وما الخسيس الذي ظفر به من الدنيا بأعلى همته كالآخر الذي ظفر به من الآخرة من سهمته

﴿ وكتب علي رضي الله عنه إلى عبد الله بن عباس رجه الله وهو بالبصرة ﴾

أما بعد فإن المرء يسر بدرك ما لم يكن ليحرمة ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما قدمت من أجر أو منطق وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك وانظر ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه جزا وما نلت فلا تنعم به فرحا وليكن همك لما بعد الموت

﴿ كلام لابن عباس رضي الله عنه ﴾

قال عتبة بن أبي سفيان لابن عباس ما منع أمير المؤمنين أن يبعثك مكان أبي موسى يوم الحكمين قال منعه والله من ذلك حاجز القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثني مكانه لا اعتراض له في مدارج نفسه نأفضا لما أبرم ومبر ما لنقص أسف إذا طار وأطير إذا أسف ولكن مضى قدر وبقى أسف ومع يومنا غدا والآخرة خير لا مير المؤمنين من الأولى

﴿ خطبة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴾

أصدق الحديث كتاب الله وأصدق العرا كلمة التقوى خير المثل مله إبراهيم وأحسن

السنن سنة النبي صلى الله عليه وسلم خير الامور واسطها وشرا الامور محدثاتها ما قل  
وكفى خيرا ما كثر وألهى خير الغنى غنى النفس وخير ما ألقى في القلب اليقين الخرجام  
الائم النساء حيلة الشيطان الشباب شعبة من الجنون حب الكفاية مفتاح المجزة من  
الناس من لا يأتى الجماعة الا دبرا ولا يذكر الله الا هجرا أعظم الخطايا اللسان الكذوب  
سباب المؤمن فسق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية من يتألى على الله يكذبه من يغفر  
يغفره مكتوب في ديوان المحسنين من عفا عني عنه الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد  
من وعظ بغيره الامور بعواقبها ملاك العمل خواتيمه أشرف الموت الشهادة من يعرف  
البلاء يصبر عليه ومن لا يعرف البلاء ينكره

خطبة لمعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه

قال الراوى لما حضرته الوفاة قال لمولى له من الباب فقال نفر من قريش يتباشرون بموتك  
فقال ويحك ولم تم اذن للناس فحمد الله فأوجز ثم قال أيها الناس انافدا أصبحنا في دهر عنود  
وزمن شديد بعد فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم فيه عتوا لا تنتفع بعلمنا ولا نسأل عما  
جهلنا ولا نتخوف من قارعة حتى تحل بنا فان الناس على أربعة أصناف منهم من لا يمنع الفساد  
في الارض الامهانة نفسه وكلال حده ونضيض وفره ومنهم من المسلط سيفه والمجلب برجله  
والمعلن بشره قد أشرط نفسه وأربق دينه لحطام ينثره أو مقتب يقوده أو منبر يقرعه  
وبئس المنجر ان تراها لنفسك ثمنا ومالك عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة  
ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف  
نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية ومنهم من أقعده عن الملك ضوؤه في نفسه  
وانقطاع سببه فقصرته الحال فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس الزهاد واپس من ذلك في  
مراح ولا تغدى وبقي رجال أغض أبصارهم ذكر المرجع وأراق دموعهم خوف المحشر  
فهم بين شديد نادوا خائف متفجع وساكت مكعوم وداع مخلف وموجع نكلان قد أخلتهم  
التقية وشملتهم الذلة فهم في بحر أجاج أفواهم دامية وقلوبهم قريحة قد وعظوا حتى ملوا  
وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قتلوا فلتكن الدنيا في عيونكم أقل من ختانة القرظ وقراسة  
الجم واتعظوا بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم فافضوها ذميمة فانها قد رفضت  
من كان أشغف بها منكم

خطبة امر بن عبد العزيز رضى الله عنه

أيها الناس انكم ميتون ثم انكم مبعوثون ثم انكم محاسبون فلعمرى اني كنتم صادقين  
لقد قصرتم واني كنتم كاذبين لقد هلكتم يا أيها الناس انه من يقتدر له رزق برأس جبل أو

مخضض أرض ياته فاجلوا في الطلب

خطبة للحجاج بن يوسف

جد الله وأنتي عليه ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الأخلاق  
وبني الكعبة وعبيد العصا وأولاد الأما والفقع بالقرقراني سمعت تكبيرا لا يراد به الله  
وانما يراد به الشيطان وانما مثلي ومثلكم ما قاله ابن بركة الهمداني

و كنت اذا قوم غزوني غزوتهم \* فهل أنا في ذايال همدان ظالم

متى تجمع القلب الذكي وصارما \* وانفا حيا تجتنبك المظالم

أما والله لا نقرع عصا عصا الاجعلتها كأمن الدابر

خطبة لقس بن ساعدة الياي

أخبرني محمد بن علي الأنصاري بن محمد بن عامر قال حدثنا علي بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن  
داود بن عبد الرحمن العمري قال حدثنا الانصاري علي بن محمد الحنظلي من ولد حنظلة  
الغسيل حدثنا جعفر بن محمد عن محمد بن حسان عن محمد بن حجاج اللخمي عن مجالد عن  
الشعبي عن ابن عباس قال لما وفد وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
أيكم يعرف قس بن ساعدة قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال لست أنساه بعكاظ اذ وقف  
على بعير له أجر فقال أيها الناس اجتمعوا واذا اجتمعتم فاسمعوا واذا سمعتم فقولوا واذا وعيتم  
فقولوا واذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات مات وكل ما هو آت أمابعد فان في  
السماء خبرا وان في الأرض لعبرا مهاده موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور  
أقسم بالله قس بن ساعدة قال كاذبا فيه ولا آتمالن كان في الأرض رضا لي يكون من خط ان الله  
تعالى ديناهو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه وقد أتاكم وأوانه ولحقتمكم مدته مالى  
أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ثم قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أيكم يروى شعره فأنشدوه

في الذهبين الاولي • من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارد • لوت ليس لها مصادر

ورأيت قوى نحوها • يسعى الاصاغر والا كابر

لا يرجع الماضي السي • ولا من الباقي غابر

أيقنت اني لا مح • له حيث صار القوم صائر

أخبرني الحسن بن عبد الله بن سعيد حدثنا علي بن الحسين بن اسماعيل حدثنا محمد بن  
زكريا حدثنا عبد الله بن النخاع عن هشام عن أبيه ان وفدا من اياد قدموا على رسول

الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن حال قس بن ساعدة فقالوا قال قس  
يا ناعى الموت والاموات فى جدث • عليهم من بقايا بزهم خرق  
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم \* كما ينبسه من نوماته الصعق  
منهم عراة ومنهم فى ثيابهم \* منها الجديد ومنها الاورق الخلق  
مطر ونبات وآباء وامهات وذاهب وآت وآيات فى انزآيات واموات بعد اموات  
ضوء وظلام وليال وايام وغنى وفقير وشقى وسعيد ومحسن ومسيئ أين الارباب الفعلة  
ليصلحن كل عامل عمله كلابل هو الله واحد ليس بولود ولا والد اعاد وابدى واليه المآب  
غدا اما بعد يا معشر اباد اين تعود واعاد واين الآباء والاجداد اين الحسن الذى لم يشكر  
اين الظلم الذى لم ينقم كلا ورب الكعبة ليعودن ما بدا ولئن ذهب يوم ليعودن يوم قال  
وهو قس بن ساعدة بن حذاق بن ذهل بن ايا بن نزار اول من آمن بالبعث من اهل الجاهلية  
واول من توكأ على عصا واول من تكلم بأما بعد

✽ خطبة لأبى طالب ✽

الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوبا  
وجعلنا الحكماء على الناس وان محمد بن عبد الله بن اخى لا يوازن به فتى من قريش الا ربح  
به بركة وفضلا وعدلا ومجدا ونبلا وان كان فى المال مقلانا فان المال عارية مسترجعة  
وظل زائل وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما اردتم من الصداق فعلى \*  
قد نسخت لك جلامن كلام الصدر الاول ومحاوراتهم وخطبهم واحيلك فى عالم انسخ على  
التواريخ والكتب المصنفة فى هذا الشأن فتأمل ذلك وسائر ما هو مسطر من الاخبار  
المأثورة عن السلف واهل البيان واللسان والفصاحة والفطن والالفاظ المنثورة  
والمخاطبات الدائرة بينهم والامثال المنقولة عنهم ثم انظر بسكون طائر وخفض جناح  
وتفرغ اب وجمع عقل فى ذلك فسيقع لك الفضل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين  
وتعلم ان نظم القرآن يخالف نظم كلام الاكديميين وتعلم الحد الذى يتفاوت بين كلام  
البليغ والبليغ والخطيب والخطيب والشاعر والشاعر وبين نظم القرآن جملة فان خيل  
اليك أو شبه عليك وظننت انه يحتاج ان يوازن بين نظم الشعر والقرآن لان الشعر افصح  
من الخطب وابرع من الرسائل وادق مسلحا من جميع اصناف المحاورات ولذلك قالوا له  
صلى الله عليه وسلم هو شاعر أو ساحر وسؤل اليك الشيطان ان الشعر ابلغ واعجب وارق  
وابرع واحسن الكلام وابدع فهذا فصل فيه نظرين المتكلمين وكلام بين المختفين •  
اسمعت افضل من رأيت من اهل العلم بالادب والحدق بهذه الصناعة مع تقدمه فى الكلام



يقول ان الكلام المنشور يتأني فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأني في الشعر لان الشعر يضيّق نطاق الكلام ويمنع القول من انتهائه ويصدّه عن نصرته على سننه وحضره من يتقدم في صنعة الكلام فراجع في ذلك وذكر انه لا يمنع ان يكون الشعر أبلغ اذا صادف شروط الفصاحة وأبدع اذا تضمن أسباب البلاغة وبشهادة عذري للقول الاخير ان معظم براعة كلام العرب في الشعر ولا نجد في منشور قواهم ما نجد في منظومه وان كان قد احدثت البراعة في الرسائل على حد لم يعهد في سالف أيام العرب ولم ينقل من دواوينهم وأخبارهم وهو وان ضيق نطاق القول فهو ويجمع جواشيه ويضم أطرافه ونواحيه فهو اذا تهذب في بابه ووفي له جميع أسبابه لم يقاربه من كلام الأديمين كلام ولم يعارضه من خطابه خطاب وقد حكي عن المتنبي انه كان ينظر في المحصف فدخل اليه بعض أصحابه فأنكرت نظره فيه لما كان آراء عليه من سوء اعتقاده فقال له هذا المسكى على فصاحته كان مفعمًا فان صحت هذه الحكاية عنه في الحاداه عرف بها انه كان يعتقد ان الفصاحة في قول الشعر أبلغ واذا كانت الفصاحة في قول الشعر أول تكن وبيننا ان نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم ويتقدم في بلاغته على كل قول بما يتضح به الامر انضاح الشمس ويتبين به بيان الصبح وقفت على جليلة هذا الشأن فانظر فيما نعرضه عليك مانعرضه وتصور بفهمك ما نصوره ليضع لك موقع عظيم شأن القرآن وتأمل ما ترتبه ينكشف لك الحق واذا أردنا تحقيق ما ضمه لك فنسبيلنا ان نعود الى قصيدة متفق على كبر محلها وصحة نظمها وجوده بلاغتها ومعانيها ارجاعهم على ابداع صاحبها فيها مع كونه من الموصوفين بالتقدم في الصناعة والمعرفة وفي الحدق في البراعة فنوفقك على مواضع خالها وعلى تماوت نظمها وعلى اختلاف فصواتها على كثرة فضولها وعلى شدة تعسفها وبعض تكلفها وما تجمع من كلام رفيع بقرن يذنبه ويبين كلام وضيع ويبين لفظ سوق بقرن بلفظ ملوكي وغير ذلك من الوجوه التي يجي تفصيلها ونبيي ترتيبها وتزليلها • فأما كلام مسيلة الكذاب وما زعم انه قرآن فهو وأخس من ان نستعمل به وأسخف من ان نذكر فيه وانما نقلنا منه طرفا ليتجرب القارئ وليتبصر بالماطر فانه على سقايقه قد أضل وعلى ركاكته قد أذل وميدان الجهل واسع ومن نظر فيما نقلناه عنه وفهم وضع جهله كان جديرا ان يحمد الله على ما رزقه من فهم وآناه من علم فما كان يزعم انه نزل عليه من السماء والليل الاظلم والذئب الادلم والجدع الارلم ما تهكت أسيد من محرم وذلك قد ذكر في خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه وقال أيضا والليل الدامس والذئب اليامس ما طعت أسيد من رطب ولا يابس وكان يقول والشاء واللوانها وأعجبها السود والبانها والشاء السوداء واللبن الابيض انه ليجب محض وقد حرم المذق فالكم

لا يجتمعون وكان يقول ضفدع بنت ضفدعين نقي ماتنين أعلاك في الماء وأسفلك في الغين  
 لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين لذا نصف الأرض ولقرش نصفها ولكن قرشا  
 قوم يعتدون وكان يقول والمبديات زرعوا والحاصدات حصدا والذاريات قموا والطاحنات  
 طينوا والخبزات خبزوا والشاردات زردا واللاقات لثما اهانة ومننا لثمة فضاتم على أهل  
 الور وبأسبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعتزفا ووه والماغى فاروه وقالت  
 مهاج بنت الحارث بن عقيب وكانت تنبأ فأجمع مسيلة معها فقالت له ما أرحى إليك فقال  
 الم تر كيف قل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسمى من بين صفاق وحشا وقالت فما بعد  
 ذلك قال أوحى الى أن الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن فعمسا  
 ايلاجا ثم نخرجهما اذا شئنا اخراجا فينتجن لنا مخرجا لتاجا فقال أشهدك نبى ولم ينقل كل  
 ما ذكر من سخفه كراهية التثقيب وروى انه سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه أقواما  
 قدموا عليه من بنى حنيفة عن هذه الالفاظ فكروا بعض ما نقلناه فقال أبو بكر سبحان الله  
 ويحكم ان هذا الكلام لم يخرج عن آل فأين كان يذهب بكم ومعنى قوله لم يخرج عن آل  
 أى عن ربوبية ومن كان له عقل لم يشبهه عليه سخف هذا الكلام فترجع الآن الى ما ضمنه  
 من الكلام على الاشعار المتفق على جودتها وتقدم أصحابها في صناعتهم ليتبين لك تفاوت  
 أنواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغة وتستدل على مواضع البراعة وأنت لا تشك في  
 جوده شعر امرئ القيس ولا تراب في براعته ولا تنوق في فصاحته وتعلم انه قد أبدع  
 في طرق الشعر أمور اتبع فيها من ذكر الديار والتوقف عليها الى ما يتصل بذلك من  
 البديع الذى أبدعه والتشبيه الذى أحدثه والنمى الذى يوجد في شعره والتصرف  
 الكثير الذى تصادفه في قوله والوجوه التى ينقسم إليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة  
 وعلو ومثانة ورقة وأسباب تحمد وأمر تؤثر وتدح وقد ترى الادباء أو لا يوازنون بشعره  
 فلا يوازنون ويضمون أشعارهم الى شعره حتى ربما وازنوا بين شعر من اقيناه وبين شعره  
 في أشياء الميفة وامور بدعية وربما فضلوهم عليه أو سوزا بينهم وبينه أو قربوا موضع  
 تقدمهم عليه وبروزهم بين أيديهم ولم يختاروا قصيدته في السبعيات أضافوا إليها أمثالها  
 وقربوا بها الظاهرها ثم تراهم يقولون لفلان لامية مثلهما ثم ترى أنفس الشعراء تنشق الى  
 معارضته وتساو به في طريقته وربما عثرت في وجهه على أشياء كثيرة وتقدمت عليه في  
 أسباب عجيبة واذا جاؤا الى تعداد شخاس شعره كان أمر المحصورا وشيا معروفا أنت تجد  
 من ذلك البديع أو أحسن منه في شعر غيره وتشاهد مثل ذلك البارع في كلام سواه وتظهر  
 الى المحدثين كيف توغلوا الى حيازة المحاسن منهم من جيع رصانة الكلام الى سلاسته

ومثاته الى عذوبته والاصابة في معناه الى تحسين بهجته حتى ان منهم من ان قصر عنه في بعض تقدم عليه في بعض لان الجنس الذي يرمون اليه والغرض الذي يتواردون عليه مما لا دعى فيه مجال وللشئى فيه مثال فكل يضرب فيه بسهم ويفوز فيه بقدر ثم قد تتفاوت السهام تعاوتاً وتبايناً وقد تتقارب تقارباً على حسب مشاركتهم في الصنائع ومساهمتهم في الحرف ونظم القرآن جنس عجز وأسلوب مقتصد وقبيل عن النظر مقتصد فاذا شئت ان تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لامرئ القيس في اجود أشعاره وماتين لك من عوارده على التتمصيل وذلك قوله

قما نزل من ذكرى حبيب ومنزل \* بسقط اللوى بين الدخول وخومل

فتوضح فالمقرات لم يعف رسمهما \* لما نسجتها من جنوب وشمال

الذين يتعصبون له ويدعون محاسن الشعر بقولون هذا من البدع لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب وتوجع واسترجع كله في بيت ونحو ذلك وانما بينا هذا لتلايقع لانه ذهابنا عن مواضع المحاسن ان كانت ولا غفلنا عن مواضع الصنائع ان وجدت تأمل أرشدك الله وانظر هداك الله أنت تعلم انه ليس في البيتين شئ قد سبق في ميدانه شاعرا ولا تقدم به صانعا وفي لفظه ومعناه خلل فأول ذلك انه استوقف من يبكي لذكر الحبيب وذكره لا يقتضى بكاء الخلى وانما يحس طلب الاسعاد في مثل هذا على ان يبكي لمكانه ويرق لصديقه في شدة برحائه فأما ان يبكي على حبيب صديقه وعشيق رفيقه فأمر محال فان كان المطلوب وقوفه وبكاؤه بضاعا شفاصح الكلام وفسد المعنى من وجه آخر لانه من السخف ان لا يغار على حبيبه وان يدع غيره الى التغاثر عليه والتواجد معه فيه ثم في البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية هذه الاماكن من الدخول وخومل وتوضيح والمقتراة وسقط اللوى وقد كان يكتمه ان يذكر في التعريف بعض هذا وهذا النطويل اذا لم يقدح كان ضربا من الحى ثم ان قوله لم يعف رسمها ذكر الاصمعي من محاسنه انه باق فحقن نحزن على مشاهدته فاعفوا عما لا سترحناوه هذا بان يكون من مساويه أولى لانه ان كان صادق الوعد فلا يزيد عناء الرسوم الاجتة عهد وشدة وجد وانما قرع له الاصمعي الى افادته هذه الفائدة خشية ان يعاب عليه فيقال أى فائدة لان يعرف انه لم يعف رسم منازل حبيبه وأى معنى لهذا الخشوف ذكر ما يمكن ان يذكر ولكن لم يخلصه بالتصاريه من الخلل ثم في هذه الكلمة خلل آخر لانه عقب البيت بأن قال فهل عند رسم دارس من معول فذكر أبو عبيدة انه رجع فأكذب نفسه كما قال زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم \* نعم وغيرها الارواح والديم

وقال غيره أراد بالبيت الاول انه لم ينظم مسأله وبالثاني انه ذهب بعضه حتى لا يتناقض الكلامان وليس في هذا انتصار لان معنى عفا ودرس واحد فاذا قال لم يعف رسمهما ثم قال قد عفا فهو تناقض لاحتمال واعتمد ارباب عبيدة اقرب لوصح ولكن لم يرد هذا القول مورد الاستدراك كما قاله زهير فهو الى الخلل اقرب وقوله لما نسجتها كان ينبغي ان يقول لا نسجها ولكنه تعسف فجعل مافي تأويل التأييد لانها في معنى الريح والاولى التذكير دون التأييد وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف وقوله لم يعف رسمها كان الاولى ان يقول لم يعف رسمه لانه ذكر المنزل فان كان رد ذلك الى هذه البقاع والاما كن التي المنزل واقع بينها فذلك خلل لانه انما يريد صفة المنزل الذي نزله حبيبته بعفائه أو بأنه لم يعف دون ما جاوره وان أراد بالنزل الدار حتى أنت فذلك أيضا خلل ولو سلم من هذا كله وعما نكره ذكره كراهية التطويل لم نشك في ان شعر أهل زماننا لا يقصر عن البيتين بل يزيد عليهما ويفضلهما ثم قال

وقونا بها صجي على مطيهم \* يقولون لانهلك أسي وتحمل

وان شفتائي عبرة مبرقة • فهل عند رسم دارس من معول

وليس في البيتين أيضا معنى بديع ولا لفظ حسن كالأقوال والبيت الاول منهما متعلق بقوله قفانبك فكأنه قال قفا وقوف صجي بها على مطيهم أو قفا حال وقوف صجي وقوله ما متأخر في المعنى وان تقدم في اللفظ في ذلك تكلف وخروج من اعتدال الكلام والبيت الثاني مختل من جهة انه قد جعل الدمع في اعتقاده شائفا كافيا فاحتجته بعد ذلك الى طلب حيلة اخرى وتحمل ومعول عند الرسوم ولو أراد ان يحسن الكلام لو جب ان يدخل على ان الدمع لا يشفيه لشدة مابه من الحزن ثم يسأل هل عند الربع من حيلة اخرى وقوله

كدأبك من ام اخويرث قبلها \* وجارتها ام الرباب بأسل

اذا قامتا تضوق المسك منهما \* نسيم الصبا يأتي بريا القرنفل

أنت لا تشك في ان البيت الاول قليل الفائدة ليس له مع ذلك بهجة فقد يكون الكلام مصنوع واللفظ وان كان منزوع المعنى وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله اذا قامتا تضوق المسك منهما ولو أراد ان يجود أفاد انهما طيبا على كل حال فأمافي حال القيام فقط فذلك تقصير ثم فيه خلل آخر لانه بعد ان شبه عرفها بالمسك شبه ذلك بنسيم الغرنفل وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص وقوله نسيم الصبا في تقدير المنقطع عن المصراع الاول لم يصل به وصل مثله وقوله

ففاضت دموع العين مني صباية \* على التهر حتى بل دمي محمل

ألا رب يوم لك منهن صالح • ولا سيما يوم بدارة جليل

قوله ففاضت دموع العين ثم استعانت به بقوله منى استعانة ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة وهو خشو غير مليح ولا بديع وقوله على النحر خشو آخر لان قوله بل دمعى مجلى يعنى عنه وبدل عليه وليس بخشو وحسن ثم قوله حتى بل دمعى مجلى فاحتاج لاقامة الوزن الى هذا كله ثم تقديره انه قد أفرط في افاضة الدمع حتى بل بمجمله تفريط منه وتقصير ولو كان أبدع اكان يقول حتى بل دمعى مغائبهم وعراضهم ويشبه ان يكون غرضه اقامة الوزن والقافية اذ الدمع ببعده ان يبيل الحمل وانما لا يقطر من الواقف والقاعد على الارض أو على الذيل وان بابه فلقلته وانما لا يقطر وأنت تجد في شعر الخيزر زى ما هو أحسن من هذا البيت وأمت وأعجب منه والبيت الثانى خال من المحاسن والبديع خلو من المعنى وائس له لفظ يروق ولا معنى يروع من طبائع السوقة فلا يرفعك ثمويله باسم موضع غريب وقال

ويوم عقرت للعدارى مطيتى \* فيا عجباً من رحلها المتحمل

فقل العذارى يرتعن بلحمها \* وشحم كهتأب الدمقس المقتل

تقديره اذ كرىوم عقرت مطيتى أو يرده على قوله يوم بدارة جمل وليس في المصراع الاول من هذا البيت الاسفاهات قال بعض الادباء قوله يا عجباً بجهنم من سفهه في شبابه من نخره ناقته لهم وانما أراد ان لا يكون الكلام من هذا المصراع منه قطعاً عن الاول وأراد ان يكون الكلام ملائماً وهذا الذى ذكره بعيد وهو منقطع عن الاول وظاهره انه تعجب من تحمل العذارى رحله وليس في هذا تعجب كبير ولا في نخر الناقة لهن تعجب وان كان يعنى به انهن حملن رحله وان بعضهن حملته فغير عن نفسه برحله فهذا اقليل لا يشبه ان يكون عجباً بالكلام لا يدل عليه ويتعافى عنه ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شئ غريب ولا معنى بديع أكثر من سفاهته مع قلة معناه وتقارب أمره ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا الى هذا الموضع لم ير له بيت رائع وكلام رائق وأما البيت الثانى فيعدونه حسناً ويعتدون التشبيه مليحاً واقعا وفيه شئ وذلك انه عرف اللحم ونكر الشحم فلا يعلم انه وصف شحمها وذكر تشبيه أحدهم بشئ واقع وعجز عن تشبيه القسمة الاولى فرت مرسله وهذا نقص في الصنعة وعجز عن اعطاء الكلام حقه وفيه شئ آخر من جهة المعنى وهو انه وصف طعامه الذى اطعم من اضاف بالجودة وهذا قد يعاب وقد يقال ان العرب تنقص بذلك ولا يرونه عيباً وانما الفرس هم الذين يرونه ذاعياً شنيعاً واما تشبيه الشحم بالدمقس فنحن نرى يقع العامة ويجرى على ألسنتهم فليس بشئ قد سبق اليه وانما زاد المغفل للقافية وهذا مفيد ومع ذلك فلست اعلم العامة تذكر هذه الزيادة ولم يعد اهل الصنعة ذلك من البديع وراوه

فسر بنا وفيه شئ آخر وهو ان تبيحه عما اطعم للاحباب مذموم وان سوغ التبيح عما اطعم  
للاضياف الا ان يورد الكلام مورد المجون وعلى طريق أبي نواس في المزاح والمداعبة  
وقوله ويوم دخلت الحدر حدر عنيزة \* فقالت لك الويلات انك مرجلي  
تقول وقد مال الغيب طبا معا \* عقرت بعيري يا امرأ القيس تانزل  
قوله دخلت الحدر حدر عنيزة ذكره تكرر لاقامة الوزن لا فائدة فيه مغير ولا ملاحه  
ولا رونق وقوله في المصراع الاخير من هذا البيت فقالت لك الويلات انك مرجلي كلام  
مؤث من كلام النساء نقله من جهته الى شعره وايس فيه غير هذا وتكريره بمد ذلك  
تقول وقد مال الغيب يعني قرب اليهودج بمد قوله فقالت لك الويلات انك مرجلي لا فائدة  
فيه غير تقدير الوزن والا فحكاية قولها الاول كاف وهو في النظم قبيح لانه ذكر مرة فقالت  
ومرة تقول في معنى واحد وفصل خفيف وفي مصراع اثنان ايضا تاييد من كلامهن  
وذكره بوعبيدة انه قال عقرت بعيري ولا يقل ناعتي لانهم يحملون النساء على ذكر الابل  
لانهما قويت وفيه نظر لان الاظهر ان البعير اسم للذكر والانثى واحتاج الى ذكر البعير  
لاقامة الوزن وقوله

فقلت لها سيري وأرخي زمامه \* ولا تبعديني من جنالك المعال

فذلك حبل قد طرقت ومرضع \* فألهيتها عن ذي تمام مغيل

البيت الاول قريب النسيج ليس له معنى بديع ولا لفظ شريف كأنه من عبارات الخطيبين  
في الصنعة وقوله فذلك حبل قد طرقت عابه عليه أهل العربية ومعناه عندهم حتى يستقيم  
الكلام قرب مثل حبل قد طرقت وتقديره انه زير نساء وانه يفسدهن ويألههن عن حملهن  
ورضاهن لان الحبل والارضعة أبعد من الغزل وطالب الرجال والبيت الثاني في الاعتذار  
والاستهتار والتهيام وغير منتظم مع المعنى الذي قدمه في البيت الاول لان تقديره لا تبعديني  
عن نفسك فاني أغلب النساء وأخذعن عن رأيهن وأفسدهن بالغازل وكونه مفسدة لهن  
لا يوجب له وصلهن وترك ابعادهن اياه بل يوجب هجره والاستغفاف به لضعفه ودخوله كل  
مدخل فاحتر وركوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش والتفحش ما يستغفك  
الكرام من مثله ويأنف من ذكره وكتوله

اذما بكى من خلفها انصرف له \* بشق ونحتي شقها لم يحول

ويوما على ظهر المكثيب تعذرت \* على وآلت حلفه لم تحلل

فالبيت الاول غاية في الفحش ونهاية في السفه وأي فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب  
هذه القبائح ويذهب هذا المذهب ويردمه الموارد ان هذا لم يغمضه كل من سمع كلامه

ويوجب له الموت وهو لو صدق لكان قبضا فكيف ويجوز ان يكون كاذبا ثم ليس في البيت لفظ بديع ولا معنى حسن وهذا البيت متصل بالبيت الذي قبله من ذكر الموضع التي لها ولد محمول فأما البيت الثاني وهو قوله ويوما يتعجب منه وانما تشددت وتعصرت عليه وحلفت عليه فيؤا لأم ردى النسيج لا عائدة لذكره لانه ان حبيدته تمتد عليه يوضح بسميه وبصفه وانما تجد في شعر المحدثين من هذا الجنس في التغزل بالذرب معه اللب وتطرب عليه النفس وهذا مما تستنكره النفس ويشتمز منه انقلب وليس فيه شيء من الاحسان والحسن وقوله

أنا طم مهلا بعض هذا الندال \* وان كنت - أزمعت صرعى فاجلى

أعزك منى ان حبك قاتلى \* وانك مهما تأمرى القلب يفعل

فأبيت الاول فيه ركعة جذا وتأييد ورقة ولكن فيها تخنيث ولعل قائل يقول ان كلام النساء بما يلائهن من الطمع أرفع أعزل وليس كذلك لان تجرد الشعراء في الشعر المؤنث لم يعدلوا عن رصانة قوراهم والمصراع الثاني منقطع عن الاول لا يلائمه ولا يوافقه وهذا بين لانه اذا عترضت معه البيت الذي تقدمه وكيف يشكر عليها ند لها والتغزل بطرب على دلال الحبيب وتدلله والبيت الثاني قد عيب عليه لانه قد أخبر ان من سبيلها ان لا تغتر بما يريها من ان جهاية قتله وأنها علك قلبه فأنسرتة فوله والمحب اذا أخبر عن مثل هذا صدق وان كان المعنى غير هذا الذي عيب عليه وانما ذهب مذهبا آخر وهو انه أراد ان يظهر التجرد فهذا اخلاف ما يظهر من نفسه فيما تقدم من الابيات من الحب والبكاء على الاحبة فقد دخل في وجه آخر من المناقضة والاحاطة في الكلام ثم قوله تأمرى القلب يفعل معناه تأمرى القلب لا يؤمر والاستعارة في ذلك غير واقعة ولا حسنة وقوله

فان كنت قد ساءت منى خليقة \* فسلى ثيابى عن ثيابك تسلى

وما ذرفت عيناك الا لنصرى \* بسمهيك فى أعشار قلب مقتلى

البيت الاول قد تيسل في تأويله انه ذكر الثوب وأراد البدن مثل قول الله تعالى وثيابك فطهر وقال أبو عبيد هذا مثل للهمجر وتيسل تبين وهو بيت قليل المعنى ركيكه وضعفه وكل ما أضاع الى نفسه ووصف به نفسه سقرط وسفه ومخف يوجب قطعهم لم يحكم على نفسه بذلك ولا ذكر يورده مويد أن ليست له خليقة فوجب هجرانه والتقدم من وصله وانه مذهب الاخلاق شريف الشمائل فذلك يوجب ان لا ينفذ من وصله والاستعارة في المصراع الثاني فيها تواضع وتقارب وان كانت غريبة وأما البيت الثاني فعود من محاسن القصيدة وبدائعها ومعناه ما بكيت الا لتجرحى قلبا معشرا اى مكسرا من قولهم

رمة اعشار اذا كانت قطعاً هذا تأويل ذكره الاصمعي رضي الله عنه وهو أشبه عند أكثرهم وقال غيره وهذا مثل للاعشار التي تقسم الجزور عليها ويعني بسهميك المعلى وله سبعة انصباء والرقيب وله ثلاثة أنصباء فأراد انك ذهبت بتلبي أجمع ويعني بقوله مقتل مدلول وأنت تعلم انه على ما يعني به فهو غير موافق للآليات المتقدمة لما فهم من التناقض الذي بينا ويشبه ان يكون من قال بالتأويل الثاني فزع اليه لانه رأى اللفظ مستكراً على المعنى الاول لان القائل اذا قال ضرب فلان بسهمه في الهدف يعني أصابه كان كلاماً ساقطاً مردولاً وهو يرى ان معنى الكاهن ان عينها كالسهم من الناظرين في اصابة قلبه المجرور فلما بكأوا ذرقاً بالدموع كأنها صار بنين في قلبه وليكن من حل على التأويل الثاني سلم من الخلل الواقع في اللفظ وليكنه اذا حل على الثاني فسد المعنى واختل لانه ان كان محتاجاً على ما وصف به نفسه من الصابة فقلبه كله لها فكيف يكون بكأوها هو الذي يخلص قلبه لها واعلم بعد هذا ان البيت غير ملائم للبيت الاول ولا متصل به في المعنى وهو منقطع عنه لانه لم يسبق كلام يقتضي بكأوها ولا سبب يوجب ذلك فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال ثم لو سلم له بيت من عشرين بيتاً وكان يديعاً ولا عيب فيه فليس بجيب لانه لا يدعى على مثله ان كلامه كله متناقض ونظمه كله متباين وانما ينبغي ان نبين ان ما سبق من كلامه الى هذا البيت مما لا يمكن ان يقال انه يتقدم فيه أحد من المتأخرين فضلاً عن المتقدمين وانما قدم في شعره لايبات قد برع فيها وبان حذقه بها وانما أنكرنا ان يكون شعره متناسباً في الجودة ومتشابهاً في صحة المعنى واللفظ وقلنا انه يتصرف بين وحشى غريب مستنكر وعريضة كالمهل مستنكرة وبين كلام سليم متوسط وبين عامى سوقى في اللفظ والمعنى وبين حكمة حسنة وبين سخف مستنقع والهم هذا قال الله عزاءه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فأما قوله

وبيضة خدر لا يرام خباؤها \* تمتعت من لهو بها غير مجمل

تجاوزت احراسا اليها ومعشرا • على احراسا لو يسرون مقتلي

فقد قالوا عني بذلك انها كبيضة خدر في صفائها ورقتها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق اليها بل هي دائرة في أفواه العرب وتشبيه سائر ويعني بقوله غير مجمل انه ليس ذلك بمائة فوق قليله وأحياناً بل يتكرر له الاستمتاع بها وقد يحمله غيره على انه رابط الجاش فلا يستعجز اذا دخلها خوف حصانتها ومنعتها وليس في البيت كبير فائدة لانه الذي حكى في سائر أبياته فلا تتضمن مطالته في المغازلة واشتغاله بها فتكريره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى الا الزيادة التي ذكر من منعها وهو مع ذلك بيت سليم اللفظ في المصراع الاول دون الثاني



والبيت الثاني ضعيف وقوله لو يسرون مقتلى أراد ان يقول لو أسروا فإذا نقله الى هذا  
ضعف ووقع في مضمار الضرورة والاختلال على نظمه بين حتى ان المترز يحترز من مثله  
وقوله اذا ما الترياقي السماء تعرضت \* تعرض أثناء الوشاح المفصل  
قد أنكر عليه قوم قوله اذا ما الترياقي السماء تعرضت وقالوا الترياقي لا تعرض حتى قال  
بعضهم سمى الترياقي انما أراد الجوزاء لانها تعرض والعرب تفعل ذلك كما قال زهير  
كأجر عاد وانما هو أجر نمود وقال بعضهم في تصحيح قوله تعرض أول ما نطلع كان  
الوشاح اذا طرح يلقاك بعرضه وهو ناحيته وهذا كقول الشاعر

تعرضت لي بجان خل \* تعرض المهرة في الطول

يقول تريك عرضها وهي في الرسن وقال أبو عمر ويعني اذا أخذت الترياقي وسط السماء  
كأياخذ الوشاح وسط المرأة والاشبه عندنا ان البيت غير معيب من حيث عابوه به وانه  
من محاسن هذه القصيدة وله لا أبيات عدة فيه لقابله ما شئت من شعر غيره ولكن لم يأت فيه  
بما يفوت الشأو ويستولى على الامد أنت تعلم انه ليس للتقدمين ولا للتأخرين في وصف  
شي من النجوم مثل ما في وصف الترياوي كل قد أبدع فيه وأحسن فاما ان يكون قد عارضه أو  
زاد عليه فن ذلك قول ذى الرمة

وردت اعتسافا والتريا كأنها \* على قمة الرأس ابن ماء مخلق

ومن ذلك قول ابن المعتز

وترى الترياقي السماء كأنها • بيضات ادحي يلحن بفدود

وكقوله

كأن الترياقي أو اخر ليلها \* تفتح نوراً ولجام مفضض

وقوله أيضا فناولنها والتريا كأنها \* جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

وقول الاشهب بن رميلة

ولاحت لساريتها التريا كأنها \* لدى الافق الغربي قرط مسلسل

ولابن المعتز

وقدهوى النجم والجوزاء تتبعه • كذات قرط أرادته وقد سقطا

أخذه من ابن الرومي في قوله

طيب ريقه اذا ذقت فاه \* والتريا بجانب الغرب قرط

ولابن المعتز

قد سقاني المدام والصب \* ح باليه — مل مؤثر

والتريا كنور غصن \* على الارض قد نثر

وقوله وزوم الترياقي السماء مراما • كانكباب طمر كاديلقي للجاما

الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن حال قس بن ساعدة فقالوا قال قس  
يا ناعى الموت والاموات فى جدث \* عليهم من بقايا بزهم خرق  
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم \* كما ينبسه من نوماته الصعق  
منهم عراة ومنهم فى ثيابهم \* منها الجديد ومنها الاورق الخلق  
مطرون نبات وآباء وامهات وذاهب وآت وآيات فى انزآيات واموات بعد اموات  
ضوء وظلام وليال وايام وغنى وفقير وشقى وسعيد ومحسن ومسيئ أين الارباب الفعلة  
ليصلن كل عامل عمله كلابل هو الله واحد ليس بولود ولا والد اعاد وابدى واليه المآب  
غدا اما بعد يا معشر اباد اين تعود وعاد واين الآباء والاجداد اين الحسن الذى لم يشكر  
اين الظلم الذى لم ينقم كلا ورب الكعبة ليعودن ما بدا ولئن ذهب يوم ليعودن يوم قال  
وهو قس بن ساعدة بن حذاق بن ذهل بن ايا بن نزار اول من آمن بالبعث من اهل الجاهلية  
واول من توكأ على عصا واول من تكلم بأما بعد

### خطبة لأبى طالب

الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوبا  
وجعلنا الحكم على الناس وان محمد بن عبد الله بن اخى لا يوازن به فتى من قريش الا ربح  
به بركة وفضلا وعدلا ومجدا ونبلا وان كان فى المال مقلا فان المال عارية مسترجعة  
وظل زائل وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما اردتم من الصداق فعلى \*  
قد نسخت لك جلامن كلام الصدر الاول ومحاوراتهم وخطبهم واحيلك فيما لم انسح على  
التواريخ والكتب المصنفة فى هذا الشأن فتأمل ذلك وسائر ما هو مسطر من الاخبار  
المأثورة عن السلف واهل البيان واللسان والفصاحة والفطن والالفاظ المنثورة  
والمخاطبات الدائرة بينهم والامثال المنقولة عنهم ثم انظر بسكون طائر وخفض جناح  
وتفرغ اب وجمع عقل فى ذلك فسيمع لك الفضل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين  
وتعلم ان نظم القرآن يخالف نظم كلام الاكديمين وتعلم الحد الذى يتفاوت بين كلام  
البليغ والبليغ والخطيب والخطيب والشاعر والشاعر وبين نظم القرآن جملة فان خيل  
اليك أو شبه عليك وظننت انه يحتاج ان يوازن بين نظم الشعر والقرآن لان الشعر افصح  
من الخطب وابرع من الرسائل وادق مسلحا من جميع اصناف المحاورات ولذلك قالوا له  
صلى الله عليه وسلم هو شاعر أو ساحر وسؤل اليك الشيطان ان الشعر ابلغ واعجب وارق  
وابرع واحسن الكلام وابدع فهذا فصل فيه نظرين المتكلمين وكلام بين المحققين \*  
اسمعت افضل من رأيت من اهل العلم بالادب والخلق بهذه الصناعة مع تقدمه فى الكلام

يقول ان الكلام المنشور يتأق في فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأق في الشعر لان الشعر  
يضيق نطاق الكلام ويمنع القول من اتهاته ويصده عن نصرته على سننه وخضره من يتقدم  
في صنعة الكلام فراجع في ذلك وذكر انه لا يمنع ان يكون الشعر أبلغ اذا صادف شروط  
الفصاحة وأبدع اذا تضمن أسباب البلاغة ويشهد عندى للقول الاخير ان معظم براعة  
كلام العرب في الشعر ولا نجد في منشور قولهم ما نجد في منظومه وان كان قد أحدثت  
البراعة في الرسائل على حد لم يعهد في سالف أيام العرب ولم ينقل من دواوينهم وأخبارهم  
وهو ان ضيق نطاق القول فهو يجمع جواشيه ويضم أطرافه ونواحيه فهو اذا تهذب في  
بابه ووفي له جميع أسبابه لم يقاربه من كلام الأديبين كلام لم يعارضه من خطابه خطاب  
وقد حكى عن المتنبي انه كان ينظر في المحقق فدخل اليه بعض أصحابه فأنتكر نظره فيه لما  
كان رآه عليه من سوء اعتقاده فقال له هذا المسكى على فصاحته كان مفهما فان صحت هذه  
الحكاية عنه في الحاده عرف بها انه كان يعتقده ان الفصاحة في قول الشعر أبلغ واذا كانت  
الفصاحة في قول الشعر أو لم تكن وبين ان نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم  
ويتقدم في بلاغته على كل قول بما يتضح به الامر انضاح الشمس ويتبين به بيان الصبح وقفت  
على جليلة هذا الشأن فانظر فيما تعرضه عليك مانع ربه وتصور بفهمك ما نصوره ليقع لك  
موقع عظيم شأن القرآن وتأمل ما ترتبه ينكشف لك الحق واذا أردنا تحقيق ما ضمه لك فن  
سبلنا ان نعد الى قصيدة متفق على كبر محلها وصحة نظمها وجودة بلاغتها ومعانيها ارجاعهم  
على ابداع صاحبها فها مع كونه من الموصوفين بالتقدم في الصناعة والمعر وفين الخلق في  
البراعة فتوقفك على مواضع خالها وعلى تفاوت نظمها وعلى اختلاف قصودها وعلى كثرة  
فضولها وعلى شدة تعسفها وبعض تكلفها وما تجمع من كلام رفيع بقرن يندبه ويبي كلام  
وضيع ويبي لفظ سوقي بقرن بلفظ ملوكي وغير ذلك من الوجوه التي يجي تفصيلها وانبي  
ترتيبها وتزييلها • فأما كلام مسيلة الكذاب وما زعم انه قرآن فهو أخس من ان نشتمل  
به وأصحف من ان نتمكر فيه وانما نقلنا منه طرفا ليتجب القارئ وليتبصر بالناظر فانه على  
مخافته قد أضل وعلى ركاكته قد أذل وميدان الجهل واسع ومن نظر فيما نقلناه عنه  
وفهم وضع جهله كان جديرا ان يحمد الله على ما رزقه من فهم وآناه من علم فما كان يزعم  
انه نزل عليه من السماء والال الاظم والذنب الادلم والجلدع الازلم ما تمسكت أسيد  
من محرم وذلك قد ذكر في خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه وقال ايضا والليل الدامس  
والذنب اليا مس ما طعت أسيد من رطب ولا يابس وكان يقول والشاة والوانها وأعجبها  
السود والبانها والشاة السوداء والبن الابيض انه لعب محض وقد حرم المذق فالكم

لا يتجمعون وكان يقول ضعف دنت ضعف دنت فني ماتنين أعلا في الماء وأسفل في الطين  
 لا الشارب تمنع ولا الماء تكدرين لنا نصف الأرض ولقرش نصفها ولكن قريشا  
 قوم بعتدون وكان يقول والمبيدات زرعوا والحاصدات حصدا والذاريات قبحوا والطاحنات  
 طبنوا والخابزات خبزوا والشاردات زردا واللاققات لثما اهالة ومنها لثما فضاتم على أهل  
 الوبر وماسبكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعترفاء ووه والباغي فاروه وقالت  
 مجاح بنت الحارث بن عقبان وكانت تنبأ فاجتمع مسيلة معها فقالت له ما أوحى اليك فقال  
 ألم تر كيف قيل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسمى من بين صفاق ووحشا وقالت فما بعد  
 ذلك قال أوحى الي أن الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لبن أزواجا فنولج فيهن فعبسا  
 أيلاجا ثم نخرجهما إذا شئنا أخراجا فينتجن لنا سخا لا نتاجا فقال أشهدك نبى ولم ننقل كل  
 ما ذكر من سخفه كراهية التثقيب وروى أنه سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه أقواما  
 قدموا عليه من بني حنيفة عن هذه الالفاظ فكروا بعض ما نقلناه فقال أبو بكر سبحان الله  
 ويحكم أن هذا الكلام لم يخرج عن آل فأين كان يذهب بكم ومعنى قوله لم يخرج عن آل  
 أى عن ربوبية ومن كان له عقل لم يشبهه عليه سخف هذا الكلام فنرجع الآن الى ما ضمنناه  
 من الكلام على الاشعار المتفق على جودتها وتقدم أصحابها في صناعتهم ليتبين لك تفاوت  
 أنواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغة وتستدل على مواضع البراعة وأنت لا تشك في  
 جود شعرا مرى القيس ولا ترتاب في براعته ولا تتوقف في فصاحته وتعلم أنه قد أبدع  
 في طرق الشعرا مورا تتبع فيها من ذكر الديار والوفاء إليها الى ما يتصل بذلك من  
 البديع الذى أبدعه والتشبيه الذى أحدثه والنميج الذى يوجد في شعره والتصرف  
 الكثير الذى تصادفه في قوله والوجه التى ينقسم إليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة  
 وعلو ومثانة ورقة وأسباب تحمد وأمر توتر وعذج وقد ترى الادباء أولا يوازنون بشعره  
 فلا يوازنوا ويضمون أشعارهم الى شعره حتى ربما أوازوا بين شعر من لقيناه وبين شعره  
 في أشياء الملية وامور بدبعة ورباعا فضلوهم عليه أو سقوا بينهم وبينه أو قربوا موضوع  
 تقدمهم عليه وبروزه بين أيديهم ولما اختاروا قصيدته في السبعيات أضافوا إليها أمثالها  
 وقربوا بها أنظارتها ثم تراه يقولون لفلان لامية مثلها ثم ترى أنفس الشعراء تنسوق الى  
 معارضته وتساوويه في طريقته ورباعا عثرت في وجهه على أشياء كثيرة وتقدمت عليه في  
 أسباب عجيبة وإذا جاء الى تعداد محاسن شعره كان أمر المحصورا وشيا معروفا أنت تجد  
 من ذلك البديع أو أحسن منه في شعر غيره وتشاهد مثل ذلك البارع في كلام سواه وتنتظر  
 الى المحدثين كيف توغلوا الى حيازة المحاسن منهم من جمع رصانة الكلام الى سلاسته

ومثاقته الى عذوبته والاصابة في معناه الى تحسين بهجته حتى ان منهم من ان قصر عنه في بعض تقدم عليه في بعض لان الجنس الذي يرمون اليه والغرض الذي يتواردون عليه مما لا دعى فيه مجال وللشئى فيه مثال فكل يضرب فيه بسهم ويفوز فيه بقدر ثم قد تتفاوت السهام تفاوتاً وتبايناً وقد تتقارب تقارباً على حسب مشاركتهم في الصنائع ومساهمتهم في الحرف ونظم القرآن جنس عميز وأسلوب مختص وتبيل عن النظر مختص فاذا شئت ان تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لامرئ القيس في اجود أشعاره وماتنين لك من عواريه على التخصيل وذلك قوله

قمانك من ذكرى حبيب ومنزل \* بسقط اللوى بين الدخول وخومل

فتوضح فالمقرات لم يعف رسمهما \* لما نستجتها من جنوب وشمال

الذين يتعصبون له ويدعون محاسن الشعر يقولون هذا من البدیع لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب وتوجع واسترجع كله في بيت ونحو ذلك وانما ينما هذا التلايق للذهابنا عن مواضع المحاسن ان كانت ولا غفلنا عن مواضع الصنائع ان وجدت تأمل أرشدك الله وانظر هذا ك الله أنت تعلم انه ليس في البيتين شئ قد سبق في ميدانه شاعرا ولا تقدم به صانعا وفي لفظه ومعناه خلل فأول ذلك انه استوقف من يبكى لذ كرا الحبيب وذكره لا يقتضى بكاء الخلى وانما يصح طلب الاسعاد في مثل هذا على ان يبكى لمكانه ويرق لصديقه في شدة برحائه فأما ان يبكى على حبيب صديقه وعشيق رفيقه فأمر محال فان كان المطاوب وقوفه وبكاؤه أيضا عاشقا صاحبه الكلام وفسد المعنى من وجه آخر لانه من المصنف ان لا يغار على حبيبه وان يدع غيره الى التغاير عليه والتواجد معه فيه ثم في البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية هذه الاماكن من الدخول وخومل وتوضيح والمقراة وسقط اللوى وقد كان يكتمه ان يذكر في التعريف بعض هذا وهذا النطويل اذا لم يفد كان ضربا من الحى ثم ان قوله لم يعف رسمها ذكر الاصمعي من محاسنه انه باق فحق نحزن على مشاهدته فاعفانا لا سترحنا وهذا بان يكون من مساويه أولى لانه ان كان صادق الود فلا يزيد غناء الرسوم الاجتهاد عهد وشدة وجد وانما قرع له الاصمعي الى افادته هذه الفائدة خشية ان يعاب عليه فيقال أى فائدة لان يعرف انه لم يعف رسم منازل حبيبه وأى معنى لهذا الحشوف كرماء يمكن ان يذكر ولكن لم يخلصه بالتصايله من الخلل ثم في هذه الكلمة خلل آخر لانه عقب البيت بأن قال فهل عند رسم دارس من معول فذكر أبو عبدة انه رجع فأكذب نفسه كما قال زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم \* نعم وغيرها الارواح والديم

وقال غيره أراد بالبيت الاول انه لم ينطمس أثره كله وبالثاني انه ذهب بعضه حتى لا يتناقض الكلامان وليس في هذا انتصار لان معنى عفا ودرس واحد فاذا قال لم يعف رسمها ثم قال قد عفا فهو تناقض لاحتمال واعتمد اراي عبدة اقرب لوصح ولكن لم يرده هذا القول مورد الاستدراك كما قاله زهير فهو الى الخلل اقرب وقوله لما نسجتها كان ينبغي ان يقول لا تسجها ولكنه تعسف فجعل ما في تأويل التأييد لانها في معنى الريح والاول انتد كيردون التأييد وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف وقوله لم يعف رسمها كان الاول ان يقول لم يعف رسمه لانه ذكر المنزل فان كان رد ذلك الى هذه البقاع والا ما كن التي المنزل واقع بينها فذلك خلل لانه انما يريد صفة المنزل الذي نزله حبيبته بعفائه أو بأنه لم يعف دون ما جاوره وان أراد بالمنزل الدار حتى أنت فذلك أيضا خلل ولو سلم من هذا كله وعما نكره ذكره كراهية التطويل لم نشك في ان شعر أهل زماننا لا يقصر عن البيتين بل يزيد عليهم ما ويفضلهم ما ثم قال

وقونا بها صبحي على مطهم \* يقولون لانهك أمي وتحمل

وان شفتاني عبرة مبرقة • فهل عند رسم دارس من معول

وليس في البيتين أيضا معنى بديع ولا لفظ حسن كالأقوين والبيت الاول منهما متعلق بقوله ففانبك فكأنه قال فقاو قوف صبحي بها على مطهم أو قما حال وقوف صبحي وقوله ما متأخر في المعنى وان تقدم في اللفظ ففي ذلك تكلف وخروج من اعتدال الكلام والبيت الثاني مختلف من جهة انه قد جعل الدمع في اعتقاده شافيا كافيا فاحاجته بعد ذلك الى طلب حيلة اخرى وتحمل ومعول عند الرسوم ولو أراد ان يحسن الكلام لوجب ان يدخل على ان الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ثم يسائل هل عند الربع من حيلة اخرى وقوله

كدأبك من ام اخويرث قبلها \* وجارتها ام الرباب بأسل

اذا قامتا تضوق المسك منهما \* نسيم الصبا يأتي بر يا القرنفل

أنت لا تشك في ان البيت الاول قليل الفائدة ليس له مع ذلك بهجة فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ وان كان منزوع المعنى وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله اذا قامتا تضوق المسك منهما ولو أراد ان يجود أفاد انهما طيبا على كل حال فأما في حال القلب فقط فذلك تقصير ثم فيه خلل آخر لانه بعد ان شبه عرفها بالمسك شبه ذلك بنسيم الغرنفل وذكر ذلك بعد ذكر المسك ونقص وقوله نسيم الصبا في تقدير المنقطع عن المصراع الاول لم يصله به وصل مثله وقوله

ففاضت دموع العين مني صباية \* على النهر حتى بل دمي محلى

ألا رب يوم لك منهن صالح • ولا سيما يوم بدارة جلجل

قوله ففاضت دموع العين ثم استعانت به بقوله منى استعانة ضعيفة عند المتأخرين في الصنعة وهو خشو غير مليح ولا بديع وقوله على النحر خشو آخر لان قوله بل دمي مجلى بمعنى عنده وبدل عليه وليس بخشو وحسن ثم قوله حتى بل دمي مجلى اعادة ذكره الدمع خشو آخر وكان يكفيه ان يقول حتى بلت مجلى فاحتاج لاقامة الوزن الى هذا كله ثم تقديره انه قد افرط في افاضة الدمع حتى بل مجله تقريظ منه وتقصير ولو كان ابداع لكان يقول حتى بل دمي مغانبيهم وعراصهم ويشبه ان يكون غرضه اقامة الوزن والقافية اذ الدمع يبعدان بيل المحمل وانما لا يقطر من الواقف والقاعد على الارض أو على الذيل وان بله فلقلته وان لا يقطر وأنت تجدد في شعر الخيزر زى ما هو أحسن من هذا البيت وأمتن وأحب منه والبيت الثانى خال من المحاسن والبديع خلو من المعنى وائمس له لفظ يروق ولا معنى يروع من طبائع السوق فلا يروعك تهويله باسم موضع غريب وقال

ويوم عقرت للعدارى مطيتى \* فيا عجباً من رحلها المتكمل

فقل العذارى برعين بلحهما \* وشحم كهتاب الدمقس المغتل

تقديره اذ كرىوم عقرت مطيتى أو يرده على قوله يوم بدارة جليل وليس في المصراع الاول من هذا البيت الا سفاهته قال بعض الادباء قوله يا عجباً بيهجهم من سفهه في شبابه من نخره ناقته لهم وانما أراد ان لا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعاً عن الاول وأراد ان يكون الكلام ملائماً له وهذا الذى ذكره بعيد وهو منقطع عن الاول وظاهره انه يتعجب من تحمل العذارى رحله وليس في هذا تعجب كبير ولا في نخر الناقة لهن تعجب وان كان يعنى به انهن حملن رحله وان بعضهن حملته فعبء عن نفسه برحله فهذا اقليل لا يشبه ان يكون عجباً الى كمال الكلام لا يدل عليه ويتجافى عنه ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شئ غريب ولا معنى بديع أكثر من سفاهته مع قلة معناه وتمازى امره ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا الى هذا الموضع لم ير له بيت رائع وكلام رائق وأما البيت الثانى فيعدونه حسناً ويعتدون التشبيه مليحاً واقفاً وفيه شئ وذلك انه عرف اللحم وذكر الشحم فلا يعلم انه وصف شحمها وذكر تشبيه أحدهم بشئ واقف ويجوز عن تشبيه القسمة الاولى لى فرت مرسله وهذا نقص في الصنعة ويجوز عن اعطاء الكلام حقه وفيه شئ آخر من جهة المعنى وهو انه وصف طعامه الذى اطعم من اضاف بالجودة وهذا قد يعاب وقد يقال ان العرب تنقص بذلك ولا يرونه عيباً وانما الفرس هم الذين يرونه اذ عيباً شنيعاً واما تشبيه الشحم بالدمقس فشئ يقع للعامة ويجرى على ألسنتهم فليس بشئ قد سبق اليه وانما زاد المغتل للقافية وهذا مفيد ومع ذلك فلست اعلم العامة تذكر هذه الزيادة ولم بعد اهل الصنعة ذلك من البديع ورأوه

قريباً وفيه شيء آخر وهو أن نبيحه بما طعم للأحباب مذموم وأن سوق النجيج بما طعم  
للأضياف إلا أن يورد الكلام مورد المجون وعلى طريق أبي نواس في المزاح والمدح مبدية  
وقوله ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة \* فقالت لك الويلات أنك مرجلي  
تقول وقد مال الغيب طبعاً معاً \* عقرت بعيري يا امرأ القيس تانزل  
قوله دخلت الخدر خدر عنيزة ذكره تكميلاً لآفة الوزن لا غائداً فيه مغير ولا ملاحاة  
ولا رونق وقوله في المصراع الأخير من غدا البيت فقالت لك الويلات أنك مرجلي كلام  
مؤث من كلام النساء نقله من جهته إلى شعره وأيس فيه غير هذا وتكريره بمد ذلك  
تقول وقد مال الغيب يعني قلب اليهودج بمد قوله فقالت لك الويلات أنك مرجلي لا فائدة  
فيه غير تقدير الوزن والاختصاية بقولها الأول كاف وهو في النظم قبيح لأنه ذكر مرة فقالت  
ومرة تقول في معنى واحد وفصل خفيف وفي مصراع اثني أيضاً تانيد من كلامهن  
وذكر أبو عبيدة أنه قال عقرت بعيري ولا يقل تانيد لأنهم يحملون النساء على ذكرور الأبل  
لأنها أقوى وفيه نظر لأن الأظهر أن البعير اسم للذكر والأنثى واحتاج إلى ذكر البعير  
لأقامة الوزن وقوله

فقلت لها سيري وأرخي زمامه \* ولا تبعدين من جنالك المعال  
فذلك حبل قد طرقت ومرضع \* فألهيتها عن ذي تمام مغيل

البيت الأول قريب النسيج ليس له معنى بديع ولا لفظ شريف كأنه من عبارات الخطبين  
في الصنعة وقوله فذلك حبل قد طرقت عابه عليه أهل العربية ومعناه عندهم حتى يستقيم  
الكلام قرب مثلك حبل قد طرقت رتقده أنه زير ساء وأنه يفسدهن وباههن عن حبيلهن  
ورضاءهن لأن الحبلى والرضعة أبعد من الغزل وطالب الرجال والبيت الثاني في الاعتذار  
والاستهزاء والتهيام وغير منتظم مع المعنى الذي قدمه في البيت الأول لأن تقديره لا تبعدين  
عن نفسك فإن أغلب النساء وأخذعن عن رأيهن وأفسدتهن بالغازل وكونه مفسدة لهن  
لا يوجب له وصلهن وترايبه عن إياه بل يوجب هجره والاستخفاف به لسخفه ودخوله كل  
مدخل فاحتر وركوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف  
الكريم من مثله ويأنف من ذكره وكقوله

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له \* بشق وتحتي شتها لم يحول  
ويوم على ظهر الكتيب تعذرت \* على وآلت حلفسة لم تحلل

فالبيت الأول غاية في الفحش ونهاية في السخف وأي فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب  
هذه القبايح ويذهب هذا المذهب ويرد هذه الموارد أن هذا ليس بغيره كل من سمع كلامه



ويوجب له الموت وهو لو صدق لكان قبها فكيف ويجوز ان يكون كاذبا ثم ليس في البيت لفظ بديع ولا معنى حسن وهذا البيت متصل بالبيت الذي قبله من ذكر الموضع التي لها ولد محمول فأما البيت الثاني وهو قوله ويوما يتعجب منه وانما تشددت وتعمدت عليه وحلفت عليه فيو كالم ردى النسيج لا فائدة لذكره لانه ان حبيبه تمتعت عليه يوضح بسميه وبصفه وانت تجد في شعر المحدثين من هذا الجنس في التغزل ما يذرب معه اللب وتطرب عليه النفس وهذا لما سنسلكه النفس ويشتمز منه انقلب وليس فيه شيء من الاحسان والحسن وقوله

أيا طم مهلا بعض هذا الندال \* وان كنت قد أزمعت صرعى فاجلى  
أغرك منى ان حبك قاتلى \* وانك مهمما تأمرى القلب يفعل  
فأبيت الاول فيه ركا كذا وتأتي شورة ولم يكن فيها تخنيث ولعل قائل يقول ان كلام النساء بما يلائهن من الطبع أرفع أغزل وليس كذلك لانك تجد الشعراء في الشعر المؤنث لم يعدلوا عن رصانة قوافيهم والمصرع الثاني منقطع عن الاول لا يلائمه ولا يوافقه وهذا بين لانه اذا عترضت معه البيت الذي تقدمه وكيف يشكر عليها ندلها والتغزل بطرب على دلال الحبيب وتدلله والبيت الثاني قد عيب عليه لانه قد أخبر ان سبيلها ان لا تغتر بما يريها من ان جهاد قتله وأنها تملك قلبه فأمرته ففعله والمحبة اذا أخبر عن مثل هذا صدق وان كان المعنى غير هذا الذي عيب عليه وانما ذهب مذهبا آخر وهو انه أراد ان يظهر التجرد فهذا اخلاف ما ظهر من نفسه فيما تقدم من الابيات من الحب والبكاء على الاحبة فقد دخل في وجه آخر من المناقضة والاحاطة في الكلام ثم قوله تأمرى القلب يفعل معناه تأمر بنى القلب لا يؤمر والاستعارة في ذلك غير واقعة ولا حسنة وقوله

فان كنت قد ساءت منى خليقة \* فسل ثيابك عن ثيابك تنسلى  
وما ذرفت عيناك الا لنصرى \* بسمهيك في أعشار قلب مقتلى  
البيت الاول قد نسل في تأويله انه ذكر الثوب وأراد البدن مثل قول الله تعالى وثيابك فطهر وقال أبو عبيد هذا مثل الليبر وتدل تبين وهو بيت قليل المعنى ركيكه وضعفه وكل ما أضاع الى نفسه ووصف به نفسه سقرط وسفوسه وخف يوجب قطعه فلم يحكمكم على نفسه بذلك ولا يكر يورده مويد ان ليست له خليقة فوجب هجرانه والتقضى من وصله وانه مذهب الاخلاق ثم ردت الشماثل فذلك يوجب ان لا يفتخ من وصله والاستعارة في المصراع الثاني فيها تواضع وتقارب وان كانت غريبة وأما البيت الثاني فعدود من خمس القصيدة وبدائعها ومعناه ما بكيت الا لبحر حتى قلبا معشرا اى مكسرا من قولهم

رمة اعشار اذا كانت قطعاً هذا تأويل ذكره الاصمعي رضي الله عنه وهو أشبه عند  
أكثرهم وقال غيره وهذا مثل للعشار التي تقسم الجزر وعليها أو بعني بسهميك المعلى وله  
سبعة أنصباء والرقيب وله ثلاثة أنصباء فأراد أنك ذهبت بتبليجي أجمع وبعني بقوله مقتل  
مدلل وأنت تعلم أنه على ما بعني به فهو غير موافق للآيات المتقدمة لما فهم من التناقض  
الذي بيننا ويشبه أن يكون من قال بالتأويل الثاني فزع إليه لأنه رأى اللفظ مستكراً على  
المعنى الأول لأن القائل اذا قال ضرب فلان بسهمه في الهدف بعني أصابه كان كلاماً ماسقاً  
مردولاً وهو يرى أن معنى الكلمة أن عينها كالسهم من النافذين في إصابة قلبه المجرور  
فلما بكوا وذرفوا الدموع كأننا ضاربين في قلبه ولكن من حمل على التأويل الثاني سلم من  
الخلل الواقع في اللفظ ولكنه اذا حمل على الثاني فسد المعنى واختل لأنه ان كان محتاجاً على  
ما وصف به نفسه من الصبابة فقلبه كله لها فكيف يكون بكائها هو الذي يخلص قلبه لها  
واعلم بعد هذا أن البيت غير ملائم للبيت الأول ولا متصل به في المعنى وهو منقطع عنه لأنه لم  
يسبق كلام يقتضي بكاءها ولا سبب يوجب ذلك فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه  
اختلال ثم لو سلم له بيت من عشرين بيتاً وكان يديعاً ولا عيب فيه فليس بعجيب لأنه لا يدعى  
على مثله أن كلامه كله متناقض ونظمه كله متباين وانما يكفي أن نبين أن ما سبق من كلامه  
إلى هذا البيت مما لا يمكن أن يقال أنه يتقدم فيه أحداً من المتأخرين فضلاً عن المتقدمين وانما  
قدم في شيء شعره لا يات قد برع فيها أو بان حذوقها وانما أنكرنا أن يكون شعره متناسلاً في  
الجودة ومتشابهاً في صحة المعنى واللفظ وقلنا أنه يتصرف بين وحشي غريب مستنكر  
وعريية كالمهل مستنكرة وبين كلام سليم متوسط وبين عاى سوقى في اللفظ والمعنى  
وبين حكمة حسنة وبين مخف مستشع وهذا قال الله عز اسمه ولو كان من عند غير الله  
لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فأما قوله

وبيضة خدر لا يرام خباؤها \* تمتعت من لهو بها غير مجمل

تجاوزت احراسا اليها ومعشرا \* على احراسا لو يسرون مقبلي

فقد قالوا عني بذلك انها كبيضة خدر في صفاتها ورقتها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق  
اليها بل هي دائرة في أفواء العرب وتشبيهه سائر وبعني بقوله غير مجمل أنه ليس ذلك بما يتفق  
قليلاً وأحياناً بل يتكرر له الاستمتاع بها وقد يحمله غيره على أنه رابط الحاش فلا يستعمل  
اذا دخلها خوف حصانتها ومنعها وليس في البيت كبير فائدة لأنه الذي حكى في سائر آياته  
فلا تتضمن مطاوعته في المغازلة واستغاله بها فتكريره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى إلا  
الزيادة التي ذكر من منعها وهو مع ذلك بيت سليم اللفظ في المصراع الأول دون الثاني

والبيت الثاني ضعيف وقوله لو يسرون مقتلى أراد ان يقول لو أسروا فاذا نقله الى هذا  
ضعف ووقع في مضمار الضرورة والاختلال على نظمهم حتى ان المترز يحتز من مثله  
وقوله اذا ما التريافي السماء تعرضت \* تعرض أثناء الوشاح الفصل

قد انكر عليه قوم قوله اذا ما التريافي السماء تعرضت وقالوا التريالا تتعرض حتى قال  
بعضهم سمى الترياء ناعما أراد الجوزاء لانها تعرض والعرب تفعل ذلك كما قال زهير  
كأجر عاد وانما هو أجزع غود وقال بعضهم في تصحيح قوله تعرض أول ما تطلع كان  
الوشاح اذا طرح يلقاك بعرضه وهو ناحيته وهذا كقول الشاعر

تعرضت لي بجمان خل \* تعرض المهرة في الطول

يقول تريك عرضها وهي في الرسن وقال أبو عمر ويعني اذا أخذت التريافي وسط السماء  
كأيا أخذ الوشاح وسط المرأة والاشبه عندنا ان البيت غير معيب من حيث عابوه به وانه  
من محاسن هذه القصيدة ولولا أبيات عدة فيه لقابله ما شئت من شعر غيره ولكن لم يأت فيه  
بما يفوت الشأو ويستولى على الامد أنت تعلم انه ليس للتقدمين ولا للتأخرين في وصف  
مثنى من النجوم مثل ما في وصف الترياء وكل قد أبدع فيه وأحسن فاما ان يكون قد عارضه أو  
زاد عليه فن ذلك قول ذى الرمة

وردت اعتسافا والتريا كأنها \* على قمة الرأس ابن ماء مخلق

ومن ذلك قول ابن المعتز

وترى التريافي السماء كأنها • بيضات ادحي يلحن بفدود

وكقوله كأن التريافي أو اخر ليها \* تقفح نوراً وجام مفضض

وقوله أيضا فناولنها والتريا كأنها \* جنى نرجس حيا المدامى به الساقى

وقول الاشهب بن رميلة

ولاحت لساريتها التريا كأنها \* لدى الافق الغربي قرط مسلسل

ولابن المعتز

وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه • كذات قرط أرادته وقد سقطا

أخذه من ابن الرومي في قوله

طيب ريقه اذا ذقت فاه \* والتريا بجانب الغرب قرط

ولابن المعتز قد سقاني المدام والصب \* ح بالي — ل مؤثر

والتريا كنور غصن \* على الارض قد نثر

وقوله وزوم التريافي السماء مراما • كنكباب طمر كاديلقي لجاما

ولابن الطرية اذا ما الترياق السماء كأنها \* جمان وهي من سلكه فتبددا  
ولونسخت لك كل ما قالوا من البديع في وصف التريا الطال عليك الكتاب وخرج عن الغرض  
وانما تريد ان تبين لك ان الابداع في نحو هذا امر قريب وليس فيه شئ غريب وفي جملة  
ما نقلناه ما يزيد على تشبيهه في الحسن أو بساويه أو يقاربه فقد علمت ان ما خلق فيه وقدر  
المتعصب له انه بلغ النهاية فيه أمر مشترك وشريعة موروثة وباب واسع وطريق مسلول  
واذا كان هذا بيت القصيدة ودرة القلادة واسطة العقد وهذا محله فكيف بما تعداه ثم  
فيه ضرب من التكلف لانه قال اذا ما الترياق في السماء تعرضت تعرض انشاء الوشاح فقوله  
تعرضت من الكلام الذي يستغنى عنه لانه يشبه انشاء الوشاح سواء كان في وسط السماء أو  
عند الطلوع والمغيب فالتهويل بالتعرض والتطويل بهذه الالفاظ لا معنى له وفيه ان التريا  
كقطعة من الوشاح المفصل فلا معنى لقوله تعرض انشاء الوشاح وانما أراد ان يقول  
تعرض قطعة من انشاء الوشاح فلم يستقم له اللفظ حتى شبه ما هو كالشئ الواحد بالجمع وقوله  
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها \* لدى الستر الالبسة المتفضل  
فقلت عین الله مالک حيلة \* وما ان أرى عنك العجاية تجلي

أنظر الى البيت الاول والابيان التي قبسه كيف خلط في النظم وفرط في التأليف فذكر  
التمتع بها وذكر الوقت والحال والحراس ثم يذكر كيف كان صفتهما داخل عليها ووصل  
اليها من نزعها ثيابها الا ثوبا واحدا والمتفضل الذي في ثوب واحد وهو الفضل فما كان  
من سبيله ان يقدمه انما ذكره مؤخرا وقوله لدى الستر حشو وليس بحسن ولا بديع وليس  
في البيت حسن ولا شئ يفضل لاجله وأما البيت الثاني ففيه تعليق واختلال ذكر  
الاصمعي ان معنى قوله مالک حيلة أي ليست لك جهة تحي فيها والناس حوالى والكلام في  
المصرع الثاني منقطع عن الاول ونظمه اليه فيه ضرب من التفاوت وقوله

فجئت بها أمشي تجر وراءنا \* على اترنا أذيال مرط مرط مرط

فلما أجزنا ساحة الحي واتحي \* بنا بطن خبت ذى حفاف عققل

البيت الاول من مساعدتها اياه حتى قامت معه ليخلوا وانما كانت تجر على الاثر أذيال مرط  
مرط والمرط ضرب من البرود يقال لوشية الترجيل وفيه تكلف لانه قال وراءنا على  
اثرنا ولو قال على اثرنا كان كافيا والذيل انما يجري وراء الماشي فلا فائدة لذلك وراءنا  
وتقدير القول فجئت أمشي بها وهذا بضرب من التكلف وقوله أذيال مرط مرط مرط  
سبيله ان يقول ذيل مرط على انه لو سلم من ذلك كان قريبا ليس مما يفوت بمثله غيره ولا  
يتقدم به سواء وقول ابن المعتز أحسن منه

فبت أفرش خدى فى الطريق له • ذلا وأسهب أذبالى على الأثر  
وأما البيت الثانى فقوله أجزنا بمعنى قطعنا والخبث بطن من الارض والحقف رمل منعرج  
والعقنقل المنعقد من الرمل الداخل بعضه فى بعض وهذايت متقارب مع الايات  
المتقدمة لان فيها ما هو سلس قريب يشبه كلام المولدين وكلام البذلة وهذا قد اغرب فيه  
وأتى به هذه اللفظة الوحشية المتعقدة وليس فى ذكرها والتفضيل بالحقاقها بكلامها فائدة  
والكلام الغريب واللفظة الشديدة المبينة انسج الكلام قد محمد اذا وقعت موقع الحاجة  
فى وصف ما يلائمها كقوله عز وجل فى وصف يوم القيامة يوم ما عبوسا قطر يرافأ ما اذا وقعت  
فى غير هذا الموقع فهى مكروهة مذمومة بحسب ما تحمد فى موضعها وروى ان جريرا  
أنشد بعض خلفاء بنى أمية قصيدته

بان الخليط برامتين فودعوا • أوكلما جدوا لبين تجزع  
كيف العزاء ولم أجد مذنبتم • قلبا يقر ولا شرا با ينفع  
قال وكان يزحف من حسن هذا الشعر حتى بلغ قوله  
وتقول بوزع قد ديت على العصا \* هلا هزيت بغيرنا يا بوزع  
فقال أفسدت شعرك بهذا الامم وأما قوله

هصرت بغصنى دوحة قمايلت • على هضم الكشح ريا المخلخل  
مهفهفة يبيضاء غير مفاضة \* ترائبها مصقولة كالسججل  
فعنى قوله هصرت جذبت وثنيت وقوله بغصنى دوحة تعسف ولم يكن من سبيله ان يجعلها  
اثنين والمصراع الثانى أصح وليس فيه شئ الا ما يتكرر على السنة الناس من هاتين  
الصفتين وأنت تجد ذلك فى وصف كل شاعر ولكنه مع تكرره على اللسان صالح وأما معنى  
قوله مهفهفة انها مخففة ليست مثقلة والمفاضة التى اضطرب طولها والبيت مع مخالفته فى  
الطبع الايات المتقدمة ونزوعه فيه الى الالفاظ المستكرهة وما فيه من الخلل من  
تخصيص الترائب بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض فليس بطائل ولكنه قريب متوسط  
وقوله تصد وتبدى عن أسيل وتبقى \* بناظرة من وحش وجره مطفل  
وجيد بكيد الريم ليس بفاحش \* اذا هى نصته ولا يعطل  
معنى قوله عن أسيل أى بأسيل وانما يريد خد اليس بكرز وقوله تبقى يقال انقاه بترسه أى  
جعله بينه وبينه وقوله تصد وتبدى عن أسيل متفاوت لان الكشف عن الوجه مع الوصل  
دون الصد وقوله تبقى بناظرة لفظة مليحة ولكن أضافها الى ما نظم به كلامه وهو مختل وهو  
قوله من وحش وجره وكان يجب أن تكون العبارة بخلاف هذا كان من سبيله أن يضيف

الى عيون الطبأ أو المأ دون اطلاق الوحش ففهن مأ تستكر عيونها وقوله مطلق فسر وه  
على أنها ليست بصيغة وانها قد استصكمت وهذا اعتذار متعسف وقوله مطلق زيادة  
لا فائدة فيها على هذا التفسير الذى ذكره الاصمعي ولكن قد يحتل عندى ان يفيد غير هذه  
الفائدة فيقال انها اذا كانت مطلقا لحظت اطفالها بعين رقة ففي نظر هذه رقة نظرا للمودة  
ويقع الكلام معلقا تعليقا متوسطا وأما البيت الثانى فعنى قوله ليس بفاحش أى ليس  
بفاحش الطول ومعنى قوله نضته رفعتة ومعنى قوله ليس بفاحش فى مدح الاعناق كلام  
فاحش موضوع منه واذا نظرت فى أشعار العرب رأيت فى وصف الاعناق ما يشبه السحر  
فكيف وقع على هذه الكلمة ودفع الى هذه اللفظة وهالقال كقول أبي نواس

مثل الطبأ سميت الى رو \* ض صواد ر عن غدیر

ولست أطول عليك فتستثقل ولا أكثر القول فى ذمه فتستوحش وأكلك الآن الى جملة من  
القول فان كنت من أهل الصنعة فطنت واكتفيت وعرفت ما رمينا اليه واستغيت وان  
كنت عن الطبقة خارجا وعن الاتقان بهذا الشأن خاليا فلا يكفيك البيان وان استقر بنا  
جميع شعره وتبعنا عامة الفاظه ودللنا على ما فى كل حرف منه \* اعلم أن هذه القصيدة قد  
ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة وأبيات متوسطة وأبيات ضعيفة مزدولة وأبيات وحشية  
غامضة مستكرهة وأبيات معدودة بدعية وقد دللنا على المبتذل منها ولا يشبه عليك  
الوحشى المستنكر الذى يروع السمع ويهول القلب ويكد اللسان ويعبس معناه فى وجه  
كل خاطر ويكشفه رطله على كل متأمل أو ناظر ولا يقع مثله التمدح والتهاصع وهو بجانب  
لما وضع له أصل الافهام ومخالف لما ينبنى عليه التفاهم بالكلام فيجب ان يسقط عن الغرض  
المقصود ويلحق بالغرض والاشارات المستهمة فأما الذى زعموا انه من بديع هذا الشعر فهو  
قوله ويخفى فتيبت المسك فوق فراشها \* نؤم الخفى لم تنتطق عن تفضل

والمصراع الاخير عندهم بديع ومعنى ذلك انها مترفة متعجة لهما من يكفها ومعنى قوله لم  
تنتطق عن تفضل يقول لم تنتطق وهى فضل وعن هى بمعنى بعد قال أبو عبيدة لم تنتطق  
فتعمل ولكنما تفضل وبما بعده من محاسنها

وليل كموج البحر أرخى سدوله \* على بأنواع النجوم لينبلى

فقلت له لما تطى بصلبه \* وأردف أعجازا وناء بكاسل

الأبها الليل الطويل ألا انجل \* بصبح وما الاصبح منك بأمثل

وكان بعضهم يعارض هذا بقول النابغة

كلينى لهم يا أمية ناصب \* ليل أفا فيه بطنى الكواكب

وصدر أراح الليل عازب همه • تضاعف فيه الحزن من كل جانب  
 نقاعس حتى قلت ليس بمنقض \* وليس الذي يتلو النجوم بايب  
 وقد جرى ذلك بين يدي بعض الخلفاء فقدمت أبيات امرئ القيس واستحسن استعارتها  
 وقد جعل الليل صدرا ينقل تخيه ويبطئ تقضيه وجعل له أردافا كثيرة وجعل له صلبا يمتد  
 ويتناول ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة  
 المستنكرة ورأوا ان الالفاظ جميلة واعلم ان هذا صالح جبل وليس من الباب الذي يقال  
 انه متناه عجيب وفيه المام بالتكلف ودخول في التعلل وقد خرجوا له في البديع من القصيدة  
 قوله وقد اغتدى والطير في وكاتها • بمنجرد قيد الاوابد هيكل  
 مكرم مفر مقبل مدبر معا • كجلمود يخرحطه السيل من عل  
 وقوله أيضا له أبطلا ظبي وسا فانعامه \* وارخاء سرحان وتقررب تنفل  
 فأما قوله قيد الاوابد فهو مليح ومثله في كلام الشعراء وأهل الفصاحة كثير والعمل بمثله  
 ممكن وأهل زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفا ويؤلفون المحاسن تأليفا ثم يوشعون به  
 كلامهم والذين كانوا من قبل لغزائهم وتمكنهم لم يكونوا يصنعون لذلك انما كان يتفق  
 لهم اتفاقا وبطرد في كلامهم اطرادا وأما قوله في وصفه ~~مكرم~~ مفر فقد جمع فيه طباقا  
 وتشبيها وفي سرعة جري الفرس للشعراء ما هو أحسن من هذا وألطف وكذلك في جمعه بين  
 أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد صنعة ولكن قد عورض فيه زوحم والنوصل  
 اليه يسير وتطلبه سهل قريب وقد بينا لك ان هذه القصيدة وتظايرها تفاوتت في أبياتها  
 تفاوتا بينا في الجودة والرداءة والسلاسة والانعقاد والسلامة والانحلال والتمكن  
 والتسهل والاسترسال والتوحش والاستكراه وله شركاء في نظائرها ومنازعون في محاسن  
 ومعارضون في بدائعها ولأسوأ كلام ينحت من الصغر تارة ويزدب تارة ويتلون تلون  
 الحرباء ويختلف اختلاف الاهواء ويكثر في تصرفه اضطرابه وتتقاذف به أسبابه وبين  
 قول يجري في سبكه على نظام وفي رصفه على مناج وفي وضعه على حد وفي صفائه على باب  
 وفي بهجته وورنقه على طريق مختلفة مؤتلف ومؤتلفة متحد ومتباعدة متقارب  
 وشاردة مطيع ومطيع وهو على متصرفاته واحد لا يستصعب في حال ولا يتعقد في  
 شأن وكأردنا ان نتصرف في قصائد مشهورة فنسلكم عليها وندل على معانيها ومحاسنها  
 ونذكر لك من فضائلها ونقائصها بنسب لك القول في هذا الجنس ونفتح عليك في هذا النهج  
 ثم رأينا هذا خارجا عن غرض كتابنا والكلام فيه يتصل بنقد الشعر وعيانه ووزنه بميزانه  
 ومعياره ولذلك كتب وان لم تكن مستوفاة وتصانيف وان لم تكن مستقصاة وهذا

القدر يكفي في كتابته ولم نجب ان ننسخ لك ما سطره الادباء في خطأ امرئ القيس في العروض  
والنحو والمعاني وما عاوه عليه في أشعاره ونكاهوا به على ديوانه لان ذلك أيضا خارج عن  
غرض كتابنا ومجانب لمقصوده وانما أردنا ان نبين الجملة التي بينها لتعرف ان طريقة الشعر  
شريعة موروثة ومنزلة مشهودة يأخذ منها أصحابها على مقادير أسبابهم ويتناول منها  
ذووها على حسب أحوالهم وانت تجد للتقدم معنى قد طمسه المتأخر عما برز عليه فيه  
وتجد للتأخر معنى قد أغفله المتقدم وتجد معنى قد توافد عليه وتوافيا اليه فهم ما فيه شريكا  
عنان وكانهم ما فيه رضي عالبيان والله يوتى فضله من يشاء فأمنا هج القرآن ونظمه وتأليفه  
ورصفه فان العقول تنبه في جهته وتبحر في بحره وتضل دون وصفه ونحن نذكر لك في  
تفصيل هذا ما نستدل به على الغرض ونستولى به على الأمد وتصل به الى المقصد وتتصور  
عجازه كأنه تصور الشمس وتيقن تنهاى بلاغته كما تيقن الفجر وأقرب عليك الغامض  
وأسهل لك العسير واعلم ان هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف  
الاصحاب ليست له عشيرة تحميه ولا أهل عصمة تفتن لما فيه وهو أدق من السحر وأهول  
من البحر وأعجب من الشعر وكيف لا يكون كذلك وأنت تحسب ان وضع الصبح في موضع  
الفجر يحسن في كل كلام الا ان يكون شعرا أو سمعا وليس كذلك فان احسدى اللفظتين  
قد تنفر في موضع وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الاخرى بل تتمكن فيه وتضرب بجراها  
وتراه في مظانها وتجد ما فيه غير منازعة الى أوطانها وتجد الاخرى لو وضعت موضعها في  
محل نقار ومرمى مراد ونابية عن استقرار ولا أكثر عليك المثال ولا أضرب لك فيه  
الامثال وأرجع بك الى ما وعدتك من الدلالة وضمنت لك من تقريب المقالة فان كنت  
لا تعرف الفصل الذي بينا بين اللفظتين على اختلاف مواقع الكلام ومتصرفات مجازي  
النظام لم تستفد مما تقر به عليك شيئا وكان التقليد أولى بك والاتباع أوجب عليك ولكل شئ  
سبب ولكل علم طريق ولا سبيل الى الوصول الى الشئ من غير طريقه ولا بلوغ غايته من  
غير سبيله خذ الآن هذاك الله في تفريغ الفكر وتخليية البال وانظر فيما نعرض عليك  
ونهديه اليك متوكلا على الله ومعتمدا به ومستعينا به من الشيطان الرجيم حتى تقف على  
عجاز القرآن العظيم سماء الله عز ذكره حكما وعظيما ومحبيدا وقال لا يأتيه الباطل من بين  
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا  
متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وقال ولو أن قرآنا  
سيرت به الجبال او قطعت به الارض أو كالموقبل لله الامر جميعا وقال قل لئن اجتمعت  
الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا



وأخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين القزويني حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن عثمان حدثنا أبو يوسف الصديقي حدثنا محمد بن سلمة عن أبي سنان عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن الحارث الأعور عن علي رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله ان امتك ستفتن من بعدك فسأل أو سئل ما المخرج من ذلك فقال بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من ابتغى العلم في غيره أضله الله ومن ولي هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله وهو الذكرا الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم فيه خبر من قبلكم وتبيان من بعدكم وهو فصل ليس بالهزل وهو الذي سمعته الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشدا فآمنابه لا يخلق على طول الرد ولا تنقضي عبره ولا تقني عجايبه واخبرني أحمد بن علي بن الحسن أخبرنا أبي أخبرنا بشر بن عبد الوهاب أخبرنا هشام بن عبيد الله حدثنا المسيب بن شريك عن عبيدة عن أسامة بن أبي عطاء قال أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الى علي رضي الله عنه في ليلة فذكر نحو ذلك في المعنى وفي بعض ألفاظه اختلاف وأخبرنا أحمد بن علي بن الحسن أخبرنا أبي أخبرنا بشر بن عبد الوهاب أخبرنا هشام بن عبيد الله حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن عمر عن القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلث القرآن أعطى ثلث النبوة ومن قرأ نصف القرآن أعطى نصف النبوة ومن قرأ القرآن كله أعطى النبوة كلها غير انه لا يوحى اليه وذكر الحديث ولو لم يكن من عظم شأنه الا انه طبق الارض أنواره وجلال الآفاق ضياؤه ونفذ في العالم حكمه وقبل في الدنيا رسمه وطمس ظلام الكفر بعد ان كان مضروب الرواق عمودا لا طناب مبسوط الباع مر فوع الهما ليس على الارض من يعرف الله حق معرفته أو يعبد حق عبادته أو يدين بعظمته أو يعلم علو جلالته أو يتفكر في حكمته فكان كإوصافه الله تعالى جل ذكره من انه نور فقال وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لنهدي الى صراط مستقيم فانظر ان شئت الى شريف هذا النظم وبديع هذا التأليف وعظيم هذا الرصف كل كلمة من هذه الآية تامة وكل لفظ بديع واقع وقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا يدل على صدوره من الربوبية ويبين عن وروده عن الالهية وهذه الكلمة بمنفردا وأخواتها كل واحدة منها وقعت بين كلام كثير يتميز عن جميعه وكان واسطة عقده وفاخرة عقده وعرة شهره وعين دهره وكذلك قوله ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فجعله روحا لانه يحيي الخلق فله فضل الارواح في الاجساد وجعله نورا لانه يضيئ ضياء الشمس في الآفاق ثم أضاف وقوع الهداية به الى مشيئته

ووقف وقوف الاسترشاد به على ارادته وبين انه لم يكن له يهدي اليه لولا توفيقه ولم يكن يعلم ما في الكتاب ولا الايمان لولا تعليمه وانه لم يكن له يهدي فكيف كان يهدي لولا فقد صار يهدي ولم يكن من قبل ذلك له يهدي فقال وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور فانظر الى هذه الكلمات الثلاث فالكلمتان الاولتان مؤنلتان وقوله الا الى الله تصير الامور كلمة منفصلة بمبينة للاولى قد صيرهما مشربا للنظم أشد اثلافا من الكلام المؤلف والطف انتظاما من الحديث الملائم وهذا بين فضل الكلام وتظهر فصاحته وبلاغته الامر أظهر والحمد لله والحال آيين من ان يحتاج الى كشف تأمل قوله فالق الاصباح وجاعل الليل سكا والشمس والقمر حسبا ناذلك تقدير العزيز العليم انظر الى هذه الكلمات الاربع التي ألف بينها واحتج بها على ظهور قدرته ونفاذ امره أليس كل كلمة منها في نفسها غرة وبخبر دهادرة وهو مع ذلك يبين انه يصدر عن علو الامر ونفاذ القهر ويعمل في حجة القدرة ويعمل بخلاصة العزة ويجمع السلاسة الى الرصانة والسلامة الى المتانة والرونق الصافي والبهاء الضافي ولست أقول انه شمل الاطباق المليح والايجاز اللطيف والتعديل والتشثيل والتقريب والتشكيل وان كان قد جمع ذلك وأكثر منه لان العجيب ما يبدنا من انفراد كل كلمة بنفسها حتى تصلح ان تكون عين رسالة أو خطبة أو وجه قصيدة أو فقرة فاذا ألفت ازدادت حسنا وزادت اذا تأملت معرفة وايماناً تأمل قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم هل تجد كل لفظة وهل تعلم كل كلمة تستقل بالاشتمال على نهاية البديع وتتضمن شرط القول البليغ فاذا كانت الآية تنتظم من البديع وتتألف من البلاغات فكيف لانقوت حد المعبود ولا تحوز شأ والمألوف وكيف لا تحوز قصب السبق ولا تتعالى عن كلام الخلق ثم اقص الى سورة نامة فتصرف في معرفة قصصها وراع ما فيها من براهينها وقصصها تأمل السورة التي يذكر فيها النمل وانظر في كل كلمة كلمة وفصل وفصل بدأ بك السورة الى ان بين ان القرآن من عنده فقال وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام وانه رأى نارا فقال لاهله امكنوا اني آنست نارا سا آتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون وقال في سورة طه في هذه القصة لعل آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى وفي موضع لعل آتيكم منها بخبر أو وجدوة من النار لعلكم تصطلون قد تصرف في وجوه وأتى بذلك القصة على ضرب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك ولهذا قال فليأتوا بحديث مثله ليكون أبلغ في تعجزهم وأظهر للعجزة عليهم وكل كلمة من

هذه الكلمات وان أنبأت عن قصة فهي بليغة بنفسها تامة في معناها ثم قال فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين فانظر الى ما جرى له الكلام من علو أمر هذا النداء وعظم شأن هذا الثناء وكيف انتظم مع الكلام الأول وكيف اتصل بتلك المقدمة وكيف وصل بها ما بعدها من الاخبار عن الربوبية وما دل به عليها من قلب العصاحية وجعلها دليلا يدل عليه ومجزة تهديه اليه وانظر الى الكلمات المفردة القائمة بانفسها في الحسن وفيما تفضنه من المعاني الشريفة ثم ما شفع به هذه الآية وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء ثم انظر في آية آية وكلمة كلمة هل تجدها كلوصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية فكيف اذا قارنتها اخواتها وضامتها ذواتها تجزى في الحسن مجراها وتأخذ في معناها ثم من قصة الى قصة ومن باب الى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل الى الفصل وحتى يصور لك الفصل وصلا ببدء التاليف وبلغ التنزيل وان أردت أن تبين ما قلناه فضل تبين وتحقيق ما ادعيناه زيادة تحقيق فان كنت من أهل الصنعة فاعمد الى قصة من هذه القصص وحديث من هذه الأحاديث فعبّر عنه بعبارة من جهتك واخبر عنه بالفاظ من عندك حتى ترى فيما جئت به النقص الظاهر وتبين في نظم القرآن الدليل الباهر ولذلك أعاد قصة موسى في سور وعلى طرق شتى وفواصل مختلفة مع اتفاق المعنى فلعلك ترجع الى عقلك وتستمر ما عندك ان غلطت في أمرك أو ذهبت في مذاهب وهمك أو سطلت على نفسك وجه ظنك متى تهيا لبليغ ان يتصرف في قدر آية في أشياء مختلفة فيجعلها مؤلفة من غير ان يبين على كلامه اعباء الخروج والتنقل أو يظهر على خطابه آثار التكلف والتجمل واحسب أنه يسلم من هذا ومحال أن يسلم منه حتى يظهر على تلك الكلمات الأفراد والالفاظ الاعلام حتى يجمع بينها فيجاء فيها بقصة من كلامه بوقطة من قوله ولو اتفق له في أحرف معدودة وأسطر قليلة فتى يتفق له في قدر ما نقول انه من القرآن معجز هيات هيات ان الصبح يطمس النجوم وان كانت زاهره والبحر يغمر الانهار وان كانت زاهره متى تهيا لا ادعى أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة الشريفة العالسة ألا نعلوا على وأتوفى مسلمين والخلوص من ذلك الى ما صارت اليه من التدبير واشتغلت به من المشورة ومن تعظيمها أمر المستشار ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها بتلك الالفاظ البديعة والكلمات العجيبة البليغة ثم كلامها بعد ذلك لتعلم تمكن قولها يا أيها الملأ أفتوني في أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون وذكر قولهم قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري

ماذا تأمرين لا تتجدي في صفتهن أنفسهن أبدع مما وصفهم به وقوله الامر اليك تعلم براعته بنفسه  
وعجيب معناه وموضع اتفاقه في هذا الكلام وتتمكن الفاصلة وملاءمته لما قبله وذلك قوله  
فانظري ماذا تأمرين ثم الى هذا الاختصار والى البيان مع اليجاز فان الكلام قد يفسده  
الاختصار ويعيبه التخفيف منه والايجاز وهذا مما يزيد الاختصار بسطاً وتمكنه ووقوعه  
موقعه ويتضمن الايجاز منه تصرفاً يتجاوز محله وموضعه وكم جئت الى كلام مبسوط يضيق  
عن الافهام ووقعت على حديث طويل بقصر عما يرايه من التمام ثم وقع على الافهام (٣)  
فياجب فيه من شروط الاحكام أو بمعنى القصة وما تقتضى من الاعظام ثم لو ظفرت بذلك  
كلما رأته ناقصاً في وجه الحكمة أو مدخولاً في باب السياسة أو مصفوفاً في طريق السيادة  
أو مشتركاً في عبارات ان كان مستجود المعنى أو جيد البلاغة مستجلب المعنى أو مستجلب  
البلاغة جيد المعنى أو مستنكر اللفظ وحشى العبارة أو مستجلب الجانب مستكره الوضع  
وأنت لا تتجدي في جميع ما تلونا عليك الا ما اذا بسط أفاد واذا اختصر كمل في باب وجود واذا  
سرح الحكيم في جوانبه طرف خاطره وبعث العليم في أطرافه عيون مباحثه لم يقع الاعلى  
محاسن تتوالى وبدائع تترى ثم فكر بعد ذلك في آية أو كلمة بكلمة في قوله ان الملوكة اذا دخلوا  
قرية أفسدوها وجعلوا أعزاً أهلها أذلّة وكذلك يفعلون هذه الكلمات الثلاث كل واحدة  
منها كالنجم في علوه ونوره وكالباقوت بتلاّ بين شذوره ثم تأمل تكن الفاصلة وهى  
الكلمة الثالثة وحسن موقعها وعجيب حكمها وبارع معناها وان شرحت لك ما في كل آية  
طال عليك الامر ولكنى قد بينت بما فسررت وقررت بما فصلت الوجه الذى سلكت  
والنحو الذى قصدت والغرض الذى اليه رميت والسميت الذى اليه دعوت ثم فكر  
بعد ذلك في شئ أدلك عليه وهو تعادل هذا النظم في العجاز في مواقع الايات القصيرة  
والطويلة والمتوسطة فأجل الرأى في سورة سورة وآية آية وفاصلة فاصلة وتدبر الخواتم  
والنفوآت والبوادي والمقاطع ومواضع الفصل والوصل ومواضع التنقل والتحول ثم اقض  
مائنت قاض وان طال عليك تأمل الجميع فاقصر على سورة واحدة أو على بعض سور  
مارأيت في قوله ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح  
أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين هذه تشتمل على ست كلمات سناؤها وضياؤها  
على ماترى وسلاستها وماؤها على ماتشاهد ورونقها على ماتعائن وفصاحتها على ماتعرف  
وهى تشتمل على جملة وتفصيل وتفسير ذكر العلو في الارض باستضعاف الخلق يذبح  
الولدان وسبي النساء واذا تحكمت في هذين الامرين فاظنك بما دونهما لان النفوس لا تطمن  
على هذا الظلم والظلم لا تفر على هذا الجور ثم ذكر الفاصلة التى أوغلت في التأكيد

وكفت في التظيم وردت آخر الكلام على أوله وعطفت بحزبه على صدره ثم ذكر وعده  
تخليصهم بقوله وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم  
الوارثين وهذا من التأليف بين المؤلف والجمع بين المستأنس كأن قوله وابتغ فيما آتاك  
الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في  
الأرض إن الله لا يحب المفسدين وهي خمس كلمات متباعدة في المواقع نائية المطارح قد  
جعلها النظم البديع أشد تألفاً من الشيء المؤلف في الأصل وأحسن توافاقاً من المتطابق  
في أول الوضع ومثل هذه الآية قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان  
الله وتعالى عما يشركون ومثلها وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن  
من بعدهم الا قليلاً وكنا نحن الوارثين ومن المؤلف قوله ففسدنا به وبداره الأرض فما  
كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وهذه ثلاث كلمات كل كلمة منها  
أعز من الكبريت الأحمر ومن الباب الآخر قوله تعالى ولا تدع مع الله الهاً آخر لا اله الا  
هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون كل سورة من هذه السور تتضمن من  
القصص ما لو تكلفت العبارة عنها باضعاف كتابها لم تستوف ما استوفيه ثم تجد فيما تنظم ثقل  
النظم ونفور الطبع وشراد الكلام وتهاقت القول وتمنع جانبه وقصوره في الايضاح عن  
واجبه ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصة الى قصة وفصل الى فصل حتى تبين عليك مواضع  
الوصل ويستصعب عليك أما كن الفصل ثم لا يمكنك أن تصل بالقصص مواضع زاجرة  
وأمثالاً سائرة وحكا جلييلة وأداة على التوحيد بيينة وكلمات في التنزيه والهميد شريفة وإن  
أردت أن تحقق ما وصفت لك فتأمل شعر من شئت من الشعراء المقلقين هل تجد كلامه في  
المدح والغزل والفخر والهجو يجري مجرى كلامه في ذكر القصص انك لترام اذا جاء الى  
وصف واقعة أو نقل خبر عاى الكلام سوق الخطاب مسترسلاً في أمره متساهلاً في كلامه  
عادلاً عن المؤلف من طبعه وناكياً عن المعهود من سجيته فان اتفق له في قصة كلام جيد كان  
قدر نبتين أو ثلاثة وكان ما زاد عليها حشواً وما تجاوزها لغواً ولا أقول انها تخرج من  
عادته عفواً لانه يقصر عن العفو ويقف دون العرف ويتعرض للركاكة فان لم تقنع بما قلت  
لك من الايات فتأمل غير ذلك من السور هل تجد الجمع على ما وصفت لك لو لم تكن الاسورة  
واحدة لكفت في الاعجاز فكيف بالقرآن العظيم ولو لم يكن الا حديث من سورة لكفى  
وأقنع وشقى ولو عرفت قدر قصة موسى وحدها من سورة الشعراء لما طلبت بيته سواها  
بل قصة من قصصه وهي قوله وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون الى قوله  
فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورتناها بنى اسرائيل

فأتبعوهم مشرقين حتى قال فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ثم قصة إبراهيم عليه السلام ثم لولم تكن الآيات التي انتهى إليها القول في ذكر القرآن وهي قوله وأنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وهذه كانت مفردة بقواصلها منها ما يتضمن فاتحة وفاصلة ومنها ما هي فاتحة وواسطة وفاصلة ومنها كلمة بقاصلتها تأمة دل على أنه نزل على قلبه ليكون نذيرا وبين أنه آية لكونه نبيا ثم وصل بذلك كيفية النذارة فقال وانذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فتأمل آية آية لتعرف الإعجاز وتبين التصرف البديع والتنقل في الفصول إلى آخر السورة ثم راع المقطع الجيب وهو قوله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون هل يحسن أن تأتي بمثل هذا الوعيد وان نظم مثل هذا النظم وان تجد مثل هذه النظائر السابقة وتصادف مثل هذه الكلمات المتقدمة ولولا كراهة الاملال لجئت إلى كل فصل فاستقرت على الترتيب كلاته ويثبت لك ما في كل واحدة منها من البراعة ومن عجب البلاغة ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده وتستضيء بنوره وتهتدي بهداه ونحن نذكر آيات أخر لترداد استقبصارا وتقدم تيقنا تأمل من الكلام المؤلف قوله هم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير أنت قد تدربت الآن بحفظ أسماء الله تعالى وصفاته فانظر متى وجدت في كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم في هذا القدر وما يجمع ما يجمع هذه الآية من شريف المعاني وحسن الفاتحة والخاتمة واتل ما بعدها من الآي واعرف وجه الخلوص من شيء إلى شيء من احتياج إلى وعيد ومن عذار إلى انذار ومن فنون من الأمر شتى مختلفة تأتلف بشريف النظم ومتباعدة تتقارب بعلى الضم ثم جاء إلى قوله كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حق كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار الآية الأولى أربعة فصول والثانية فصلان وجه الوقوف على شرف الكلام أن تتأمل موقع قوله وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وهل تقع في الحسن موقع قوله ليأخذوه كلمة وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظه وهل يسد مسده في الاصلة نكتة لو وضع موضع ذلك ليقنوا أو ليرجوه أو لينفوه أو ليطردوه أو ليلكوه أو لينزلوه ونحو هذا ما كان ذلك بعيدا ولا بارعا ولا عجيبا ولا بالغا فانقد موضع هذه الكلمة وتعلم بها ما تذهب إليه من نخب الكلام وجميل الالفاظ والاهتمام بالمعاني فان كنت تقدر أن شيئا من هذه الكلمات التي عددناها عليك وغيرها لا تقف بك على غرضنا من هذا الكتاب فلا

سبيل لك إلى الوقوف على نصارى فافزع إلى التقليدوا كف نفسك مؤنة  
التفكير وان فطنت فانظر إلى ما قال من رد عجز الخطاب إلى صدره بقوله فاخذتهم فكيف كان  
عقاب ثم ذكر عقوبها العذاب في الآخرة واثلاها تالوا العذاب في الدنيا على الاحكام الذي رأيت  
ثم ذكر المؤمنين بالقرآن بعد ذكر المكذبين بالآيات والرسل فقال الذين يحملون العرش ومن  
حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به إلى أن ذكر ثلاث آيات وهذا كلام مفصول تعلم  
عجيب اتصاله بما سبق ومضى وانتسابه إلى ما تقدم وتفضي وعظم موضعه في معناه ورفيع  
ما يتضمن من تهميدهم وتسييحهم وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله ربنا وسعت كل شئ  
رحمة وعلما هل تعرف شرف هذه الكلمة لفظا ومعنى ولطيف هذه الحكاية وتلاؤم هذا  
الكلام ونشاكل هذا النظام وكيف يتهدى إلى وضع هذه المعاني بشرى وإلى تركيب  
ما يلائمها من الألفاظ انسى ثم ذكر ثلاث آيات في أمر الكافرين على ما ترى ثم نبه على أمر  
القرآن وانه من آياته بقوله هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر  
الا من فينب وانا عاذر هذين الأمرين الذين يختص بالقدرة عليهما التناسبهما في أنهم ما من  
تزييله من السماء ولان الرزاق الذي لو لم يرزق لم يكن بقاء النفس تجب طاعته والنظر في  
آياته ثم قال فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذوا العرش يليق  
الروح من أمره على ما يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يومهم بارزون لا يخفى على الله منهم  
شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قف على هذه الدلالة وفكر فيها وراجع نفسك في  
مرعاة معاني هذه الصفات العالية والكلمات السامية والحكم البالغة والمعاني الشريفة  
تعلم ورودها عن الالهية ودلائلها على الربوبية وتحقق أن الخطب المنقولة عنهم والأخبار  
المأثورة في كتابهم الفصيحة من الكلام الذي تعلق به الهمم البشرية وما تحوم عليه  
الأفكار الأدمية وتعرف مباينتها هذا الضرب من القول أى خاطر يتشوق إلى أن يقول  
يليق الروح من أمره على ما يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يومهم بارزون وأى لفظ يدرك  
هذا المضمار وأى حكيم يتهدى إلى ما لهذا من الغور وأى فصيح يتهدى إلى هذا النظم ثم  
استقرى الآية إلى آخرها واعتبر كلماتها وراع بعدها قوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت  
لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب من يقدر على تأليف هذه الكلمات الثلاث على قرنها  
وعلى خفتها في النظم وموقعها من القلب ثم تأمل قوله وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى  
الخارج كاطمين المظالمين من حجب ولا شفيع يطاع بعلم خائفة الأعين وما تخفى الصدور والله  
يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو السميع البصير كل كلمة من  
ذلك على ما قد وصفها من أنه اذا رآها الانسان في رسالة كانت عينا أو في خطبة كانت وجهها  
أو قصيدة كانت غرة غرتها وبیت قصيدتها كالباقية التي تكون فريدة العقد وعين



القلادة ودرة الشدر اذا وقع بين كلام وشعه واذا ضمن في نظام زينه واذا اعترض في خطاب تميز عنه وبان بحسنه منه ولست أقول هذا لك في آية دون آية وسورة دون سورة وفصل دون فصل وقصة دون قصة ومعنى دون معنى لاني قد شرحت لك ان الكلام في حكاية القصص والاخبار وفي الشرائع والأحكام وفي الديانة والتوحيد وفي الحج والتبئيت هو خلاف الكلام فيما عدا هذه الأمور ألا ترى أن الشاعر المطلق اذا جاء الى الزهد قصر والأديب اذا تكلم في بيان الأحكام وذكر الحلال والحرام لم يكن كلامه على حسب كلامه في غيره ونظم القرآن لا يتفاوت في شئ ولا يتباين في أمر ولا يختلف في حال بل له المثل الأعلى والفضل الأسنى وفيما شرحناه لك كفاية وفيما بيناه بلاغ ونذكر في الأحكاميات وغيرها آيات أخر منها قوله يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذا ذكروا اسم الله عليه واقفوا الله ان الله سريع الحساب أنت تجد في هذه الآية من الحكمة والتصرف العجيب والنظم البارع ما يدل ان شئت على العجاز مع هذا الاختيار والايجاز فكيف اذا بلغ ذلك آيات وكانت سورة ونحو هذه الآية قوله الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذين يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون وكلاية التي بعدهما في التوحيد واثبات النبوة وكلايات الثلاث في المواثيق أي بارع يقدر على جمع أحكام الفرائض في قدرها من الكلام ثم كيف يقدر على ما فهم من بدع النظم وان جئت الى آيات الاحتجاج كقوله تعالى لو كان فهمما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسألون وكلايات في التوحيد كقوله هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وكقوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السموات والارض ولم يخذولوا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديراً وكقوله تبارك الذي بيد الملك وهو على كل شئ قدير الى آخرها وكقوله والصافات صفا فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكرنا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ناقب هذه من الآيات التي قال فيها الله تعالى ذكره الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم



تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فإله  
 من هاد وانظر بعين عقلك وراجع جليسة بصيرتك اذا تفكرت في كلمة كلمة مما نقلناه اليك  
 وعرضناه عليك ثم فيما ينتظم من الكلمات ثم الى أن يتكامل فصلا وقصة أو يتم حديثا  
 وسورة لابل فكر في جميع القرآن على هذا الترتيب وتدبره على نحو هذا الترتيب فلم ندع  
 ما دعيناه لبعضه ولم نصف ما وصفناه الا في كله وان كانت الدلالة في البعض أبين وأظهر  
 والآية أشرف وأبهر واذا تأملت على ما هديناك اليه ووقفناك عليه فانظر هل ترى وقع  
 هذا النور في قلبك واشتماله على لبك ومريانه في حسك ونفوذ في عروقك وامتلأ به  
 ايقانا واحاطة واهتداءك به ايماننا وبصيرة أم هل تجد الرعب يأخذ منك مأخذه من وجه  
 والهزة تعمل في جوانبك من لون والارحمة تستولى عليك من باب وهل تجد انطرب  
 يستفرك لطيف ما فطنت له والسرور يحركك من عجيب ما رقت عليه وتجد في نفسك من  
 المعرفة التي حدثت لك عزة وفي أعطافك ارتياحا وهزة وترى لك في الفضل تقدم ما تبرزا  
 وفي اليقين سبقا وتحقيقا وترى مطارح الجهال تحت أقدام الغفلة ومهايرهم في ظلال  
 القلة والذلة وأقدارهم بالعين التي يجب أن تلحظ بها امراتهم بحيث يجب أن ترتبها هذا كله في  
 تأمل الكلام ونظامه وعجيب معانيه وأحكامه فان جئت الى ما انبسط في العالم من بر كنه  
 وأنواره وتمكن في الافاق من مننه وأضوائه وثبت في القلوب من اكباره واعظامه وتقرر في  
 النفوس من حتم أمره ونهيه ومضى في الدماء من مفروض حكمه والى أنه جعل عماد  
 الصلاة التي هي تالوا ليعان في التأكيذ وثانية التوحيد في الوجوب وفرض حفظه ووكل  
 الصغار والكبار بتلاوته وأمر عند افتتاحه بما أمر به لتعظيمه من قوله فاذا قرأت القرآن  
 فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم لم يؤمر بالتمعذ ولا افتتاح أمر كما أمر به لافتتاحه فهل يدلك  
 هذا على عظيم شأنه وراجح ميزانه وعلى مكانه وجملة الأمر أن نقد الكلام شديد وتمييزه  
 صعب وما كتب الى الحسن بن عبد الله العسكري أخبرني أبو بكر بن دريد قال سمعت أبا  
 حاتم يقول سمعت الأعمى يقول فرسان الشعراء أقل من فرسان الحرب وقال سمعت أبا  
 عمرو بن العلاء يقول العلماء بالشعر أعز من الكهنة بالأجر واذا كان الكلام المتعارف  
 المتداول بين الناس يشق تمييزه ويصعب نقده يذهب عن محاسنه الكثير وينظرون الى  
 كثير من قبحه بعين الحسن وكثير من حسنه بعين القبح ثم يختلفون في الأحسن منه  
 اختلافا كثيرا وتبين آراؤهم في تفضيل ما تفضل منه فكيف لا يتعبدون فيها لا يحيط به  
 علمهم ولا يتأتى في مقدورهم ولا يعمل بخواطيرهم وقد حير القوم الذين لم يكن أحد أفصح  
 منهم ولا أتم بلاغة ولا أحسن براعة حتى دهشوا حين ورد عليهم ولهم عقولهم ولم يكن

عندهم فيه جواب غير ضرب الأمثال والتعرض عليه والتوهم فيه وتقسيمه أقساما وجعله  
 عضي وكيف لا يكون أحسن الكلام وقد قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا  
 متشابها مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله  
 ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ومن يضلل الله فإله من هاد استغنى فهم هذه  
 الآية وكفالك استفد علم هذه الكلمات وقد أغناك فليس يوقف على حسن الكلام بطوله  
 ولا تعرف براعته بكثره فصوله ان القليل يدل على الكثير والقريب قد يهجم بك على البعيد  
 ثم انه سبحانه وتعالى لما علم من عظم شأن هذه المعرفة وكبر محلها وذهابها على أقوام ذكر في  
 آخر هذه الآية ما ذكره وما بين فقال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء فلا يعلم ما وصفنا  
 لك الا بهداية من العزيز الحكيم وقال ومن يضلل الله فإله من هاد وقال يضل به كثيرا  
 ويهدي به كثيرا وقد بسطنا لك القول رجاء افهامك وهذا المنهاج الذي رأيت ان سلكته  
 يأخذ بيدك ويدلك على رشدك ويغنيك عن ذكر براعته آية آية لك واعلم اننا لم نقصد فيما  
 سطرناه من الآيات وسميناه من السور والدلالات ذكر الأحسن والأكشف  
 والأظهر لانا نعتقد في كل سورة ذكرناها وأضربنا عن ذكرها اعتقادا واحدا في الدلالة  
 على الإعجاز والكفاية في التمتع والبرهان ولكن لم يكن بد من ذكر بعض فذكرنا ما تيسر  
 وقلنا فيما اتجه في الحال وخطر وان كنا نعتقد ان الإعجاز في بعض القرآن أظهر وفي بعض  
 ادق وأغص والكلام في هذا الفصل يحجب بعد هذا فاحفظ عنا في الجملة ما كررنا والسير بعد  
 ذلك في التفصيل المبك وحصل ما أعطيناك من العلامة ثم النظر عليك قد اعتمدنا على أن  
 الآيات تنقسم الى قسمين أحدهما ما يتم بنفسه أو بنفسه وفاصلته فينير في الكلام انارة  
 النجم في الظلام والثاني ما يشتمل على كلمتين أو كلمات اذا تأملتها وجدت كل كلمة منها في نهاية  
 البراعة وغاية البلاغة وانما بين ذلك بأن تصور هذه الكلمة مضممة بين أضعاف كلام  
 كثير أو خطاب طويل فتراها ما بينها تدل على نفسها وتعلو على ما قد قرن منها العلو جنسها فاذا  
 ضمت الى أخواتها وجاءت في ذواتها ارتك القلائد منظومة كما كانت تريك عند تأمل  
 الافراد منها اليواقيت منشورة والجواهر مبثوثة ولولا ما أكره من تضمين القرآن في  
 الشعر لا نشدك ألفاظا وقعت مضممة لتعلم كيف تلوح عليه وكيف ترى هجتها في أثائه  
 وكيف تمتاز منه حتى أنه لو تأمله من لم يقرأ القرآن لتبين أنه أجني من الكلام الذي  
 تضمنه والباب الذي توسطه وأنكر مكانه واستكبر موضعه ثم تناسها في البلاغة والابداع  
 وتماثلها في السلاسة والاعراب ثم انفرادها بذلك الاسلوب وتخصصها بذلك الترتيب  
 ثم سائر ما قد منادى كرهه ما نكره اعادته وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب في مجاريه

و يختلف تصرفه في معانيه ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقه وبضيق به النطاق في  
مذاهبه ويرتبك في أطرافه وجوانبه ويسلمه للتكلف الوحش كثرة تصرفه ويحمله على  
التصنع الظاهر موارد تنقله وتخلصه ونظم القرآن في مؤلفه ومختلفه وفي فصله ووصله  
وافتناحه واختتامه وفي كل نهج يسلكه وطريق يأخذ فيه وباب يتجهج عليه ووجه يؤمه  
على ما وصفه الله تعالى به لا يتفاوت كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا  
كثيرا ولا يخرج عن تشابهه وعماثله كما قال قرآننا عربي مبين وغيره من الكلام كثير التلون دائم التغير  
ولا يخرج عن أبانته كما قال بلسان عربي مبين وغيره من الكلام كثير التلون دائم التغير  
يقف بك على بديع مستحسن ويعقبه قبيح مستهجن ويطالع عليك بوجه الحسناء ثم يعرض  
للهجر بخد القبيحة الشوهاء و بأتيك باللفظة المستنكرة بين الكلمات التي هي كاللائي  
الزهر وقد يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهم قد يقع اليك منه الكلام المشج  
والنظم المشقوش والحديث المشوه وقد نجد منه ما لا يتناسب ولا يتشابه ولا يتألف ولا يتماثل  
وقد قيل في وصف ما جرى هذا المجرى

وشعر كبير الكبش فرق بينه \* لسان دعي في القريض دخيل

وقال آخر وبعض قريض القوم أولاد علة \* يكسد لسان الناطق المخفط

فان قال قائل فقد نجد في آيات القرآن ما يكون نظمه بخلاف ما وصفت ولا تميز الكلمات  
بوجه البراعة وانما تكون البراعة عندك منه في مقدار يزيد على الكلمات المفردة وحده  
يتجاوز حد الالفاظ المستبدة وان كان الاكثر على ما وصفت به قيل له نحن نعلم أن قوله  
حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم الى آخر الآية ليس من  
القبيل الذي يمكن اظهار البراعة فيه وابانة الفصاحة وذلك يجري عندنا مجرى ما يحتاج  
الى ذكره من الأسماء والألقاب فلا يمكن اظهار البلاغة فيه فطلبها في نحو هذا ضرب  
من الجهالة بل الذي يعتبر في نحو ذلك تنزيل الخطاب وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى  
وذلك حاصل في هذه الآية ان تأملت ألا ترى انه بدأ بذكر الأم لعظم حرمتها وادلائها بنفسها  
ومكان بعضيتها فهي أصل لكل من بدلي بنفسه منهن لأنه ليس في ذوات الأنساب أقرب  
منها ولما جاء الى ذوات الأسباب ألحق لها حكم الأم من الرضاع لأن اللبم يشربه اللبن بما  
يغذوه فحصل بذلك أيضا لها حكم البعضية ففسر الحرمة بهذا المعنى وألحقها بالوالدة  
وذكر الأخوات من الرضاعة فنبه بها على كل من بدلي بغيرها وجعلها ثل الأم من  
الرضاع والكلام في اظهار حكم هذه الآية وفوائدها بطول ولم نضع كتابنا لهذا سبيل  
هذا ان تذكره في كتاب معاني القرآن ان مهل الله لنا املاء وجعه فلم تشك هذه الآية من

الحكم التي تخلف حكمة الاجاز في النظم والتأليف والفائدة التي تنوب مناب العدول عن البراعة في وجه الترصيف فقد علم السائل أنه لم يأت بشئ ولم يهتد للاغراض في دلالات الكلام وفوائده ومتصرفاته وفنونه ومتوجهاته وقد يتفق في الشعر ذكر الاسامى فيحسن موقعه كقول أبي دؤاد الأسدي

ان يقتلوك فقد نلت عروشهم \* بعقبه بن الحارث بن شهاب  
بأشدهم كلبا على أعدائه \* وأعزهم فقد ا على الأصحاب

وقد يتفق ذكر الاسامى فيفسد النظم ويقبح الوزن والآيات الاحكاميات التي لا بد فهمان أمر البلاغة يعتبر فهمان الالفاظ ما يعتبر في غيرها وقد يمكن فيها وكل موضع أمكن ذلك فغند وجد في القرآن في باب ما ليس عليه مزيد في البلاغة وعجيب النظم ثم في جملة الآيات ما ان لم تراع البديع البليغ في الكلمات الافراد والالفاظ الاحاد فقد تجدد ذلك مع تركيب الكلمتين والثلاث ويطر ذلك في الابتداء والخروج والفواصل وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من الواسطة أو باجتماع ذلك أو في بعض ذلك ما يتخلف الابداع في افراد الكلمات وان كانت الجملة والمعظم على ما سبق الوصف فيه واذا عرف ما يجري اليه الكلام وينهى اليه الخطاب ويقف عليه الأسلوب ويختص به القبيل بان عند أهل الصنعة تميز بابه وانفراد سبيله ولم يشك البليغ في انتمائه الى الجهة التي يقتضى اليها ولم يرتب الاديب البارع في انتسابه الى ما عرف من نهجه وهذا كما يعرف طريقه مترسل في رسالته فهو لا يخفى عليه بناء قاعدته وأساسه فكأنه يرى أنه يعد عليه مجارى حركاته وأنفاسه وكذلك في الشعر واختلاف ضروبه يعرف المتحقق به طبع كل أحد وسبيل كل شاعر وفي نظم القرآن أبواب كثيرة لم نستوفها وتقصها بطول وعجائبها لا تنقضي فيها الكلام (٣) والاشارات واذا بلغ الكلام من هذا القبيل مبلغا رجا زاد الافهام به على الايضاح أو ساوى مواقع التفسير والشرح مع استيفائه شروطه كأن النهاية في معناه وذلك كقوله سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لترى من آياتنا انه هو السميع البصير فصول هذه الآية وكلماتها على ما شرحناه من قبل البلاغة والالطاف في التقديم وفي تضمن هذا الأمر العظيم والمقام الكريم ويتاوهذه قوله وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل هذا آخر وج لو كان في غير هذا الكلام لتصور في صورة المنقطع وقد تمثل في هذا النظم لبراعته وعجيب أمره وموقع ما لا ينفك منه القول وقد يتبرأ الكلام المتصل بعضهم من بعض ويظهر عليه التبييج والتباين للخلل الواقع في النظم وقد تصور هذا الفصل للطفه وصلوا ولم يبين عليه تميز الخروج ثم انظر كيف أجرى هذا الخطاب الى ذكر

هذا بيان الأصل (٣)

نوح وكيف أنى عليه وكيف يليق صفته بالفاصلة ويتم النظم بهامخروجهما مخرج  
 البروز من الكلام الأول الى ذكره واجرائه الى مدحه بشكره وكونهم من ذريته يوجب  
 عليهم أن يسيروا بسيرته وأن يستنوا بسنته في أن يشكروا كشكره ولا يتخذوا من دون الله  
 وكيلًا وأن يعتقدوا تعظيم تخليصه إياهم من الطوفان لما حملهم عليه ونجاهم فيه حين  
 أهلك من عادهم به وقد عرفهم أنه انما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من  
 قبلهم وعاقبهم ثم عاد عليهم بالفضل والاحسان حتى يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم  
 وعلى نوح الذي ولد لهم وهم من ذريته فلما عادوا الى جهالتهم وعردوا في طغيانهم عاد عليهم  
 بالتعذيب ثم ذكر الله عز وجل في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة التي كانت لهم  
 بكمات قليلة في العدد كثيرة الفوائد لا يمكن شرحها الا بالتفصيل الكثير والكلام  
 الطويل ثم يخل تضاعيف الكلام مما ترى من الموعظة على أعجب تدريج وأبداع تاريخ  
 بقوله أن أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها ولم ينقطع بذلك الكلام وأنت ترى  
 الكلام يتبدد مع اتصاله وينتشر مع انتظامه فكيف بالقاء ما ليس منه في اتانته وطرح  
 ما بعده في ادراجته الى أن خرج الى قوله عسى ربكم أن يرجمكم وان عدمتم عذابي عنى ان عدمتم  
 الى الطاعة عدنا الى العفو ثم خرج خروجا آخر الى ذكر القرآن وعلى هذا فقس بحثك عن  
 شرف الكلام وماله من علو الشأن لا يطلب مطلبًا الا انتفع ولا يسلك قلبًا الا انشرح ولا  
 يذهب مذهبا الا استنار وأضاء ولا يضرب مضر بالابلغ فيه السماء لا تقع منه على فائدة  
 فقد رت انها اقصى فوائدها الا قصرت ولا تنظر بحكمة فظننت انها زبدة حكمها الا وقد  
 أخلت ان الذي عارض القرآن بشعر امرئ القيس لا ضل من حجار أهله وأحق من  
 هنقة لو كان شعره كله كالآيات المختارة التي قدمناها لاجب البراءة من قوله

وسن كسنيق سناء وسنما \* ذعرت بعد لاج الهجير نهوض

قال الاصمعي لا أدري ما السن ولا السنيق ولا التسنم وقال بعضهم السنيق أكمة وقال فيها  
 له قصر باعير وساقا نعامة \* كفعل الهجان القيصري العضوض

وقوله عصافير وذبان ودود \* وأجراً من مجلجلة الذباب

وزاد في تقبيح ذلك وقوعه في آيات فيها

فقد طوّفت في الآفاق حتى \* رضيت من الغنمية بالاياب

وكل مكارم الاخلاق سارت \* اليه همتي وغما اكتسابي

وكفوله في قصيدة قالها في نهاية السقوط

أزمان فوها كلما نهتها \* كالسك فاح وظل في القدام

أفلا ترى أظعانهم بواكرا \* كالخل من شوكان حين صرام  
وكان شاربها أصاب لسانه \* موم يخاط جسمه بقم  
وكقوله لم يفعلوا فعل آل حنظلة \* انهم جبر بشما انتمروا  
لا جبري وفي ولا عدس \* ولاست غير يحكها الثفر  
ان بني عوف ابتموا حسبا \* ضيعه الداخون اذ غدروا  
وكقوله أبلغ شهبا وأبلغ \* هل أذاك الخيزمال  
انار كما منكم قتلى \* بخوى وسبيا كالسعال  
يمشون بين رحالنا \* معترفات بجوع وهزال  
ولم يقع مثل ذلك له وحده فقد قال الأعرابي

فأدخلك الله برد الجنان \* جذلان في مدخل طيب  
وقال أيضا فرميت غفلة عينه عن شأنه \* فأصبت حبة قلبها وطحالها  
وقال في فرسه

ويأمر للحموم كل عشيمة \* بقت وتعليق فقد كاد يسبق  
وقال شأوم مثل \* شاول شامش شول

وهذه الالفاظ في معنى واحد وقد وقع لزهير نحوه كقوله  
فأقسمت جهدا بالنار من منى \* وما سفت فيه المقادير والقمل  
كيف يقال هذا في قصيدة يقول فيها  
وهل ينبت الخطي الا وشيحه \* وتغرس الا في منابتها النخل  
وكقول الطرماح

سوف تدنيك من ليس سبنتاة \* امارت بالبول ماء الكراض  
السبنتاة الناقة الصلبة والكراض ماء الفحل اسالت ماء الفحل فلم تعقد عليه  
ولم تحمل فتضعف والمائر السائل فان قال قائل أجدك تحاملت على امرئ القيس ورايت  
أن شعره يتفاوت بين اللين والشراسة وبين اللطف والشكاسة وبين التوحش والاستئناس  
والتقارب والتباعد ورايت الكلام الاعدل افضل والنظام المستوثق أكمل وأنت تجد  
البحر ييسبق في هذا الميدان ويفوت الغاية في هذا الشأن وأنت ترى الكتاب يفضلون  
كلامه على كل كلام ويقدمون رأيه في البلاغة على كل رأي وكذلك تجد لأبي نواس من  
هجة اللفظ ودقيق المعنى ما يتعجب فيه أهل اللفظ ويقدمه الشطار والطراف على كل  
شاعر ويرون نظمهم روعة لا يرون لنظم غيره وزر جلا يتفق لسواه فكيف يعرف فضل

ماسواء عليه فالجواب ان الكلام في أن الشعر لا يجوز أن يوازن به القرآن قد تقدم واذ  
كأن قد بينا ان شعرا من شعراء القيس وهو كبيرهم الذي يقرون بتقدمه وشيخهم الذي يعترفون  
بفضله وقائدهم الذي يأتمون به واما مهمم الذي يرجعون اليه كيف سبيله وكيف طريق  
منزلته عن منزلة نظم القرآن وانه لا يخلط بشعره غبار ذلك النظم وهو اذا لحظ ذلك كان كما قال  
فأصحت من ليلي الغداة كذاطر \* مع الصبح في إيجاز نجم مغرب

وكما قال أيضا راحت مشرقة ورحت مغربا \* فقي التقاء مشرق ومغرب  
واذا كنا قد أبنينا في القاعدة ما علمت وفضلنا لك في شعره ما عرفت لم نحتاج إلى أن تسلكم على  
شعر شاعر وكلام كل بليغ والقليل يدل على الكثير وقد بينا في الجملة مبادئ أساليب نظم  
القرآن جميع الأساليب ومنزلة علمها في النظم والترتيب وتقدمه عليها في كل حكمة  
وبراعة ثم تسلكمنا على التفضيل على ما شهدت ولا يبقى علمنا بعد ذلك سؤال ثم نقول أنت  
تعلم ان من يقول بتقدم الجعثري في الصنعة به من الشغل في تفضيله على ابن الرومي وأنسوية  
ما بينهما ما لا يطعم معه في تقديمه على امرئ القيس ومن في طبقته وكذلك أبو نواس انما  
يعدل شعره بشعر أشكاله ويقابل كلامه بكلام أضرابه من أهل عصره وانما يقع بينهم التباين  
اليسير والتفاوت القليل فاما ان يظن ظان أو يتوهم متوهم أن جنس الشعر معارض  
لنظم القرآن فكأنما خر من السماء قطرة الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق وانما  
هي خواطر يغير بعضها على بعض ويقتدي فيها بعض ببعض والغرض الذي يرمى اليه ويصح  
التوافق عليه في الجملة فهو قبيل متداول وجنس متنازع وشريعة موروثة وطريقة مسلوكة  
الأتى الى ما روى عن الحسين بن النخاع قال أنشدت أبا نواس قصيدة التي فيها

وشاطري اللسان مختلق التكا \* ربه زان المجون بالنفس

كأنه نصب كأنه فر \* يكرع في بعض أنجم الفلك

قال فأنشدني أبو نواس بعد أيام قصيدته التي يقول فيها

أعاذل اعتبت الامام واعتبا \* وأعربت عما في الضمير وأعربا

وقلت لساقها اجزها فلم أكد \* لبأبي أمير المؤمنين وأشربا

يخوزها عنى عقارا نرى لها \* الى الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

اذا عاب فيها شارب القوم خلته \* يقبل في داج من الليل كوكبا

قال فقلت لها يا أبا علي هذه مقالته فقال أظن انه يروى لك معنى وأناحي فتأمل هذا الاخذ  
وهذا الوضع وهذا الاتباع اما الخليع فقد رأى الابداع في المعنى فاما العبارات فانها ليست  
على ما ظنه لان قوله يكرع ليس بصحيح وفيه ثقل بين وتفاوت وفيه حالة لان القمر لا يصح

نصور أن يكرع في نجم وأما قول أبي نواس إذا عاب فيها فكلمة فقد قصد فيها المنة وكان سبيله أن يختار سواها من الفاظ الشرب ولو فعل ذلك كان أملح وقوله شارب القوم فيه ضرب من التكلف الذي لا بدله منه أو من مثله لا قامة الوزن ثم قوله خلته يقبل في داح من الليل كوكا تشبيهه بحالة واحدة من أحواله وهي أن يشرب حيث لا ضوء هناك وإنما يتناولوه لئلا يفليس بتشبيهه مستوفى على ما فيه من الوقوع والملاحاة وقد قال ابن الرومي ما هو أوقع منه وأملح وأبدع

ومهفهف تمت محاسنه \* حتى تجاوز منية النفس

تصبو الكؤوس إلى مرآشفه \* وتحن في يده إلى الحبس

أبصرته والكأس بين قم \* منه وبين أنامل خمس

وكأنها وكأن شاربها \* فريقبل عارض الشمس

ولاشك في أن تشبيه ابن الرومي أحسن وأعجب إلا أنه يمكن من إرادته في بيتين وهما مع سبقهما إلى المعنى أتياه في بيت واحد وإنما أردت بهذا أن أعرفك أن هذه أمور متقاربة يقع فيها التنافس والتعارض والاطماع متعلقة بها والهمم تسهوا لها وهي الف طباعنا وطوع مداركنا ومجانس لكلامنا وأعجاب قوم بنحو هذا وما يجري مجراه وإثارة أقوام لشعر الجعترى على أبي تمام وعبد الحميد وابن الرومي وتقديم قوم كل هؤلاء أو بعضهم عليه وذهاب قوم عن المعرفة ليس بأمر يضر بنا ولا سبب يعترض على أفهامنا ونحن نعد إلى بعض قصائد الجعترى فنشكك عليها كما تكلمنا على قصيدة امرئ القيس ليزداد الناظر في كلبنا بصيرة ويستخلص من سر المعرفة سريرة ويعلم كيف تكون الموازنة وكيف تقع المشابهة والمقاربة ونجعل تلك القصيدة التي نذكرها أجود شعره سمعت صاحب اسماعيل بن عباد يقول سمعت أبا الفضل بن العجيد يقول سمعت أبا مسلم الرستمي يقول سمعت الجعترى يذكر أن أجود شعره قاله (أهلا بذلكم الخيال المقبل) قال وسمعت أبا الفضل بن العجيد يقول أجود شعره هو وقوله في الشيب زجره لو كان ينزجر قال وسئلت عن ذلك فقلت الجعترى أعرف بشعر نفسه من غيره فحين الآن نقول في هذه القصيدة ما يصلح في مثل هذا قوله أهلا بذلكم الخيال المقبل \* فعل الذي هو أومل يفعل برق سرى في بطن وجرة فاهنت \* بسناه أعناق الركاب الضلل البيت الأول في قوله ذلكم الخيال نقل روح وطويل وحشو وغيره أصله وأخف منه قول الصنوبري

أهلا بذاك الزور من زور \* شمس بدت في فلاة الدور



وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف فيصير إلى الكثرة وتعود ملاحظته بذلك ملاحظة وفصاحته عيا وبراغمته تكلفا وسلاسته تعسفا وملاسته تلويها وتعقدا فهذا فصل وفيه شئ آخر وهو أن هذا الخطاب إنما يستقيم مهمما خوطب به الخيال حال اقتباله فأما أن يحكى الحال التي كانت وسلغت على هذه العبادة ففيه عهدة وفي تركيب الكلام عن هذا المعنى عقدة وهو لبراعته وحذقه في هذه الصنعة يعلق نحو هذا الكلام ولا ينظر في عواقبه لأن ملاحظة قوله تغطي على عيون الناظرين فيه فنحو هذه الأمور ثم قوله فعل الذي نهواه ولم يفعل ليست بكلمة رشيقة ولا لفظة نظيفة وإن كانت كسائر الكلام فأما بيته الثاني فهو عظيم الموقع في البهجة وبديع المأخذ حسن الرواء وأتقن المنظر والسمع بلا القلب والفهم ويفرح الخاطر وترى بشاشته في العروق وكان البحرى يسمى نحو هذه الآيات عروق الذهب وفي نحوه ما يدل على براعته في الصناعة وحذقه في البلاغة ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل مع الديباجة الحسنة والرواق المليح وذلك أنه جعل الخيال كالبرق لا يترافق في مسراه كما يقال أنه يسرى كنسيم الصبأ فيطيب ما مر به كذلك يضيء ما مر به وينور ما مر به وهذا غلو في الصنعة إلا أن ذكره بطن وجرة حشو وفي ذكره خلل لأن النور القليل يؤثر في بطون الأرض وما اطمان منها بخلاف ما يؤثر في غيرها فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك بطن وجرة وتحديد المكان على الحشواً جسد من تحديد امرئ القيس من ذكر سقط اللوى بين الدخول فحول فتوضح فالمقرا لم يقع بذكر حد حتى حده بأربع حدود وكانه يربط ببيع المنزل فيحشى أن أخلى بحد أن يكون ببيع فاسدا أو شرطه باطلا فهذا باب ثم أعاد كراخيال بخفاء الأثر ودقة المطلب ولطف المسالك وهذا الذي ذكره بضاد هذا الوجه ويخالف ما يوضع عليه أصل الباب ولا يجوز أن يقدر مقدر أن البحرى قطع الكلام الأول وأبداً بذكر برق لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة لأن هذا القطع إن كان فعلة كان خارجاً عن النظم المجود ولم يكن مبدعاً ثم كان لا تكون فيه فائدة لأن كل برق شعل وتكرر وقع الاهتداء به في الظلام وكان لا يكون بما تنظمه مفيداً ولا متقدماً وهو على ما كان من مقصده فهو ذو لفظ مجود ومعنى مستهيب غير مقصود ويعلم بمثله أنه طلب العبارات وتعليق القول بالإشارات وهذا من الشعر الجنس الذي يحول لفظه ونقل فوائده كقول القائل

ولما قضينا من منى كل حاجة • ومسح بالأركان من هو ما مسح  
وشدت على حذب المهاري رحالنا • ولا ينظر الغادى الذى هو رانح  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا • وسالت بأعناق المطى الأباطم

هذه ألفاظ بعيدة المطالع والمقاطع حلوة المجاني والمواقع قليلة المعاني والفوائد فأما قوله  
البحرني بعد ذلك

من عادة منعت وتمنع نيلها \* فلو أنها بذلت لنالمت بسذل  
كالبدر غير مخجل والغصن غـ ير جميل والدعص غير مهيل  
فالبيت الاول على ما تكلف فيه من المطابقة وتجشم الصنعة ألفاظه أو فر من معانيه وكلاته  
أكثر من فوائده وفعل أن القصد وضع العبارات في مثله ولو قال هي ممنوعة مانعة كان  
ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وهو يله ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان وأما  
البيت الثاني فأنت تعلم أن التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر منقول متداول ولا  
فضيلة في التشبيه بخلاف ذلك وانما يبقى تشبيهه بثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في البيت وهذا أيضا  
قريب لأن المعنى مكرر ويبقى له بعد ذلك شيء آخر وهو تعلمه للترصيع في البيت كله إلا أن  
هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف لأن التشبيه بالغصن كاف فاذا زاد فقال  
كالغصن غير معوج كان ذلك من باب التكافؤ وكان ذلك زيادة يستغنى عنها وكذلك  
قوله كاللدعص غير مهيل لأنه اذا انما خرج عن أن يكون مطلق التشبيه مصر وفا إليه  
فلا يكون لتقييده معنى وأما قوله

ما الحسن عندك يا سعاد بحسن \* فيما أتاه ولا الجمال بحمـل  
عذل المشوق وان من سما الهوى \* في حيث تجهله لجاح العذل  
قوله في البيت الاول عندك حشو وليس بواقع ولا بديع وفيه كلفة والمعنى الذي قصده  
أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء وفيه شيء آخر لانه يذكر أن حسنها لم يحسن في تهيمج  
وجده وتهيمج قلبه وضد هذا المعنى هو الذي عيل اليه أهل الهوى والحب وبيت كشاحم  
أسلم من هذا وأبعد من الخل وهو قوله

بحياة حسنك أحسنى وبحق من \* جعل الجمال عليك وقفا اجل  
وأما البيت الثاني فان قوله في حيث حشا بقوله في كلامه ووقع ذلك مستنكرا وحشيا فافرا  
عن طبعه جافيا في وضعه فهو كرقعة من جلد في ديباج حسن فهو عمو حسنه وبأنى على  
جماله ثم في المعنى شيء لان لجاح العذل لا يدل على هوى مجهول ولو كان مجهولا لم يهتدوا  
للعذل عليه فعلم أن المقصد استجلاب العبارات دون المعاني ثم لو سلم من هذا الخل لم يكن  
في البيت معنى بديع ولا شيء يفوت قول الشعراء في العذل فان ذلك جملهم الذلول وقولهم  
المكرر وأما قوله

ماذا عليك من انتظار متيم \* بل ما يضرك وقصة في منزل

ان سبل على عن الجواب فلم يطق \* رجعا فكيف يكون ان لم يسئل  
 لست أنكر حسن البيتين وظر فهما ورشاقتهما ولطفهما وما هما وبعجتهما الا أن البيت  
 الاول منقطع عن الكلام المتقدم ضربا من الانقطاع لانه لم يجز لمشافهة العاذل ذكر وانما  
 جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائم ثم الذي ذكره من الانتظار وان  
 كان مليحا في اللفظ فهو في المعنى متكلف لان الواقع في الدار لا ينتظر أمرا وانما يقف  
 تحسرا وتذلا وتخييرا والشطر الاخير من البيت واقع والاول مستجلب وفيه تعليق على أمر  
 لم يجز له ذكر لان وضع البيت يقتضى تقدم عذل على الوقوف ولم يحصل ذلك مذ كوراني  
 شعره من قبل وأما البيت الثاني فانه معلق بالاول لا يستقل الابه وهم يعيرون وقوف البيت  
 على غيره ويرون أن البيت التام هو المحمود والمصرع التام بنفسه بحيث لا يقف على المصرع  
 الا بحر أفضل وأتم وأحسن وقوله فكيف يكون ان لم يسئل ملجج جدا ولا تستمر ملاحظة  
 ما قبله عليه ولا يطرده في الماء اطرا دفيه وفيه شيء آخر لانه لا يصلح أن يكون السؤال سببا  
 لان بيعا عن الجواب وظاهر القول يقتضيه فأما قوله

لا تكلف لي الدموع فان لي \* دما ينم عليه ان لم يفضل

ولقد سكنت الى الصدود من النوى \* والشرى أريا عن سد طعم الخنظل

وكذلك طرفه حين أو جس ضربة \* في الرأس هان عليه فصد الاكل

فالبيت الاول مخالف لما عليه مذهبهم في طلب الاسعاد بالدموع والاسعاف بالبكاء ومخالف  
 لاول كلامه لانه يفيد مخاطبة العذل وهذا يفيد مخاطبة الرفيق وقد بينت لك أن القوم  
 يسلكون حفظ الألفاظ وتصنيعها دون ضبط المعاني وترتيبها ولذلك قال الله عز وجل  
 والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون فأخبر  
 انهم يتبعون القول حيث توجه بهم واللفظ كيف أطاعهم والمعاني كيف يتبع ألفاظهم  
 وذلك خلاف ما وضع عليه الابانة عن المقاصد بالخطاب ولذلك كان طلب الفصاحة فيه  
 أسهل وأمكن فصار بهذا أبلغ خطا بهم ثم لو أن هذا البيت وما تلاه من البيتين سلم من  
 نحو هذا لم يكن في ذلك شيء يفوت شعر شاعر أو كلام متكلم وأما قوله والشرى أرى فانه  
 وان كان قد تصنع له من جهة الطباق ومن جهة التجنيس المقارب فهي كلمة ثقيلة على  
 اللسان وهم يذمون نحو هذا كما عابوا على أبي تمام قوله

كريم متى أمده أمده والورى معي \* ومتى مالت له لمت له وحدي

ذكر لي صاحب بن عباد أنه جرى أبا الفضل بن العيمد في محاسن القصيدة حتى انتهى الى  
 هذا البيت فذكره أن قوله أمده أمده معيب لثقله من جهة تدارك حروف الخلق ثم

رأيت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا في هذه النكتة فعملت أن ذلك شئ عند أهل الصنعة معروف ثم أن قوله عند كل الحنظل ليس بحسن ولا واقع وأما البيت الثالث فهو أجنبي من كلامه غريب في طباعه نافر من جملة شعره وفيه كزازة وبجاجة وإن كان المعنى صالحاً فأما قوله

وأغر في الزمن الهمم محجل \* قد رحت منه على أغر محجل  
كأهيكال المبني الأتنة \* في الحسن جاء كصورة في هيكل

فالبيت الأول لم يتفوق فيه خروج حسن بل هو مقطوع عما سلف من الكلام وعامة خروجه نحو هذا وهو غير بارع في هذا الباب وهذا مذموم معيب منه لأن من كان صناعته الشعر وهوياً كل به وتغافل عما رفع اليه في كل قصيدة واستهان بأحكامه وتجو به مع تتبعه لأن يكون عامة ما يصدر به أشعاره من النسيب عشرة أبيات وتبعه للصنعة الكثيرة وتركيب العبارات وتنقيح الالفاظ وتزويرها كان ذلك أدخل في عيبه وأدل على تقصيره أو قصوره وأنه لا يقع له الخروج منه وأما قوله وأغر في الزمن الهمم محجل فإن ذكر التجميل في المدح قريب وليس بالجيد وقد يمكن أن يقال أنه إذا قرن بالأعراس حسن وجرى مجراه وانخرط في سلكه وأهوى إلى مضماره ولم يشكر لكانه من حواريه فهذا عذر والعدول عنه أحسن وإنما أراد أن يرد الجرح على الصدور يأتى بوجه في التنجيس وفيه شئ لأن ظاهر كلامه يوهم أنه قد صار بمنطى الأعرال والورثاع عليه ولو سلم من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعر أو أفاويل الناس فأما ذكر الهيكل في البيت الثاني ورد عجز البيت عليه ونظنه أنه قد ظفر بهذه اللفظة وعمل شيئاً حتى كررها فهي كلمة فإنقل ونحن نخدم إذا أرادوا أن يصنعوا نحو هذا قالوا ما هو الاصور وما هو الاشمال وما هو الادمية وما هو الاطبية ونحو ذلك من الكلمات الخفيفة على القلب واللسان وقد استدرك هو أيضاً على نفسه فذكر أنه كصورة في هيكل ولو اقتصر على ذكر الصورة وحذف الهيكل كان أولى وأجمل ولو أن هذه الكلمة كررها أصحاب العزائم على الشياطين لراعوهم بها وأفرعوهم بذكرها وذلك من كلامهم وشبيه بصناعتهم وأما قوله

وإني الضلوع بشدة حزامه \* يوم اللقاء على مع محول  
أحواله للرسامين بفارس \* وجدوده للتبعين عوكل

نبيل المحرم مما يدح به الخيل فهو لم يأت فيه بيديع وقوله بشدة حزامه داخل في التكلف والتعسف لا يقبل من مثله وإن قبلناه من غيره لأنه يتتبع الالفاظ وينقد هانقا شديداً فهلا قال بشدة حزامه أو بأتى بحشواً خرسوى العقد فقد عده هذا البيت بذكر العقد ثم قوله

يوم اللقاء حشواً خراً لا يحتاج اليه وأما البيت الثاني فعنناه أصلح من ألفاظه لأنها غير مجانسة لطباعه وفيها غلظ ونقار وأما قوله

يهوى كآهوى العقاب وقد رأت • صيدا وينقض انقضا ضال الجدل  
متوجس برقيقتين كأنما • تريان من ورق عليه موصل  
ما نيعاف قذى ولو أوردته • يوما خلائق جدويه الاحول

البيت الاول صالح وقد قاله الناس ولم يسبق اليه ولم يقل ما لم يقولوه بل هو منقول وفي سرعة العدو الفرس تشبهات ليس هذا بأبدعها وقد يقولون يفوت الطرف ويسبق الريح ويجارى الوهم ويكر النظر ولولا أن الاثنيان على محاسن ما قالوه في ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب نقلت لك جملة مما ذهبوا اليه في هذا المعنى فتتبع تعلم أنه لم يأت فيها بما يحل عن الوصف أو يفوت منه نهي الحد على أن الهوى يذكر عند الانقضا خاصة وليس للفرس هذه الصفة في الحقيقة إلا أن يشبهه جده في العدو بحالة انقضاض البازي والعقاب وليست تلك الحالة بأسرع أحوال طيرانها وأما البيت الثاني فقوله ان الاثنيان كانهما من ورق موصل وانما أراد بذلك حداثتهما وسرعة حركتهما واحساسهما بالصوت كما يحس الورق بخفيف الريح وظاهر التشبيه غير واقع واذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسنا ولكن لا يدل عليه اللفظ وانما يجري مجرى المضمن وليس هذا البيت برائق اللفظ ولا مشاكلا فيه لطيفة غير قوله متوجس برقيقتين فان هذا القدر هو حسن وأما البيت الثالث فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب انه من باب الاستطراد ونقلنا نظائر ذلك من قول أبي تمام وغيره وقطعة أبي تمام في نهاية الحسن في هذا المعنى والذي وقع للبحر في هذا البيت عندى ليس بجيد في لفظ ولا معنى وهو بيت وحش جدا قد صار قذى في عين هذه القصيدة بل وخزافها وبالاعلم أقدم كدر صفاءها وأذهب بها ماءها وطمس بظلمته سناها وما وجه مدح الفرس بأنه لا يعاف قذى من المياه اذا وردها كأنه أراد أن يسلك مسلك بشار في قوله ولا يشرب الماء الا بدم واذا كان لهذا الباب مجانبه وعن هذا السمت بعيدا فهل لا وصفها بعزة الشرب كما وصفها المتنبي في قوله

وصول الى المستصعبات بخيله • فلو كان قرن الشمس ماء لا وردها

وهلا سلك فيه مسلك القائل

وانى للماء الذى شابه القذى • اذا كثرت وراده لعيوف

ثم قوله ولو أوردته يوما حشواً بارد ثم قوله جدويه الاحول وحش جدا فاما مقت هذا البيت وأبغضه وما أنقله وأخففه وانما غطى على عينه عيبه وزينه ليراده طمعه في الاستطراد

وهلا طمع فيه على وجه لا يفيض من بهجة كلامه ولا معنى ألفاظه فقد كان يمكن ذلك ولا يتعذراً فإما قوله

ذنب كما سب الرداء يذنب عن \* عرف وعرف كالقناع المسجل

تتوهم الجوزاء في ارساغه \* والبدر فوق جبينه المتهازل

فالبيت الاول وحش الابتداء منقطع عما سبق من الكلام وقوله ذكرنا أنه لا يهتدى لوصف الكلام ونظام بعضه الى بعض وانما يتصنع لغير هذا الوجه وكان يحتاج أن يقول ذنب كالرداء فقد حذف الوصل غير متسق ولا مليح وكان من سبيله أن لا يخفى عليه ولا يذهب عن مثله ثم قوله كما سب الرداء قبح في تحقيق التشبيه وليس بواقع ولا مستقيم في العبارة الاعلى اضماراً أنه ذنب يسببه كما يسبب الرداء وقوله يذنب عن عرف ليس بحسن ولا صادق والمحمود ما ذكره امرؤ القيس وهو قوله (فوبق الارض لبس بأعزل)

وأما قوله (تتوهم الجوزاء في ارساغه) فهو تشبيه مليح ولكنه لم يسبق اليه ولا انفرده ولو نسخت لك ما قاله الشعراء في تشبيه الغرة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الامور وتشبيه الجول لتجبت من بدائع قد وقعوا عليها وامور مليحة قد ذهبوا اليها وليس ذلك موضع كلامنا فتنبع ذلك في اشعارهم تعلم ما وصفت لك واعلم ان اثر كبقية كلامه في وصف الفرس لانه ذكر عشر بن بيتا في ذلك والذي ذكرناه في هذا المعنى يدل على ما بعده ولا يعدو ما تركناه أن يكون متوسطا الى حد لا يفوت طريقة الشعراء ولو تتبعنا أقوال الشعراء في وصف الخيل علمت انه وان جمع فأوعى وحشر فنأدى فهمهم من سبقه في ميسدانه ومنهم من ساواه في شأوه ومنهم من دأناه فالقبيل واحد والنسيج متشاكل ولولا كراهة التطويل لنقلت جملة من اشعارهم في ذلك لتقف على ما قلت ف تجاوزنا الى الكلام على ما قاله في المدح في هذه القصيدة قال

لمحمد بن علي الشرف الذي \* لا يلحظ الجوزاء الامن على

ومحابة لولا تتابع مرزها \* فينا لراح المزن غير مجمل

والجود يعذله عليه حاتم \* سرفا ولا جود لمن يعذل

البيت الاول منقطع عما قبله على ما وصفناه شعره من قطعه المعاني وفصله بينها وقلة تأنيه لتجويد الخروج والوصل وذلك نقصان في الصناعة وتخلف في البراعة وهذا اذا وقع في مواضع قليلة عذرها أو ما اذا كان بناء الغالب من كلامه على هذا فلا عذره وأما المعنى الذي ذكره فليس بشئ ما سبق اليه وهو شئ مشترك فيه وقد قالوا في نحوه وان يحده سماء السماء وقالوا في نحوه الكثير الذي يصعب نقل جميعه وكما قال المتنبي

وعزمة بعثتها همة زحل • من تحتها يمكن الترب من زحل  
 وحدثنى اسم غيل بن عباد أنه رأى أبا الفضل بن العبد قام لرجل ثم قال لمن حضره أتدري من  
 هذا هو الذي قال في أبيه البحتري (لمحمد بن القاسم الشرف الذي) فذلك يدل على استعظامه  
 لبیت بما مدح به من البیت والبیت الثاني في تشبيه جوده بالسحاب قريب وهو حديث  
 مكرر رايست ينقل مديح شاعر منه وكان من سبيله أن يبدع فيه زيادة ابداع كما قد يقع لهم  
 في نحو هذا وليكنه لم يتصنع له وأرسله ارسالاً وقد وقع في المصراع الثاني ضرب من الخلل  
 وذلك أن المزن انما يخل اذا منع نيله فذلك موجود في كل نيل ممنوح وكلاهما محمود مع  
 الاسعاف فان اسعف أحدهما ومنع الآخر لم يمكن التشبيه وان كان انما شبه غالب أحدهما  
 بالآخر وقد قصور أحدهما عن صاحبه حتى أنه قد يدخل في وقت والآخر لا يدخل بحال  
 فهذا جيد وليس في حل الالفاظ على الإشارة الى هذائشي والبیت الثالث وان كان معناه  
 مكرراً فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم يشبه ألفاظ المبتدئين وأما قوله  
 فضل وافضال وما أخذ المدي • بعد المدي كالفاضل المتفضل  
 سارا اذا دلج العقاة الى الندى • لا يصنع المعروف غير مجل  
 فالبيت الاول منقطع عما قبله وليس فيه شيء غير التجنيس الذي ليس يبدع لتكرره غلي  
 كل لسان وقوله ما أخذ المدي فانه لفظ مليح وهو كقول القائل  
 قد اركب الآلة بعد الآلة • وروى الحالة بعد الحالة  
 وكقول امرئ القيس (سمو حباب الماء حلال على حال)  
 ولكنها طريقه مثذلة فهو فيها تابع وأما البيت الثاني فقريب في اللفظ والمعنى وقوله  
 لا يصنع المعروف ليس بلفظ محمود وأما قوله  
 عال على نظر الحسود كأنما • جذبتة أفراد النجوم بأجمل  
 أو ما رأيت المجد ألقى رحله • في آل طلحة ثم يهول  
 فالبيت الاول منكر جدا في جرائع النجوم بالارسان موضعه الى العلو والتكاف فيه واقع  
 والبيت الثاني أجنبى عنه بعيد منه وافتتاحه ردى وما وجه الاستفهام والتقرير  
 والاستبانة والتوقيف والبستان أجنبيان من كلامه غريبان في قصيدته ولم يقع له في المدح  
 في هذه القصيدة شيء جيد ألا ترى أنه قال بعد ذلك  
 نفسي فداؤك يا محمد من فتى • يوفى على ظلم الخطوب فتجلى  
 انى أريد أباسعيد والعدى • بيني وبين سحابه المهمل  
 كأن هذا ليس من طبعه ولا من سبكه وقوله

مضر الجزيرة كلها وبيعها \* خابور توعدني وأزد الموصل  
 قد جدت بالطرف الجواد فثنه \* لأخيك من أدأبيك بمنصل  
 البيت الاول حسن المعنى وان كانت ألفاظه بذكراً لما كن لا يتأتى فيه التحسين وهذا  
 المعنى قد يمكن إبراده بأحسن من هذا اللفظ وأبدع منه وأرق منه كقوله  
 اذا غضبت عليك بنو تميم \* رأيت الناس كلهم غضابا  
 والبيت الثاني قد تعذر عليه وصله بما سبق من الكلام على وجه يلفظ وهو قبح اللفظ  
 حيث يقول فيه فثنه لأخيك من أدأبيك ومن أخذه بهذا التعرض لهذا السجع وذكر  
 هذا النسب حتى أقصده شعره وأما قوله بعد ذلك في وصف السيف يقول  
 يتناول الروح البعيد منالها \* عفوا ويفتح في القضاء المقفل  
 بابانة في كل حشف مظلم \* وهداية في كل نفس مجهل  
 ماض وان لم يحضه يد فارس \* بطل ومصقول وان لم يصقل  
 ليس لفظ البيت الاول بعشاء لذيها شعرة ولا لهجة نظمه لظهور أثر التكلف عليه  
 وتبين ثقل فيه وأما القضاء المقفل وقبحه فكلام غير محمود ولا مرضى واستعاره لو لم  
 يستعرها كانت أولى به وهلا عيب عليه كما عيب على أبي تمام قوله  
 فضربت الشتاء في أخذه عيه \* ضربة غادرته عودا ركوبا  
 وقالوا يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع في أخذه عيه وقد اتبعه المجترى في استعارة الاخذه  
 ولوعا باتباعه فقال في القتح  
 واني وقد بلغتني الشرف العلا \* واعتقت من ذل المطامع أخدعي  
 ان شيطانه حيث زين له هذه الكلمة تاديه حين حسن عنده هذه اللفظة لطيف ما ردوردي  
 معاند أراد أن يطلق أعنة الذم فيه وبسرح جيوش العتب اليه ولم يقنع بقفل القضاء  
 حتى جعل للتحف ظلمة تجلي بالسيف وجعل السيف هاديا في النفس المجمل الذي لا يهتدي  
 اليه وليس في هذا مع تحسين اللفظ وتنميته شئ لان السلاح وان كان معيبا فانه يهتدي الى  
 النفس وكان يجب أن يبدع في هذا ابداع المتنبي في قوله  
 كأن الهام في الهياج عيون \* وقد طبعت سيفوفك من رقاد  
 وقد صغت الاسنة من هدم \* فما يخطرن الا في فؤاد  
 فلا هتداء على هذا الوجه في التشبيه بديع حسن وفي البيت الاول شئ آخر وذلك أن  
 قوله ويفتح في القضاء في هذا الموضع حشوردي يلحق بصاحبه اللكنة ويلزمه الهجنة  
 وأما البيت الثالث فانه أصلح هذه الابيات وان كان ذكر الفارس حشوا وتكلفا ولغو لان



هذا لا يتغير بالفارس والراجل على أنه ليس فيه بديع وأما قوله

بغشى الوغى والترس ليس بجنة \* من حده والدرع ليس بعقل  
مصغ إلى حكم الردا فإذا مضى \* لم يلتفت وإذا قضى لم يعدل  
متوقفا يرى بأول ضربة \* ما أدركت ولو أنها في يذبل

البيتان الأولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه وهي طريقته الذي يجتنبها وذلك من  
السبك الكتابي والكلام المعتدل لأنه لم يبدع فيها بشئ وقد زيد عليه فيها ومن قصد إلى  
أن يكمل عشرة أبيات في وصف السيف فليس من حكمه أن يأتي بأشياء منقولة وأما  
مذكورة وسبيله أن يغرب ويبدع كما أبدع المتنبي في قوله

سأله الركن بعدوه ن بخد \* فتصدى للغيث أهل الحجاز

هذا في باب صقاله وأضوانه وكثرة مائه وكقوله

ريان لو قذف الذي أسقيته \* لجرى من المهجات بحر مرديد

وقوله مصغ إلى حكم الردى أن تأملته مقلوب كان ينبغي أن يقول يصغى الردى إلى حكمه  
كما قال الآخر ( فالسيف يأمر والاقدار تنتظر )

وقوله وإذا قضى لم يعدل متكرر على أسنتهم في الشعر خاصة في نفس هذا المعنى والبيت  
الثالث سليم وهو كالأول في خلوه عن البديع فأما قوله

فإذا أصاب فكل شئ مقتل \* وإذا أصيب فإله من مقتل

وكأنه أسود النمل وجرحها \* دبت بأيد في قراءه وأرجل

البيت الأول يقصده به صنعة اللفظ وهو في المعنى متفاوت لأن المضرب قد لا يكون مقتلا  
وقد يطلق الشعراء ذلك ويرون أن هذا أبدع من قول المتنبي وأنه بضده

يقتل السيف في جشم القليل به \* وليسوف كاللناس آجال

وهذه طريقة لهم يمدحون بها في قصف الرمح طعنا ونقطيع السيف ضربا وفي قوله وإذا  
أصيب فإله من مقتل تعسف لأنه يريد بذلك أنه لا يتكسر فالتعبير بما عبر به عن المعنى الذي  
ذكرناه يتضمن التكلف وضربا من المحال وليس بالنادر والذي عليه الجملة ما حكيناه  
عن غيره ونحوه قال بعض أهل الزمان

يقصف في الفارس السمهرى وصد \* ر الخسام فريقا فريقا

والبيت الثاني أيضا هو معنى مكرر على أسنة الشعراء وأما تصنيعه بسود النمل وجرحها  
فليس بشئ ولعله أراد بالجر الذر والتفصيل بارد والاعراب به منكر وهو كالحكي عن  
بعضهم أنه قال كان كذا حين كانت التريا بجذأ رأيى على سواء أو منخر فاقدر شبر أو نصف

شبرا أو أصبع أو ما يقارب ذلك فقليل له هذا من الورع الذي يبغضه الله ويمقتة الناس ورب  
زيادة كانت نقصا أو وصفه النمل بالسواد والجرة في هذا من ذلك الجنس وعليه خرج بقية  
البيت في قوله (دبت بأيدى قراه وأرجل)  
وكان يكفي ذكر الأرجل عن ذكر الأيدي ووصف الفرند بمذبح النمل شئ لا يشد عن  
أحد منهم وأما قوله

وكان شاهرا إذا استضوى به الز \*

جالت حائله القديمة بقلة • من عهد عاد غضة لم تذبل

البيت الاول منه ما فيه ضرب من التكلف وهو منقول من أشعارهم وألفاظهم وأما يقول  
قريش على الرجال بكوكب فجعل ذلك الكوكب السماء واحتاج الى أن يجعله أعزل  
للقافية ولو لم يحتاج الى ذلك كان خيرا له لان هذه الصفة في هذا الموضع تقضه من الموضع  
وموضع التكلف الذي ادعيناه الحشو الذي ذكره من قوله إذا استضوى به الزحفان  
وكان يكفي أن يقول كان صاحبه يعصى بالسماء وهذا وان كان قد نهل فيه للفظ فهو  
لغو على ما بينا وأما البيت الثاني ففيه لغو من جهة قوله حائله قديمة ولا فضيلة له في ذلك ثم  
تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة والكلام الرذل النذل لأن العامة قد يتفق منها  
تشبيه واقع حسن ثم انظر الى هذا المقطع الذي هو بالعي أشبه نفسه بالفصاحة والى اللكنة  
أقرب منه الى البراعة وقد بينا أن مراعاة الفواخ والخواتم والمطالع والمقاطع والفصل  
والوصل بعد صحة الكلام ووجود الفصاحة فيه مما لا بد منه وان الاخلال بذلك يخل بالنظم  
ويذهب رونقه ويحيل بهجته ويأخذ ماءه ويهائه وقد أطلعت عليك فيما نقلت وتكلفت  
ما سطر لان هذا القبيل قبيل موضوع متعمل مصنوع وأصل الباب في الشعر على أن  
ينظر الى جملة القصة ثم تجعل الالفاظ ولا ينظر بعد ذلك الى مواقعها ولا يتأمل مطارحها  
وقد صدق تارة الى تحقيق الأغراض ونصوير المعاني التي في النفوس ولكنه يلحق بأصل  
بليه ويميل بك الى موضعه وبحسب الاهتمام بالصنعة يقع فيها التفاضل وان أردت أن  
تعرف أوصاف الفرس فقد ذكرت لك أن الشعراء قد نصر فوا في ذلك بما يقع اليك ان كنت  
من أهل الصنعة مما يطول على نقله وكذلك في السيف وذكر لي بعض أهل الادب أن  
أحسن قطعة في السيف قول أبي الهول الحميري

حاز صمصامة الزبيدي من • بين جميع الانام موسى الامين

سيف عمرو وكان فيما سمعنا • خير ما طبقت عليه الجفون

أخضر اللون بين برويه حد • من ذعاف تمس فيه المنون

أوقدت فوقه الصواعق نارا • ثم شابت له الذعاف القيون  
 فاذا ما شهرته بهر الشم \* س ضياء فلم تكدر تستبين  
 يستطير الابصار كالقفس المشـعل لانستقيم فيه العيون  
 وكان الفرند والرونق الجا • رى فى صفحته ماء معـين  
 نعم مخراق ذى الحفيظة فى الهيم \* جاء يعصى به ونعم القرين  
 ما يسالى اذا انهاء لضرب • أشمال سطت به أم يمين  
 وانما يوازن شعر الجعترى بشعر شاعر من طبقته ومن أهل عصره ومن هو فى مضماره وفى  
 منزلته ومعرفته أجناس الكلام والوقوف على أسرارها والوقوف على مقدارها شئ وان كان  
 عزيزا وأمر وان كان بعيدا فهو سهل على أهله مستجيب لأصحابه مطيع لأربابه يتقدمون  
 الحروف ويعرفون الصروف وانما يتبقى الشبهة فى ترتيب الحال بين الجعترى وأبى تمام  
 وابن الرومى وغيره ونحن وان كنا نفضل الجعترى بدبياجة شعره على ابن الرومى وغيره  
 من أهل زمانه وتقديره بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعذوبة ألفاظه وقلة تعقده قوله  
 والشعر قبيل ملتقى مستدرك وأمر ممكن منطبع وتظم القرآن عال عن أن يعلق به الوهم  
 أو يسمو إليه الفكر أو يطعم فيه طامع أو يطلبه طالب لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من  
 خلفه تنزىل من حكيم جيد و كنت قد ذكرت لك قبل هذا أنك ان كنت بصنعة علم اللسان  
 متدبرا وفيه متوجها متقدما أممكنك الوقوف على ما ذكرنا من النفوذ فيما وصفنا والافاجلس  
 فى مجلس المتفلسدين وارض بمواقف المتحيرين ونصحت لك حيث قلت انظر هل تعرف  
 عروق الذهب ومحاسن الجوهر وبدائع الباقوت ودقائق السحر من غير معرفة بأسباب  
 هذه الأمور ومقدماتها وهل يقطع سميت البلاد من غير اهتمام فيها ولكل شئ طريق  
 يتوصل اليه به وباب يؤخذ نحوه فیه وجه يؤتى منه ومعرفة الكلام أشد من المعرفة  
 بجميع ما وصفت لك وأنغص وأدق وأطف وتصور ما فى النفس وتشكيك ما فى القلب  
 حتى تعلمه وكأنك مشاهده وان كان قد يقع بالإشارة ويحصل بالدلالة والامارة كما يحصل  
 بالنطق الصريح والقول الفصيح فلا اشارات أيضا مراتب ولللسان منازل رب وصف يصور  
 لك الموصوف كما هو على جهته لا خلف فيه ورب وصف ير بوعليه ويتعداه ورب وصف  
 يقصر عنه ثم اذا صدق الوصف انقسم الى صحة واتقان وحسن واحسان والى اجمال وشرح  
 والى استيفاء وتقريب والى غير ذلك من الوجوه وكل مذهب وطريق وله باب وسبيل  
 فوصف الجملة الواقعة كقوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملت منهم رعبا  
 والتفسير كقوله ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا

الى آخر الآيات في هذا المعنى وكهو قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد بهذا مما يصور الشئ على جهته ويمثل أهوال ذلك اليوم ومما يصور لك الكلام الواقع في الصفة كقوله حكاية عن السهرة لما توعدهم فرعون بما توعدهم به حين آمنوا قالوا انا الى ربنا لمنقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين وقال في موضع آخر انا الى ربنا منقلبون وما تنقسم منا الا أن آمننا يا أيها ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفى قوامنا مسلمين وهذا ينبغي عن كلام الحزين لما ناله الجازع لما مسه ومن باب التسخير والتسكين قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وقوله قلنا لهم كونيوا فردة خاشعين وكقوله فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكأن كل فرق كالطود العظيم وتقصى أقسام ذلك مما يطول ولم أقصد استيفاء ذلك وانما اضربت لك المثل بما ذكرت لتستدل وأشرت اليك بما أشرت لتأمل وانما اقتصرنا على ذكر قصيدة البحرى لأن الكتاب يفضلونه على أهل دهره ويقدمونه على من في عصره ومنهم من يدعى له الاعجاز غلووا يزعم أنه ينابيع النجم في قوله علوا والمجدة تستظهر بشعره وتتسكّر بقوله وندى كلامه من شبهاتهم وعباراته مضاف الى ما عندهم من ترهاتهم فبينما قد رد رجتهم وموضع ربتهم وحمد كلامه وهبات أن يكون المظموع فيه كالمايوس منه وأن يكون اليل كالتهار والباطل كالحق وكلام رب العالمين ككلام البشر فان قال قائل فقد قدح المحدث في نظم القرآن وادعى عليه الخلل في البيان وأضاف اليه الخطأ في المعنى واللفظ وقال ما قال فهل من فصل قبل الكلام على مطاع المجدة في القرآن مما قد سبقنا اليه وصنف أهل الأدب في بعضه فكفوا وأتى المتكلمون على ما وقع اليهم فشفوا ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه في كتابنا وأما الغرض الذي صنفنا فيه في التفصيل والكشف عن اعجاز القرآن فلم نجد على التقريب الذي قصدنا وقد جونا أن يكون ذلك مغنياً واقعاً وان سهل الله لنا ما نؤنيه من املاء معاني القرآن ذكرنا في ذلك ما يشتبه من الجنس الذي ذكره لأن أكثر ما يقع من الطعن عليه فانما يقع على جهل القوم بالمعاني أو بطريقة كلام العرب وليس ذلك من مقصود كتابنا هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وقد قصدنا فيما أملينا الاختصار ومهدنا الطريق فن كل طبعه للوقوف على فضل أجناس الكلام استدرك ما بينا ومن تعذر عليه الحكم بين شعر جرير والقرزدي والخطل والحكم بين فضل زهير والنابعة أو الفضل بين البحرى وأصحابه ولم يعرف سخف

مسيلة في نظمهم ولم يعلم أنه من الباب الذي يهزأ به ويسهر منه كشر أبي العيس في جملة  
الشعر وشعر على بن صلاة فكيف يمكنه النظر فيما وصفنا والحكم على ما بينا فان قال قائل  
فاذ كر لنا من هؤلاء الشعراء الذين سميتهم الاشعر والابلى بل قيل له هذا أيضا خارج عن غرض  
هذا الكتاب وقد تكلم فيه الأديباء ويحتاج أن يجدد لنحو هذا كتاب ويقرده باب وليس من  
قبيل ما نحن فيه بسبيل وليس لقائل أن يقول قد يسلم بعض الكلام من العوارض والعيوب  
ويبلغ أمده في الفصاحة والنظم الجيب ولا يبلغ عندكم حد المجهز فلم قضيتهم بما قضيتهم به  
في القرآن دون غيره من الكلام وانما يصح هذا السؤال وما ذكر فيه من اشعار في نهاية  
الحسن وخطب ورسائل في غاية الفضل لا ما قد بينا أن هذه الأجناس قد وقع النزاع فيها  
والمساماة عليها والتنافس في طرقها والتنافر في بابها وكان البون بين البعض والبعض في  
الطبقة الواحدة قريبا والتفاوت خفيفا وذلك القدر من السبق ان ذهب عند الواحد لم  
يأس منه الباقي ولم ينقطع الطمع في مثله وليس كذلك سميت القرآن لأنه قد عرف أن  
الوهم ينقطع دون مجاراته والطمع يرتفع عن مباراته ومساماته وأن الكل في العجز عنه على  
حد واحد وكذلك قد يزعم راعون أن كلام الجاحظ من السميت الذي لا يؤخذ فيه والباب  
الذي لا يذهب عنه وأنت تجد قوما يرون كلامه قريبا ومنهاجه معيبا ونطاق قوله ضيقا حتى  
يستعين بكلام غيره ويفزع الى ما يوشع به كلامه من بيت سائر ومثل نادر وحكمة عمهدة  
منقولة وقصة عجبية مأثورة وأما كلامه في أثناء ذلك فسطور قليلة والفاظ يسيرة فاذا  
أحوج الى تطويل الكلام خاليا عن شيء يستعين به فيخاطبه بقوله من قول غيره كان كلاما  
ككلام غيره فان أردت أن تحقق هذا فانظر في كتبه في نظم القرآن وفي الرد على النصارى  
وفي خبر الواحد وغير ذلك مما يجري هذا المجرى هل تجد في ذلك كله ورقة تشتمل على نظم  
بديع أو كلام مليح على أن متأخرى الكتاب قد نازعوه في طريقته وجاذبه على منهجه ففهم  
من ساواه حين ساماه ومنهم من أبر عليه اذ باراه هذا أبو الفضل بن الحميد قد سلك مسلكه  
وأخذ طريقه فلم يقصر عنه ولعله قد بان تقدمه عليه لأنه يأخذ في الرسالة الطويلة  
فيستوفى فيها على حدود مذهبه ويكملها على شروط صنعتها ولا يقتصر على أن يأتي بالأسطر  
من نحو كلامه كاترى الجاحظ يفعل في كتبه متى ذكر من كلامه سطرا أتبعه من كلام  
الناس أوراقا واذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتابا وهذا يدل على أن الشيء  
إذا استحسن أتبع وإذا استملح قصده وتعمد وهذا الشيء يرجع الى الأخذ بالفضل  
والتنافس في التقدم فلو كان في مقدور البشر معارضة القرآن لهذا الغرض وحده  
لكثرت المعارضات ودامت المنافسات فكيف وهناك دواع لا تنهاها وجواب لا أحد  
لكثرتها لأنهم لو كانوا عارضوه لتوصلوا الى تكذيبه ثم الى قطع المحامسين دونه عنه

أوتفيريهم عليه وادخل الشبهات على قلوبهم وكان القوم يكفون بذلك عن بذل النفوس ونصب الأرواح والأخطار بالأموال والذراري في وجه عداوته ويستغنون بكلام هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم عن محاربه وطول منافسته ومجادبته وهذا الذي عرضناه على قلبك يكفي ان هديت لرشدك ويشفي ان دلت على قصدك ونسأل الله حسن التوفيق والعصمة والتسديد انه لا معرفة الا بهدائه ولا عصمة الا بكفايته وهو على ما يشاء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل

( فصل — ) \*

فان قال قائل قد يجوز ان يكون أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم قد عجزوا عن الأتيان بمثل القرآن وان كان من بعدهم من أهل الأعصار لم يعجزوا قبل هذا سؤال معروف وقد أجيب عنه بوجوه منها ما هو صواب ومنها ما فيه خلل لان من كان يجب عنه بأنهم لا يقدر ان على معارضته في الاخبار عن الغيوب ان قدر واعلى مثل نظمه فقد سلم المسئلة لانا ذكرنا ان نظمه معجز لا يقدر عليه فاذا أجاب بما قدمناه فقد وافق السائل عن مراده والوجه ان يقال فيه طرق منها انا اذا علمنا ان أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الاتيان بمثله فن بعدهم معجز لان فصاحة أولئك في وجوه ما كانوا يتفننون فيه من القول مما لا يز يد عليه فصاحة من بعدهم وأحسن أحوالهم أن يقاربوهم أو يساووهم فاما أن يتقدموهم أو يسبقوهم فلا ومنها أنا قد علمنا معجز أهل سائر الأعصار كعلمنا بمعجز أهل العصر الاول والطريق في العلم بكل واحد من الامرين طريق واحد لان التهدي في الكل على جهة واحدة والتنافر في الطباع على حد والتكاف على منهاج لا يختلف ولذلك قال الله تبارك وتعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

فصل في التهدي

يجب أن تعلم أن من حكم المعجزات اذا ظهرت على الانبياء أن يدعوا فيها انها من دلائلهم وآياتهم لانه لا يصح بعثة النبي من غير أن يوثق دلالته ويؤيد بآية لأن النبي لا يتميز من الكاذب بصورته ولا بقول نفسه ولا بشئ آخر سوى البرهان الذي يظهر عليه فيستدل به على صدقه فاذا ذكر لهم ان هذه آيتي وكانوا عاجزين عنها صرح له مادعاه ولو كانوا غير عاجزين عنها لم يصح أن يكون برهانه وليس يكون ذلك معجزا بان يهداهم الى أن يأتوا فاذا تخداهم وبان معجزهم صار ذلك معجزا وانما احتج في باب القرآن الى التهدي لان من الناس من لا يعرف كونه معجزا فاتما يعرف أولا اعجازه بطريقه لأن الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحر وفه وصورته وانما يحتاج الى علم وطريق يتوصل به الى معرفة كونه معجزا فان كان لا يعرف بعضهم اعجازه فيجب أن يعرف هذا حتى يمكنه أن يستدل به ومتى رأى أهل ذلك

اللسان قد عجز واعنه بأجمعهم مع الهدى اليه والتفريع به والتمكين منه صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء واقلاب العصا تبعات تلقف ما يافكون وأما ما كان من أهل صنعة العربية والتقدم في البلاغة ومعرفة فنون القول وجوه المنطق فانه يعرف حين يسمعه عجزه عن الأتيان بمثله ويعرف أيضاً أهل عصره ممن هو في طبقتهم أو يدانيه في صناعته عجزهم عنه فلا يحتاج الى الهدى حتى يعلم به كونه معجزاً ولو كان أهل الصنعة الذين صفتهم ما ينال يعرفون كونه معجزاً حتى يعرفوا عجز غيرهم عنه لم يعجز أن يعرف النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن معجز حتى يرى عجز قريش عنه بعد الهدى اليه وإذا عرف عجز قريش لم يعرف عجز سائر العرب عنه حتى ينتهي الى الهدى الى أقصاهم وحتى يعرف عجز مسيلة الكذاب عنه ثم يعرف حينئذ كونه معجزاً وهذا القول ان قيل أخش ما يكون من الخطأ فيجب أن تكون منزلة أهل الصنعة في معرفة اعجاز القرآن بأنفسهم منزلة من رأى اليد البيضاء وقلق البحر بأن ذلك معجز وأما من لم يكن من أهل الصنعة فلا بد له من مرتبة قبل هذه المرتبة يعرف بها كونه معجزاً فساوى حينئذ أهل الصنعة فيكون استدلالهما في تلك الحالة به على صدق من ظهر ذلك عليه على سواء إذا ادعاه دلالة على نبوته وبرهانا على صدقه فأما من قدر أن القرآن لا يصير معجزاً الا بالتهدى اليه فهو كتقدير من ظن أن جميع آيات موسى وعيسى عليهما السلام ليست بآيات حتى يقع التهدى اليها والحض عليهما يقع العجز عنها فيعلم حينئذ انها معجزات وقد سلف من كلامنا في هذا المعنى ما يغني عن الاعادة ويبين ما ذكرناه في غير البليغ أن الأعجمي الآن لا يعرف اعجاز القرآن الا بأموه وزائده على الأعجمي الذي كان في ذلك الزمان مشاهداً له لأن من هو من أهل العصر يحتاج أن يعرف أولاً أن العرب عجزوا عنه وانما يعلم عجزهم عنه بنقل الناقلة اليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب اليه فججزوا عنه واحتاج في النقل الى شروط وليس بصير القرآن بهذا النقل معجزاً كذلك لا يصير معجزاً بأن يعلم العربي الذي ليس يبليغ أنهم قد عجزوا عنه بأبلغهم بل هو معجز في نفسه وانما طريق معرفة هذا وقوعهم على العلم لعجزهم عنه

### فصل في قدر المعجز من القرآن

الذي ذهب اليه عامة أصحابنا وهو قول أبي الحسن الأشعري في كتبه أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها قل فاذا كانت الآية بقدر حروف سورة وان كانت سورة الكوثر فذلك معجز قال ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر وذهب المعتزلة الى أن كل سورة برأسها فهي معجزة وقد



حكي عنهم نحو قولنا الآن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة بل شرط الآيات  
الكثيرة وقد علمنا أنه تحداهم تحديا إلى السور كلها ولم يخص ولم يأثروا الشيء منها بمثل فعلم أن  
جميع ذلك مجزؤا ما قوله عز وجل فليأتوا بحديث مثله فليس يخالف لهذا لأن الحديث  
النامل لا تحصل حكميته في أقل من كلمات سورة قصيرة وهذا يؤكده ما ذهب إليه أصحابنا  
ويؤيده وإن كان قديتا ولقوله فليأتوا بحديث مثله على أن يكون راجعا إلى القبيل دون  
التفصيل وكذلك يحمل قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا  
القرآن لا يأتون بمثله على القبيل لأنه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الاتيان بجميعه من  
أوله إلى آخره فان قيل هل تعرفون اعجاز السور القصار بما تعرفون به اعجاز السور الطوال  
وهل تعرفون اعجاز كل قدر من القرآن بلغ الحد الذي قدرتموه بمثل ما تعرفون به اعجاز  
سورة البقرة ونحوها فالجواب أن أبا الحسن الأشعري رحمه الله أجاب عن ذلك بأن كل  
سورة قد علم كونها مجزة بجز العرب عنها وسمعت بعض الكبراء من أهل هذا الشأن  
يقول إن ذلك يصح أن يكون علم ذلك توقيفا والطريقة الأولى أسد وليس هذا الذي  
ذكرناه أخيرا بمنافاه لأنه لا يمنع أن يعلم اعجازها بطرق مختلفة تتوافق عليه وتجتمع فيه  
والمعلم أن تحت اختلاف هذه الأجوبة ضربا من الفائدة لأن الطريقة الأولى تبين أن  
ما علم به كون جميع القرآن مجزؤا موجود في كل سورة صغرت أو كبرت فيجب أن يكون  
الحكم في الكل واحدا والطريقة الأخيرة تتضمن تعذر معرفة اعجاز القرآن بالطريقة  
التي سلكناها في كتابنا من التفصيل الذي بينا فيما يعرف به في الكلام الفصاحة وتبين فيه  
البلاغة حتى يعلم ذلك بوجه آخر فيستوى في هذا القدر البليغ وغيره في أن لا يعلمه مجزؤا  
حتى يستدل به من وجه آخر سوى ما يعلمه البلغاء من التقدم في الصنعة وهذا غير ممنوع  
ألا ترى أن الاعجاز في بعض السور والآيات أظهر وفي بعضها أغص وأدق فلا يفتقر البليغ  
في النظر في حال بعضها إلى تأمل كثير ولا بحث شديد حتى يتبين له الاعجاز ويفتقر في بعضها  
إلى نظر دقيق وبحث لطيف حتى يقع على الحلية ويصل إلى المطلب ولا يمنع أن يذهب عليه  
الوجه في بعض السور فيحتاج أن يفرع فيه إلى اجماع أو توقيف أو ما علمه من عجز العرب  
قاطبة عنه فان ادعى المحدث أو زعم زنديق أنه لا يقع العجز عن الاتيان بمثل السور القصار  
أو الآيات بهذا المقدار قلنا له إن الاعجاز قد حصل بما بيناه وعرف بما وقفنا عليه من عجز  
العرب عنه ثم فيه شيء آخر وهو أن هذا سؤال لا يستقيم للمحدث لأنه يزعم أنه ليس في  
القرآن كلمة أعز فكيف يجوز أن يناظره على تفصيله وإذا ثبت لنا معه اعجازها في السور  
الطوال قامت الحجة عليه وثبتت المجزة ولا معنى لطلبه لكثرة الأدلة والمجزئات ونحن نعلم



أن عجاز البعض بما بيناه والبعض الآخر بأنه اذا ثبت الأصل لم يبق بعد ذلك الا قولنا  
لا ناعرفنا في البعض الاعجاز بما بينا ثم عرفنا في الباقي بالتوقيف ونحو ذلك وليس بممتنع  
اختلاف حال الكلام حتى يكون الاعجاز على بعضه أظهر وفي بعضه أغمض ومن آمن ببعض  
دون بعض كان مذموماً على ما قال الله تعالى أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض  
وقال ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين فظاهره عند بعض أهل التأويل  
كالدليل على أن الشفاء ببعضه أوقع وان كنا نقول انه يدل على أن الشفاء في جميعه واعلم أن  
الكلام يقع فيه الأبلغ والبلوغ ولذلك كانوا يسمون الكلمة بتيمة ويسمون البيت الواحد  
يتيماً سمعت اسماعيل بن عباد يقول سمعت أبا بكر بن مقسم يقول سمعت ثعلباً يقول سمعت  
الفرء يقول العرب تسمى البيت الواحد تيمماً وكذلك يقال الدرة اليتيمة لانفرادها فاذا  
بلغ البيتين والثلاثة فهي تنفة والى العشرة تسمى قطعة واذا بلغ العشرين استحق أن يسمى  
قصيداً وذلك مأخوذ من المخ القصيد وهو المترجم بعضه على بعض وهو ضد الرار ومثله  
الرئيد انتهت الحكاية ثم استشهد بقول لبيد

فتذكر انقلارئيدا بعدما \* ألفت ذكاءميينها في كافر

يريد بيض النعام لأنه ينضد بعضه على بعض وكذلك يقع في الكلام البيت الوحشي  
النادر والمثل السائر والمعنى الغريب والنثي الذي لو اجتهده لم يقع عليه فيتنفق له  
ويصادفه قال لي بعض علماء هذه الصنعة وجاريت به في ذلك ان هذا مما لا سبب له يخصه وانما  
سببه القرارة في أصل الصنعة والتقدم في عيون المعرفة فاذا وجد ذلك وقع له من الباب  
ما يطرده عن حساب وما يشذ عن تفصيل الحساب فأما ما قلنا من أن ما بلغ قدر السورة  
محجز فان ذلك صحيح

(فصل في أنه هل يعلم اعجاز القرآن ضرورة) \*

ذهب أبو الحسن الأشعري الى أن ظهور ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ضرورة  
وكونه محجزاً يعلم باستدلال وهذا المذهب محكى عن المخالفين والذي نقوله في هذا ان  
الاعجى لا يمكنه أن يعلم اعجازه الاستدلالاً وكذلك من لم يكن بليغاً فأما البليغ الذي قد  
أحاط بآداب العربية وغرائب الصنعة فانه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الاتيان بمثله  
ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه كما أنه اذا علم الواحد منا أنه لا يقدر على ذلك وهو يعلم  
عجز غيره استدلالاً

فصل فيما يتعلق به الاعجاز

ان قال قائل بينوا لنا ما الذي وقع الهدى اليه أهو الحروف المنظومة أو الكلام القائم

بالذات أو غير ذلك قيل الذي تحداهم به أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن منظومة  
كنظمها متتابعة كتبها مطردة كاطرادها ولم يتحداهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم  
الذي لا مثله وإن كان كذلك فالتحدى واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة التي  
هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها وتأليفها وهي حكاية لكلامه ودلالات عليه وأمارات  
له على أن يكونوا مستأنفين لذلك لا حاكين بما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجب  
أن يقدر مقدراً أو يظن ظان أن أحين قلنا إن القرآن معجز فانه تحداهم إلى أن يأتوا بمثله  
أردنا غير ما فسرناه من العبارات عن الكلام القديم القائم بالذات وقد بينا قبل هذا أنه لم  
يكن ذلك معجزا لكونه عبارة عن الكلام القديم لأن التوراة والانجيل عبارة عن الكلام  
القديم وليس ذلك بمعجز في النظم والتأليف وكذلك مادون الآية كاللفظة عبارة عن  
كلامه وليس بمنفرد بها معجزة وقد جوز بعض أصحابنا أن يتحداهم إلى مثل كلامه  
القديم القائم بنفسه والذي عول عليه مشايخنا ما قدمنا ذكره وعلى ذلك أكثر مذاهب  
الناس ولم يجب أن تفسر ونذكر موجب هذا المذهب الذي حكيناه وما يتصل به لأنه خارج  
عن غرض كتابنا لأن الإعجاز واقع في نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلامه  
وإلى مثل هذا النظم وقع التحدى فبيننا وجه ذلك وكيفية ما يتصور القول فيه وأزلنا  
توهم من يتوهم أن الكلام القديم حروف منظومة أو حروف غير منظومة أو شئ مؤلف  
أو غير ذلك مما يصح أن يتوهم على ما سبق من إطلاق القول فيما مضى

### فصل في وصف وجوه من البلاغة

ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام الإيجاز والتشبيه  
والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصرف والتضمين والمبالغة وحسن  
البيان فأما الإيجاز فأنما يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى فيأتي باللفظ القليل الشامل  
لأمور كثيرة ذلك ينقسم إلى حذف وقصر فالحذف الإسقاط للتخفيف كقوله وأسأل  
القرية وقوله طاعة وقول معروف وحذف الجواب كقوله ولو أن قرأتنا سيرت به الجبال  
وقطعت به الأرض أو كسم به الموق كأنه قيل لكان هذا القرآن والحذف أبلغ من  
الذكر لأن النفس تذهب بكل مذهب في القصد من الجواب والإيجاز بالقصد كقوله ولكم  
في القصص حياة وقوله يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقوله انما يغيبكم على أنفسكم  
ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله والاطناب فيه بلاغة فأما التطويل ففيه عي وأما التشبيه  
بالعقد على أن أحد الشئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل كقوله والذين كفروا  
أعمالهم كسراب بغيعة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وقوله مثل الذين

كفروا بربههم أعبأهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وقوله واذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وقوله انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها اناها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغس بالأمس وقوله انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وقوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض وقوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله تعالى قتله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وقوله كأنهم أعجاز نخل خاوية وقوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت لبنت البيوت لبنت العنكبوت وقوله وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام وقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار ونحو ذلك ومن ذلك باب الاستعارة وهو بيان التشبيه كقوله تعالى وقد علمنا الى ما علموا من عمل فجعلناه هباء منثورا وكقوله فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وكقوله انا لما طغى الماء جعلناكم في الجارية وقوله ولما سكنت عن موسى الغضب وكقوله فجعونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فالدماغ والقذف مستعار وقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم وقوله فذودعاء عريض وقوله تضع الحرب أوزارها وقوله والصبح اذا نفثس وقوله مستهم البأساء والضراء وقوله فنبذوه وراة ظهورهم وقوله اناها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا وقوله حصيدا خامدين وقوله ألم ترأنهم في كل واد يهيمون وقوله وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقوله لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وقوله ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر وقوله فصر بنا على آذانهم يريد أن لا احساس بأذانهم من غير صمم وقوله ولما سقط في أيديهم وهذا أوقع من اللفظ الظاهر وأبلغ من الكلام الموضوع وأما التلاؤم فهو تعديل الحروف في التأليف وهو تقيض التنافر كقول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر • وليس قرب قبر حرب قبر

قالوا هو من شعر الجن حروفه متنافرة لا يمكن انشاده لا يتتبع فيه والتلاؤم على ضربين أحدهما في الطبقة الوسطى كقوله

رمثني وستر الله بيني وبينها \* عشية أن أم الكأس رمي

وميم الذي قالت لجارات بيتها \* ضمنت لكم أن لا يزال بهيم  
الأرب يوم لو رميتي رميتها \* ولكن عهدي بالنضال قديم  
قالوا والمتلاثم في الطبقة العليا القرآن كله وان كان بعض الناس أحسن احساسا من  
بعض كأن بعضهم يفتن للوزن بخلاف بعض والتلاثم حسن الكلام في السمع وسهولته  
في اللفظ ووقع المعنى في القلب وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي والمتنافر كالخط القبيح  
فاذا انضاف الى التلاثم حسن البيان وصحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الانجاز لمن كان  
جيد الطبع وبصيرا بجودة الكلام كما يظهر له أعلى طبقة الشعر والمتنافر ذهب الخليل  
الى أنه من بعد شديد أقرب شديد فاذا بعد فهو كالظفر واذا قرب جدا كان بمنزلة مشى  
المقيد ويبين ذلك بقرب مخارج الحروف وتباعدها وأما الفواصل فهي حروف متشاكلة  
في المقاطع يقع بها افهام المعاني وفيها بلاغة والاسجاع عيب لأن السجع يتبع المعنى  
والفواصل تابعة للمعاني والسجع كقول مسيلة ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة  
كما قد تقع على حروف متقاربة ولا تحتل القوافي ما تحتل الفواصل لأنها ليست في  
الطبقة العليا في البلاغة لأن الكلام يحسن فيها بمجانسة القوافي واقامة الوزن وأما  
التجانس فانه بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد وهو على وجهين مزاوجة  
ومناسبة فالمرزاوجة كقوله تعالى فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم  
وقوله ومكروا ومكر الله وكقول عمر وابن كثنوم

ألا لا يجهلن أحد علينا • فيجهل فوق جهل الجاهلينا

وأما المناسبة فهي كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله يخافون يوماً تتقلب فيه  
القلوب والابصار وأما التصريف فهو تصرف الكلام في المعاني كتصرفه في الدلالات  
المختلفة كتصرف الملك في معاني الصفات فصرف في معنى مالك ومالك وذو المالكوت  
والمليك وفي معنى التملك والاملاك وتصرف المعنى في الدلالات المختلفة كما  
كرر من قصة موسى في مواضع وأما التضمين فهو حصول معنى فيه من غير ذكره باسم  
أو صفة هي عبارة عنه وذلك على وجهين تضمين توجيه البنية كقولنا معلوم يوجب أنه  
لا بد من عالم وتضمين توجيه معنى العبارة من حيث لا يصح الا به كالصفة بضارب يدل على  
مضروب والتضمين كله انجاز والتضمين الذي يدل عليه دلالات القياس أيضا انجاز  
وذكر أن بسم الله الرحمن الرحيم من باب التضمين لأنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور  
باسمه على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى أو التبرك باسمه وأما المبالغة فهي الدلالة على  
كثرة المعنى وذلك على وجوه منها مبالغة في الصفة المبنية لذلك كقولك رحمن عدل عن

ذلك للبلاغة وكقوله غفار وكذلك فعال وفعل كقولهم شكور وغفور وفعل كقوله  
رحيم وقدير ومن ذلك أن يبالغ باللفظة التي هي صفة عامة كقوله خالق كل شئ وكقوله  
فأتى الله بنيانهم من القواعد وكقوله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل في سم الخطأ  
وكقوله وأنا وأياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وقد يدخل فيه الحذف الذي تقدم ذكره  
للبلاغة وأما حسن البيان فالبيان على أربعة أقسام كلام وحال وإشارة وعلامة ويقع  
التفاضل في البيان ولذلك قال عز من قائل الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان  
وقيل أعيان من باقى مثل عن طيبة في يده بكم اشتراها فأراد أن يقول بأحد عشر فأشار  
بيديه ما إذا أصابعه العشر ثم أدلج لسانه وأقلت الظبي من يده ثم البيان على مراتب قلنا  
قد كآحكيما أن من الناس من يريد أن يأخذ بعجاز القرآن من وجوه البلاغة التي ذكرنا  
أنها تسمى البديع في أول الكتاب مما مضت أمثله في الشعر ومن الناس من زعم أنه يأخذ  
ذلك من هذه الوجوه التي عدناها في هذا الفصل وأعلم أن الذي بيناه قبل هذا وذهبنا  
إليه هو شديد وهو أن هذه الأمور تنقسم فيها ما يمكن الوقوع عليه والتعلل له ويدرك  
بالتعلم فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة عجاز القرآن به وأما ما لا سبيل إليه بالتعلم  
والتعلل من البلاغات فذلك هو الذي يدل على عجازه ونحن نضرب لذلك أمثلة لتقف على  
ما ذهبنا إليه وذكرنا في هذا الفصل عن هذا القائل أن التشبيه تعرف به البلاغة وذلك  
مسلم ولكن ان قلنا ما وقع من التشبيه في القرآن معجز عرض علينا من التشبيهات الجارية  
في الأشعار ما لا يخفى عليك وأنت تجد في شعرا بن المعتز من التشبيه البديع الذي يشبه  
الشعر وقد تتبع في هذا ما لم يتبع غيره واتفق له ما لم يتفق لغيره من الشعراء وكذلك كثير  
من وجوه البلاغة قد بينا أن تعلمها يمكن وليس تقع البلاغة بوجه واحد منها دون غيره  
فإن كان انما يعني هذا القائل أنه إذا أتى في كل معنى يتفق في كلامه بالطبقة العالية  
ثم كان ما يصل به كلامه ببعضه ببعض وينتهي منه إلى متصرفاته على أتم البلاغة وأبدع  
البراعة فهذا انما لا نأباه بل نقول به وانما ننكر أن يقول قائل ان بعض هذه الوجوه  
بانفرادها قد حصل فيه الا عجاز من غير أن يقارنه ما يتصل به الكلام ويفضى إليه مثل  
ما يقول ان ما أقسم به وحده بنفسه معجز وان التشبيه معجز وان التجنيس معجز والمطابقة  
بنفسها معجزة فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه فإن ادعى عجازها لالفاظها وتنظيمها  
وتأليفها فاني لأدفع ذلك وأصححه ويمكن لأدعى عجازها لموضع التشبيه وصاحب المقالة  
التي حكيناها أضاف ذلك إلى موضع التشبيه وما قرنه من الوجوه ومن تلك الوجوه  
ما قد بينا أن العجاز يتعلق به كالبیان وذلك لا يختص بجنس من المبین دون جنس ولذلك

قال هذا بيان للناس وقال تبينا لكل شئ وقال بلسان عربي مبين فذكر في مواضع ذكره أنه مبين فالقرآن أعلى منازل البيان وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وسميته وحسن موقعه في السمع وسهولته على اللسان وقوعه في النفس موقع القبول ونصوره ونصور المشاهد وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف مما لا ينحصر حسنا وسمية ورفعة وإذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقوع في القلوب والتمكن في النفوس ما يذهل ويهيج وقلق ويؤنس ويطمع ويؤنس ويفتح ويبكي ويحزن ويفرح ويسكن ويزعم ويشجي ويضطرب ويهز الأعطاف ويستميل نحوه الأسماع ويورث الأريحية والعزة وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعة وجود أو يرى السامع من وراء رأيه مرمي بعياد أوله مسالك في النفوس لطيفة ومداخل إلى القلوب دقيقة وبحسب ما يترتب في نظمه ويتنزل في موقعه ويجري على سمع مطالعه ومقطعه يكون عجيب تأثيراته وبديع مقتضياته وكذلك على حسب مصادره يتصور وجوه موارده وقد ينبت الكلام عن محل صاحبه ويدل على مكان متكلمه وينبه على عظيم شأن أهله وعلى علو محله ألا ترى أن الشعر في الغزل إذا صدر عن محب كان أرق وأحسن وإذا صدر عن متغزل وحصل من متصنع نادى على نفسه بالمداواة وأخبر عن خبيته في المزاية وكذلك قد يصدر الشعر في وصف الحرب عن الشجاع فيعلم وجه صدره ويدل على كنهه وحقيقته وقد يصدر عن المتشبه ويخرج عن المتصنع فيعرف من حاله ما ظن أنه يخفيه ويظهر من أمره خلاف ما يبديه وأنت تعرف قول المتنبي

فالحيل والليل والبيداء تعرفني \* والحرب والظعن والقرطاس والقلم

من الواقع في القلب لما يعلم أنه من أهل الشجاعة ما لا تجده البعتر في قوله

وأنا الشجاع وقد بدا لك موقفي \* بعقر قرس والمشرقة مشهدي

وتجد لابن المعتز في موقع شعره من القلب في الفخر وغيره ما لا تجده لغيره لأنه إذا قال

أذا شئت أوقرت البلاد حوافر \* وسارت ورائي هائم وزار

وعم سماء النقع حتى كانه \* دنان واطراف الرماح شرار

وقال قد تردت بالمكارم حولي \* وكفتني نفسي من الاقتدار

أنا جيش إذا غزوت وحيدا \* ووحيد في الجفيل الجرار

وقال أبها السائل عن الحسب الاطـيب ما فوقه خلق مزيد

نحن آل الرسول والعزة الحقة وأهل القرى فاذا ترد

ولنا ما أضاء صبح عليه \* وأنته رايات ليل سود

وكما أنشدنا الحسن بن عبد الله قال أنشدنا محمد بن يحيى لابن المعتز قصيدته التي يقول فيها  
 أنا ابن الذي سادهم في الحيا • • • وسادهم بي تحت الثرى  
 ومالي في أحد مرغب • • • بلى في يرغب كل الورى  
 وأسهر للمجد والمكرما • • • ت اذا اكملت أعين بالكرى  
 فانظر في القصيدة كلها ثم في جميع شعره تعلم أنه ملك الشعر وأنه يليق به من الفخر خاصة  
 ثم مما يتبعه مما يتعاطاه مما لا يليق بغيره بل ينفر عن سواء ولم أحب أن أكثر عليك فأطول  
 السكاب بما يخرج عن غرضه وكما ترى من قول أبي فراس الحمداني في نفسك اذا قال  
 ولا أصبح الخى الخلو في بغارة • • • ولا الجيش ما لم يأنه قبلى النذر  
 ويارب دار لم تخفنى منيعة \* طلعت عليها بالردى أنا والفجر  
 وساحبة الاذيال نحوى اقيتها \* فلم يلقها جافى اللقاء ولا وعر  
 وهبت لها ما حازه الجيش كله \* وأبت ولم يكشف لآياتها ستر  
 وماراح يطغيني بأثوابه الغنى \* ولا بات يثني عن الكرم الفقر  
 وما حاجتى في المال أبغى وفوره \* اذا لم أفر وفرى فلا وفر الوفور  
 والشئ اذا صدر من أهله وبدامن أصله وانتسب الى ذويه سلم في نفسه وبان فخامته وشوهد  
 أثر الاستحقاق فيه واذا صدر من متكلف وبدامن متصنع بان أثر الغرابة عليه وظهرت  
 مخايل الاستيجاش فيه وعرف شمائل التخير منه انا نعرف في شعر أبي نواس أثر الشطارة  
 وتمكن البطالة وموقع كلامه في وصف ما هو بسبيله من أمر العبارة ووصف الخمر  
 والجمار كنعرف موقع كلام ذى الرمة في وصف المهامه والبوادى والجمال والانواع  
 والأزمة وعيب أبي نواس التصرف في وصف الطلول والرباع والوحش ففكر في قوله  
 دع الاطلاع تسقيها الجنوب \* وتبلى عهد جدتها الخطوب  
 وخل لراكب الوجناء أرضا • • • تحب به الخبيبة والخييب  
 بلاد بنتها عشر وطح \* وأكثر صيدها ضبع وذيب  
 ولا تأخذ عن الاعراب لهوا • • • ولا عبسا فعيشهم جديب  
 ودع الالبيان يشربها رجال • • • رقيق العيش عندهم غريب  
 اذا راب الحليب قبل عليه • • • ولا تخرج فما في ذاك حوب  
 فأطيب منه صافية شمول \* بطوف بكأسها ساق أديب  
 كأن هديرها في الدن يحكى • • • قراء النفس قابلة الصليب  
 أعاذل أقصرى عن طول لوى • • • فراجى توبى عندى يخيب



تعييبين الذنوب وأى حر \* من الفتيان لبس له ذنوب  
 وقوله صفه الطول بلاغة العدم \* فاجعل صفاتك لابنة الكرم  
 وسمعت صاحب اسماعيل بن عباد يقول سمعت برلكويه الزنجاني يقول أنشد بعض  
 الشعراء هلال بن يزيد قصيدة على وزن قصيدة الأعمى  
 ودع هريرة أن الركب مر نخل \* وهل تطيق وداعا أيها الرجل  
 وكان وصف فيها الطلل قال برلكويه فقال لي هلال فقلت بديها  
 إذا سمعت فتى يبكي على طلل • من أهل زنجان فاعلم أنه طلل  
 وانما ذكرت لأن هذه الامور تعلم أن الشئ في معدنه أعز وفي مظانه أحسن وإلى أصله أنزع  
 وبأسبابه ألبق وهو يدل على ما صدر منه وينبه ما انتج عنه ويكون قراره على موجب  
 صورته وأنواره على حسب محله ولكل شئ حد ومذهب ولكل كلام سبيل ومنهج وقد ذكر  
 أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلام مسيلة ما أخبرتك به فقال إن هذا كلام لم يخرج من  
 آل فدل على أن الكلام الصادر عن عزة الربوبية ورفعة الالهية يتميز عما لم يكن كذلك ثم  
 رجع الكلام بنا إلى ما ابتدأنا به من عظيم شأن البيان ولولم يكن فيه الامانة به الله على  
 خلقه بقوله خلق الانسان علمه البيان فأما بيان القرآن فهو أشرف بيان وأهداه وأكمله  
 وأعلاه وأبلغه وأسناه فأمل قوله تعالى افنضرب عنكم الذكركم صفحا أن كنتم قوما مسرفين في  
 شدة التنبيه على تركهم الحق والاعراض عنه وموضع امتنانه بالذكور والتحذير وقوله ولن  
 ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون وهذا بليغ في التحسير وقوله ولوردوا  
 لعادوا لما نهوا عنه وهذا يدل على كونهم مجبولين على الشر معقودين لمخالفة النهي والامر  
 وقوله الا خلاه يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين هو في نهاية الوضع من الخلعة الا على  
 التقوى وقوله ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وهذا نهاية في التحذير من  
 التفریط وقوله أفن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعلموا ما شئتم انه بما تعملون  
 بصير هو النهاية في الوعيد والتهديد وقوله وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى  
 مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذي ينظرون من طرف خفي نهاية في  
 الوعيد وقوله وفيها ما تشبهه الا نفس وتلذذ الا عين وأنتم فيها خالدون نهاية في الترغيب  
 وقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من الذاذ ذهب كل الذاذ خلق ولعل بعضهم على  
 بعض وكذلك قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا نهاية في الحجاج وقوله وأسر واقولكم  
 أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير نهاية في الدلالة  
 على علمه بالخصيات ولا وجه للتطويل فان بيان الجميع في الرفعة وكبر المنزلة على سواء وقد



ذكرنا من قبل أن البيان يصح أن يتعلق به الاعجاز وهو معجز من القرآن وما حكيناه  
صاحب الكلام من المبالغة في اللفظ فليس ذلك بطريق الاعجاز لأن الوجوه التي ذكرها  
قد تتفق في كلام غيره وليس ذلك بمعجز بل قد يصح أن يقع في المبالغة في المعنى والصفة  
وجوه من اللفظ يثر الاعجاز وتضمن المعاني أيضا قد يتعلق به الاعجاز اذا حصلت للعبارة  
طريق البلاغة في أعلى درجاتها وأما الفواصل فقد بينا أنه يصح أن يتعلق بها الاعجاز  
وكذلك قد بينا في المقاطع والمطالع نحو هذا وبيننا في تلاؤم الكلام ما سبق من صحة تتعلق  
الاعجاز به والتصرف في الاستعارة البدعية يصح أن يتعلق به الاعجاز كما يصح مثل ذلك في  
حقائق الكلام لأن البلاغة في كل واحد من البابين تجري مجرى واحد وتأخذ مأخذا  
مفردا وأما الإيجاز والبسط فيصح أن يتعلق بهما الاعجاز كما يتعلق بالحقائق والاستعارة  
والبيان في كل واحد منهما ما لا يضبط حده ولا يقدر قدره ولا يمكن التوصل الى ساحل  
بحره بالتعلم ولا يتطرق الى غوره بالنسب وكل ما يمكن تعلمه وينتهي ثلقته ويمكن تخليصه  
ويستدرك أخذه فلا يجب أن يطلب وقوع الاعجاز به ولذلك قلنا ان السجع مما ليس يلتصق  
فيه الاعجاز لان ذلك أمر محدود وسبيل مورود ومتى تدرب الانسان به واعتاده لم  
يستصعب عليه أن يجعل جميع كلامه منه وكذلك الجنيس والتطبيق متى أخذ أخذهما  
وطلب وجههما استوفى ماشاء ولم يتعذر عليه أن يملا خطابه منه كما أولع بذلك أبو تمام  
والبحرئى وان كان البحرئى أشغف بالمطابق وأقل طلبا للجناس فان قال قائل هلا قلت  
ان هذين البابين يقع فيهما مرتبة عالية لا يوصل اليها بالتعلم ولا تملك بالتعلم كما ذكرتم في  
البيان وغير ذلك قلنا لو عمد الى كتاب الاجناس ونظر في كتاب العين لم يتعذر عليه الجنيس  
الكثير فأما الاطلاق فهو اقرب منه وليس كذلك البيان والوجوه التي رأينا الاعجاز فيها  
لانها تستوفى بالتعلم فان قيل فالبيان قد يتعلم قيل ان الذى يمكن أن يتوصل اليه بالتعلم  
يتفاوت فيه الناس وينتهي فيه العادات وهو كما يعلم من مقادير القوى في حل الثقيل وأن  
الناس يتقاربون في ذلك فيرمون فيه الى حد فاذا تجاوزوه وقفوا بعده ولم يمكنهم التخطي  
ولم يقدروا على التعدي الا أن يحصل ما يخرق العادة وينقض العرف ولن يكون ذلك الا  
للدلالة على النبوات على شروط في ذلك والقدر الذى يفوت الحد في البيان ويتجاوز الوهم  
ويشذ عن الصنعة ويقذفه الطبع في النادر القليل كالبيت البدیع والقطة الشريفة  
التي تتفق في ديوان شاعر والفقرة تتفق في لسان كاتب حتى يكون الشاعر ابن بيت  
وبيتين أو قطعة أو قطعتين والاديب شهيد كلمة أو كلمتين وذلك أمر قليل ولو كان كلامه  
كله ينطرد على ذلك المسلك ويستمر على ذلك المنهج أمكن أن يدعى فيه الاعجاز ولكم ان

كنت من أهل الصنعة تعلم قلة الآيات الشوارد والكلمات الفرائد وأمهات القلائد فان أردت أن تجد قصيدة كلها وحشية وأردت أن تراها مثل بيت من أبياتهم امرضيه لم تجد ذلك في الدواوين ولم تظفر بذلك الى يوم الدين ونحن لم ننكر أن يستدرك البشر كلمة شريفة ولفظة بدیعة وانما أنكرنا أن يقدر واعلى مثل نظم سورة أو نحوها وأهلنا أن يتمكنوا من حدى البلاغة ومقدار فى الخطابة وهذا كما قلناه من أن سورة الشعر قد تنفق فى القرآن وان لم يكن له حكم الشعر فاما قدر المجز فقد بينا أنها السورة طالت أو قصرت وبعد ذلك خلاف من الناس من قال مقدار كل سورة أو أطول آية فهو مجز وعندنا كل واحد من الامرین معجز والدلالة عليه ما تقدم والبلاغة لا تبين بأقل من ذلك فلذلك لم نحكم بأجازه وما صح أن تبين فيه البلاغة ومحصولها الا بأنه فى الابلاغ عن ذات النفس على أحسن معنى وأجزل لفظا وبلوغ الغاية فى المقصود بالكلام فاذا بلغ الكلام غايته فى هذا المعنى كان بالغا وبلغا فاذا تجاوز حد البلاغة الى حيث لا يقدر عليه أهل الصناعة وانتهى الى أمر يعجز عنه الكامل فى البراعة صح أن يكون له حكم المعجزات وجاز أن يقع موقع الدلالات وقد ذكرنا أنه يجنسه وأسلوبه مبين لساثر كلامهم ثم بما يتفهم من تجاوزه فى البلاغة الحمد الذى يقدر عليه البشر فان قيل فاذا كان يجوز عندكم أن يتفق فى شعر الشاعر قطعة مجيبة شاردة تبين جميع ديوانه فى البلاغة ويقع فى ديوانه بيت واحد يخالف ما لوف طبعه ولا يعرف سبب ذلك البيت ولا تلك القطعة فى التفصيل ولو أراد أن يأتي بمثل ذلك ويجعل جميع كلامه من ذلك النمط لم يجد الى ذلك سبيلا وله سبب فى الجملة وهو التقدم فى الصنعة لانه يتفق من المتأخر فيها فها لا قلتم انه اذا بلغ فى العلم بالصناعة مبالغة قصوى كان جميع كلامه من نمط ذلك البيت وسميت تلك القطعة وهلا قلتم ان القرآن من هذا الباب فالجواب ان لم نجد أحدا بلغ الحد الذى وصفتم فى العادة وهذا الناس وأهل البلاغة اشعارهم عندنا محفوظة وخطبهم منقولة ورسائلهم مأثورة وبلغاتهم مروية وحكمهم مشهورة وكذلك أهل الكهانة والبلاغة مثل قس بن ساعدة وسهبان وائل ومثل شق وسطح وغيرهم كلامهم معروف عندنا وموضوع بين أيدينا لا يخفى علينا فى الجملة بلاغة بليغ ولا خطابة خطيب ولا براعة شاعر مطلق ولا كناية كاتب مدقق فلما لم نجد فى شئ من ذلك ما يدانى القرآن فى البلاغة أو يشا كله فى الاجازة مع ما وقع من التحدى اليه المدة الطويلة وتقدم من التقرير المجازة الامد المديد وثبت له وحده خاصة قصب السبق والاستيلاء على الامر وهجز الكل عنه ووقفوا دونه حيارى يعرفون عجزهم وان جهل قوم سبهم ويعلمون نقصهم وان أغفل قوم وجههم رأينا أنه نافض للعادة ورأينا أنه خارق للعروفى فى

الحيلة وخرق العادة انما تقع بالمعجزات على وجه اقامة البرهان على النبوات وعلى أن من ظهرت عليه ووقعت موقع الهداية اليه صادق فيما يدعيه من نبوته ومحقق في قوله ومصديق في هديه قد سادت له الحجة البالغة والكلمة التامة والبرهان النير والدليل البين

( فصل في حقيقة المعجز )

مننى قولنا ان القرآن معجز على أصولنا أنه لا يقدر العباد عليه وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح دخوله تحت قدرة العباد وانما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ولا يجوز أن يعجز العباد عما تسخير قدرتهم عليه كما يستحيل عجزهم عن فعل الاجسام فحين لا يقدر على ذلك وان لم يصح وصفنا بأنا عاجزون عن ذلك حقيقة وكذلك معجزات سائر الانبياء على هذا فالما لم يقدر عليه أحد شبه بما يعجز عنه العاجز وانما يقدر على العباد الاتيان بمثله لانه لو صح أن يقدروا عليه بطلت دلالة المعجز وقد أجرى العادة أن يتعذر فعل ذلك منه وأن لا يقدروا عليه ولو كان غير خارج عن العادة لا يتوابعه وأعرضوا عليه من كلام فحائهم وبلغائهم ما يعارضه فلما لم يشتغلوا بذلك علم أنهم فطنوا وخرج ذلك عن أوزان كلامهم وأساليب نظامهم وزالت أطماعهم عنه وقد كايبن أن التواضع ليس يجب أن يقع على قول الشعر ووجوه النظم المستحسنة في الاوزان المطربة للسمع ولا يحتاج في مثله الى توقيف وأنه يتبين أن مثل ذلك يجري في الخطاب فلما جرى فيه فطنوا له واختاروه وطلبوا أنواع الاوزان والقوافي ثم وقعوا على حسن ذلك وقدروا عليه بتوفيق الله عز وجل وهو الذي جمع خواطرهم عليه وهداهم وبدأوا عظمهم اليه وليكنه أقدرهم على حدود وغاية في العرف مضروبة لعلمه بأنه سيجعل القرآن معجزا ودل على عظم شأنه بأنهم قدروا على ما بينا من التأليف وعلى ما وصفنا من النظم من غير توقيف ولا اقتضاء اثر ولا تحدى اليه ولا تقريب فلو كان هذا من ذلك القبيل أو من الجنس الذي عرفوه والقوه لم تنزل أطماعهم عنه ولم يدهشوا عند روده عليهم فكيف وقد أمهلهم وفسح لهم في الوقت وكان يدعو اليه سنين كثيرة وقال عز من قائل أولم نحرك ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير و بظهور المعجز عنه بعد طول التقريب والتهدى بان أنه خارج عن عاداتهم وانهم لا يقدرون عليه وقد ذكرنا أن العرب كانت تعرف ما يبين عاداتها من الكلام البليغ لان ذلك طبعهم ولغتهم فلم يحتاجوا الى تجربة عند سماع القرآن وهذا في البلاغة منهم دون المتأخرين في الصنعة والذي ذكرناه بذلك على أنه لا كلام أزيد في قدر البلاغة من القرآن وكل من جواز أن يكون للبشر قدرة على أن يأتيوا بمثله في البلاغة لم يمكنه أن يعرف أن القرآن معجز بحال ولو لم يكن جرى في المعلوم أنه سيجعل القرآن معجزا لكان

يجوز أن تجري عادات الأولين وأخبار المرسلين وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه من  
 الاخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أنبأ أنها تقع في الثاني فلا يخرج من أن يكون  
 متأولاً على ما يقتضيه نظام الخطاب من أنه لا يأتيه ما يبطئه من شبهة سابقة تقدر في مجرته  
 أو تعارضه في طريقه وكذلك لا يأتيه من بعده قط أمر يشكك في وجه دلالة وإعجازه  
 وهذا أشبه بسباق الكلام ونظامه ثم قال ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته  
 أعجمي وعربي فأخبر أنه لو كان أعجمياً لكانوا يحتجون في رده أما بان ذلك خارج عن عرف  
 خطابهم وكانوا يعتدرون بذهابهم عن معرفة معناه وبأنهم لا يتبين لهم وجه الإعجاز فيه  
 لانه ليس من شأنهم ولا من لسانهم أو بغير ذلك من الامور وأنه اذا تحداهم الى ما هو من  
 لسانهم وشأنهم فجوزوا عنه وجبت الحجة عليهم به على ما بينه في وجه هذا الفصل الى أن  
 قال قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد والذي  
 ذكرنا من نظم هاتين السورتين ينبس على غيرهما من السور فكررنا مرد القول فيها  
 فليست مل المتأمل ما دللناه عليه بحجده كذلك ثم ما يدل على هذا قوله عز وجل وقالوا لولا  
 أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك  
 الكتاب يتلى عليهم فأخبر أن الكتاب آية من آياته وعلم من أعلامه وأن ذلك يكفي في الدلالة  
 ويقوم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الانبياء صلوات الله عليهم ويدل عليه قوله عز  
 وجل تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً وقوله أم يقولون افترى على  
 الله كذباً فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته فدل على أنه جعل  
 قلبه مستودعاً لوحيه ومستنزلاً لكتابه وأنه لو شاء صرف ذلك الى غيره وكان له حكم دلالة  
 على تحقيق الحق وابطال الباطل مع صرفه عنه ولذلك اشباه كثيرة تدل نحو الدلالة التي  
 وصفنا هافيان بهذا ونظائره ما قلنا من أن نبأ نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن  
 ومجرفته وصار له من الحكم في دلالة على نفسه وصدقه أنه يمكن أن يعلم أنه كلام الله تعالى  
 وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الانبياء لانها لا تدل على أنفسها الا بأمر  
 زائد ووصف منضاف اليها لان نظمها ليس معجزاً وان كان ما يتضمنه من الاخبار عن  
 الغائبات والغيوب معجزاً وليس كذلك القرآن لانه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها  
 في ان نظمه معجز فيمكن أن يستدل به عليه وحل في هذا من وجه محل سماع الكلام من  
 القديم سبحانه لان موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم أنه في الحقيقة كلامه وكذلك  
 من يسمع القرآن يعلم أنه كلام الله وان اختلف الحال في ذلك البشر بقدر زائد على ما ألفوه  
 من البلاغة وأمر يفوق ما عرفوه من الفصاحة وأما نظم القرآن فقد قال أصحابنا فيه ان الله

تعالى يقدر على نظم القرآن الرتبة التي لا مزيد عليها فقد قال مخالفونا ان هذا غير ممكن لان فيه من الكلمات الشريفة الجامعة للعاني البدیعة وانضاف الى ذلك حسن الموقع فيجب أن يكون قد بلغ النهاية لانه عندهم وان زاد على ما في العادة فان الزائد عليهم وان تفاوت فلا بد من أن ينتهي الى حد لا مزيد عليه والذي يقول انه لا يمنع ان يقال انه يقدر الله تعالى على أن يأتي بنظم أبلغ وأبدع من القرآن كله وأما قدرة العباد فهي متناهية في كل ما يقدرون عليه مما تصح قدرتهم عليه

### (فصل في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأمر متصل بالاعجاز)

ان قال قائل اذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وقد قال هذا في حديث مشهور وهو صادق في قوله فهل أفلتم ان القرآن من نظمه لقد رتته في الفصاحة على مقدار لا يبلغه غيره قيل قد علمنا أنه لم يتقدم اليه مثل قوله وفصاحته والقدر الذي بينه وبين كلام غيره من الفصحاء كقدر ما بين شعر الساعرين وكلام الخطيبين في الفصاحة وذلك مما لا يقع به الاعجاز وقد بينا قبل هذا آثا اذا وازنا بين خطبه ورسائله وكلامه المنشور وبين نظم القرآن تبين من البون بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل وكلام الناس ولا معنى لقول من ادعى أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم مجز وان كان دون القرآن في الاعجاز فان قيل لولا أن كلامه مجز لم يشبهه على ابن مسعود الفصل بين المعوذتين وبين غيرهما من القرآن وكذلك لم يشبهه دعاء القنوت في أنه هل هو من القرآن ولا يجوز أن يخفى عليهم القرآن من غيره وعدد السور عندهم محفوظ مضبوط وقد يجوز أن يكون شذعن مصحفه لانه نفاه من القرآن بل عول على حفظ الكل اياه على أن الذي يروونه خبر واحد لا يسكن اليه في مثل هذا ولا يعلم عليه ويجوز أن يكتب على ظهر مصحفه دعاء القنوت لئلا ينساه كما يكتب الواحد منا بعض الادعية على ظهر مصحفه وهذا نحو ما يذكره الجهال من اختلاف كثير من مصحف ابن مسعود وبين مصحف عثمان رجة الله عليهما ونحن لانسکر أن يغلط في حرف معدودة كما يغلط الحافظ في حرف وينسى وما لا يجزئه على الحفاظ مما لم يجزئه عليه ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا لكانت العناية تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر فقد تناظر وافي أقل من هذا وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل فكيف يجوز أن يقع التخصيف فيه وقد علمنا اجماعهم على ما جوهه في المصحف فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذة المولدة بالاجماع المتقرر والاتفاق المعروف ويجوز أن يكون الناقل اشبه عليه لانه خالف في النظم والترتيب فلم يشبههما في آخر القرآن والاختلاف بينهما في موضع الاثبات غير الكلام في الاصل الا ترى أنهم قد اختلفوا في أول ما نزل من

القرآن فهم من قال قوله اقرأ باسم ربك ومنهم من قال يأيها المدثر ومنهم من قال فاتحة الكتاب واختلفوا أيضا في آخر ما نزل فقال ابن عباس اذا جاء نصر الله وقالت عائشة سورة المائدة وقال البراء بن عازب آخر ما نزل سورة براءة وقال سعيد بن جبير آخر ما نزل قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وقال السدي آخر ما نزل فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت ويحوز ان يكون في مثل هذا خلاف وان يكون كل واحد ذكر آخر ما سمع ولو كان القرآن من كلامه لكان البون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئها رجل واحد وكانوا يعارضونه لانا قد علمنا أن القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج الى حد الاعجاز ولا يتفاوت التفاوت الكثير ولا يخفى كلام من جنس أوزان كلامهم وليس كذلك نظم القرآن لانه خارج من جميع ذلك فان قيل لو كان على ما ادعيتم لعرفنا بالضرورة أنه معجز دون غيره قبل معرفة الفصل من وزن الشعر ووزنه والفرق بينه وبين غيره من الاوزان الى نظروا تأمل وفكر وروية واكتساب وان كان النظم المختلف الشديدا التباين اذا وجد أدرك اختلافه بالحاسة الا ان كل وزن وقيل اذا أردنا تمييزه من غيره احتجنا فيه الى الفكرة والتأمل فان قيل لو كان معجزا لم يختلف أهل الملة في وجه اعجازه قيل قد ثبت الشيء دليلا وان اختلفوا في وجه دلالة البرهان كما قد يختلفون في الاستدلال على حدوث العالم من الحركة والسكون والاجتماع والافتراق فأما المخالفون فانه يتعذر عليهم أن يعرفوا أن القرآن كلام الله لان مذهبهم أنه لا فرق بين أن يكون القرآن من قبل الرسول أو من قبل الله عز وجل في كونه معجزا لانه ان خصه بقدر من العلم لم تجر العادة بمثله أمكنه أن يأتي بعالم هذه الرتبة وكان متعذرا على غيره لفقد علمه بكيفية النظم وليس القوم بعاجزين عن الكلام ولا عن النظم والتأليف والمعنى المؤثر عندهم في تعذر مثل نظم القرآن علينا فقد العلم بكيفية النظم وقد بينا قبل هذا أن المانع هو أنهم لا يقدر على نظم الشعر وقد يعلم الشاعر وجوه الفصاحة واذا قالا الشعر شعر أحدهما في الطبقة العالية وشعر الآخر في الطبقة الوضيعة وقد يطرده في شعر المبتدئ والمتأخر في الحذف القطعة الشريفة والبيت النادر وما لا يتفق للشاعر المتقدم والعلم بهذا الشأن في التفصيل لا يغني ويحتاج معه الى مادة من الطبع وتوفيق من الاصل وقد يتساوى العالمان بكيفية الصناعة والنساجة ثم يتفق لاحدهما من اللطف في الصنعة ما لا يتفق في الآخر وكذلك أهل نظم الكلام يتفاضلون مع العلم بكيفية النظم وكذلك أهل الرمي يتفاضلون في الاصابة مع العلم بكيفية الاصابة

واذا وجدت للشاعر بيتا أو قطعة أحسن من شعر امرئ القيس يدل ذلك على أنه أعلم  
 بالنظم منه لأنه لو كان كذلك كان يجب أن يكون جميع شعره على ذلك الحد وبحسب ذلك  
 البت في الشرف والحسن والبراعة ولا يجوز أن يعلم نظم قطعة وبجمل نظم مثلها وان كان  
 كذلك علم أن هذا لا يرجع إلى ما قدره من العلم أو لساننا نقول أنه يستغنى عن العلم في النظم  
 بل يكفي علم به في الجملة ثم يقف الأمر على القدرة وهذا بين لك بأنه قد يعلم الخط فيكتب سطرا  
 فلوراد أن يأتي بمثله بحيث لا يغادر منه شيئا لتعذر والعلم حاصل وكذلك قد يحسن كيفية  
 الخط والجيد منه من الرديء ولا يمكنه أن يأتي بأرفع درجات الجيد وقد يعلم قوم كيفية  
 إدارة الأقلام وكيفية تصور الخط ثم يتفاوتون في التفصيل ويختلفون في التصوير وألزمهم  
 أصحابنا أن يقولوا بقدرتنا على أحداث الاجسام وانما يتعذر وقوع ذلك منا لأننا لا نعلم  
 الأسباب التي اذا عرفنا ايقاعها على وجوه انفق لنا فعل الاجسام وقد ذهب بعض  
 المخالفين إلى أن العادة انتقضت بأن أنزله جبريل فصار القرآن معجزا لنزوله على هذا الوجه  
 ومن قبله لم يكن معجزا وهذا قول أبي هاشم وهو ظاهر الخطأ لأنه يلزم أن يكونوا قادرين على  
 مثل القرآن وان لم يتعذر عليهم فعل مثله وانما تعذر بانزاله ولو كانوا قادرين على مثل ذلك  
 كان قد اتفق من بعضهم مثله وان كانوا في الحقيقة غير قادرين قبل نزوله ولا بعده على مثله  
 فهو قولنا وما قولك كثير من المخالفين فهو على ما بينا لان معنى المعجز عندهم تعذر فعل مثله  
 وكان ذلك متعذرا قبل نزوله وبعده فأما الكلام في أن التأليف هل له نهاية فقد اختلف  
 المخالفون من المتكلمين فيه فمنهم من قال ليس لذلك نهاية كالعدد فلا يمكن أن يقال أنه  
 لا يتأتى قول قصيدة الا وقد قيلت من قبل ومنهم من قال ان ما جرت به العادة فله نهاية  
 وما لم تجربه العادة فلا يمكن أن تعلم نهاية الرتبة فيه وقد بينا أن على أصولنا قد تقدر  
 الكلامنا حد في العادة ولا سبيل إلى تجاوزه ولا يقدر ان القرآن خرق العادة فزاد عليها  
 فصل **في** ان قيل هل من شرط المعجز أن يعلم أنه أتى به من ظهر عليه قيل لا بد من  
 ذلك لأننا لو تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أتى بالقرآن وظهر ذلك من جهته  
 لم يمكن أن يستدل به على نبوته وعلى هذا لوتلقى رجل منه سورة فأتى بها بلدا وادعى  
 ظهورها عليه وأنها معجزة له لم تقم الحجة عليهم حتى يبحثوا أو يتبينوا أنها ظهرت عليه  
 وقد حقت أن القرآن أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وظهر من جهته وجعله علما  
 على نبوته وعلمنا ذلك ضرورة فصار حجة علينا

**فصل** قد ذكرنا في الابانة عن معجز القرآن وجيزا من القول رجونا أن يكفي  
 وأملنا أن يقع والكلام في أوصافه ان استقصى بعيد الأطراف واسع الكاف لعل شأنه



وشريف مكانه والذي سطرناه في الكتاب وان كان موجزا وأملينا فيه وان كان خفيفا فانه ينبه على الطريقة ويدل على الوجه ويهدي الى الحق ومتى عظم فضل الشئ فقد يكون الاسهاب فيه عيا والا كثر في وصفه تقصيرا وقد قال الحكيم وقد سئل عن البليغ متى يكون غنيا فقال متى وصف هوى أو حبيباً واصل أعرابي في سفره ليلا فطلع الفجر فاهتدى به فقال ما أقول لك أقول رفعك الله وقدر فعلك أم أقول نورك الله وقد نورك أم أقول جلتك الله وقد جلتك ولولا أن العقول تختلف والأفهام تتباين والمعارف تتفاضل لم نحتاج الى ما تكلفنا ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ولو اتفقوا فيها لم يجز أن يتفقوا في معرفة هذا الفن أو يجتمعوا في الهداية الى هذا العلم لانصاله بأسباب وتعلقه بعلوم غامضة الغور عميقة القعر كثيرة المذاهب قليلة الطلاب ضعيفة الأصحاب وبجسب تأتي مواقعه يقع الافهام دونه وعلى قدر لطف مسالكه يكون القصور عنه أنشدني أبو القاسم الزعفراني قال أنشدني المتنبي لنفسه القطعة التي يقول فيها

وكم من عائب قولاً صحيحاً \* وآفته من الفهم السقيم  
ولكن تأخذ الأذان منه \* على قدر القرائح والعلوم

وأنشدني الحسن بن عبد الله قال أنشدنا بعض مشايخنا للبحري

أهز بالشعر أقواماً ذوى سنة • لو أنهم ضربوا بالسيف ما شعروا  
على " نحت القوافي من مقاطعها \* وما على " لهم أن تفهم البقر

فاذا كان نقد الكلام كله صعباً وتميزه شديداً والوقوع على اختلاف فنونه متعذراً وهذا في كلام الادعي فما ظنك بكلام رب العالمين قد أبنا لك أن من قدر على أن البلاغة في عشرة أوجه من الكلام لا يعرف من البلاغة الا القليل ولا يفتن منها الا اليسير ومن زعم أن البديع يقتصر على ما ذكرنا من قبل عنهم في الشعر فهو متطرف، بلى ان كانوا يقولون أن هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع وأصول اللطيف وأن ما يجري مجرى ذلك ويشاكله ملحق بالأصل ومردود على القاعدة فهذا قريب وقد بينا في نظم القرآن ان الجملة تشتمل على بلاغة منفردة والاسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف ثم الفوائد والخواتم والمبادئ والثاني والطوائع والمقاطع والوسائط والفواصل ثم الكلام في نظم السور والآيات في تفاصيل التفاصيل ثم في الكثير والقليل ثم الكلام الموشح والمرصع والمفصل والمصرع والجنس والموشى والحلى والمكمل والمطوق والمتوج والموزون والخارج عن الوزن والمعتدل في النظم والمتشابه فيه ثم الخروج من فصل الى فصل ووصل الى وصل ومعنى الى معنى ومعنى في معنى والجمع بين المؤلفات والمختلف والمتفق والمتسق وكثرة



التصرف وسلامة القول في ذلك كله من التعسف وخروجه عن التحق والتشديق وبعده  
عن التعلل والتكلف والألفاظ المفردة والابداع في الحروف والأدوات كالابداع في  
المعاني والكلمات والبسط والقبض والبناء والنقض والاختصار والشرح والتشبيه  
والوصف وتميز الابداع من الاتباع كتميز المطبوع عن المصنوع والقول الواقع عن غير  
تكلف ولا تعمل وأنت تبينه في كل ما تصرف فيه من الأنواع أنه على سمت شريف ومرب  
منيف يهر إذا أخذ في النوع الربى والأمر الشرعى والكلام الالهى الدال على أنه يصدر  
عن عزة الملوك وشرف الجبروت وما لا يبلغ الوهم مواقفه من حكمة واحكام واحتجاج  
وتقريب واستشهاد وتقريب واعذار وانذار وتبشير وتحذير وتنبيه وتلويح واشباع وتصریح  
واشارة ودلالة وتعلم أخلاق زكية وأسباب رضية وسياسات جامعة ومواعظ نافعة وأوامر  
صادقة وقصص مفيدة ونساء على الله عز وجل بما هو أهله وأوصاف كما يستحقه وتحميد كما  
يستوجبه واخبار عن كائنات في التأنى صدقت وأحاديث عن المؤتلف تحققت ونواه  
زاجرة عن القبائح والفواحش وإباحة الطيبات وتحريم المضار والخبائث وحث على الجليل  
والاحسان تجده في الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك في منظر بهج ونظم أنيق ومعرض  
رشيق غير متعاص على الاسماع ولا متلو على الأفهام ولا مستكره في اللفظ ولا متوحش  
في المنظر غريب في الجنس غير غريب في القبيل يمتلى ماء ونضارة ولفظا وغضارة يسرى  
في القلب كما يسرى السرور ويرى الى مواقفه كما يرى السهم ويضىء كما يضىء الفجر ويخر  
كما يخر البحر طموح العباب جوح على المتناول المنتاب كالروح في البدن والنور  
المستطير في الأفق والغيث الشامل والضياء الباهر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من  
خلفه تنزيل من حكيم حميد من توهم أن الشعر يلحق شأوه بان ضلاله وصح جهله اذا الشعر  
سمت قد تناولته الألسن وتداولته القلوب وانتالت عليه الهواجس وضرب الشيطان  
فيه بسهمه وأخذ منه بحظه وما دونه من كلامهم فهو أدنى محلا وأقرب مأخذا وأسهل  
مطلباً ولذلك قالوا فلان مفهم فأخبر جوه مخرج العيب كما قالوا فلان عبي فأوردوه مورد  
النقص والقرآن كآب دل على صدق محمله ورسالة دلت على صحة قول المرسل بها وبرهان  
شهد له براهين الأولياء المتقدمين وبينه على طريقة ماسلف الأولون حيرهم به اذا كان  
من جنس القول الذي زعموا أنهم أدركوا فيه النهاية وبلغوا فيه الغاية فعرّفوا عجزهم كما  
عرف قوم عيسى نقصانهم فما قدروا من بلوغ أقصى الممكن في العلاج والوصول الى  
أعلى مراتب الطب فجاءهم بما بهرهم من احياء الموتى وبراء الأكمه والابرص وكأني  
موسى بالعصا التي تلقفت مادققوا فيه من سهرهم وأنت على ما أجمعوا عليه من أمرهم وكأني

سخر اسلحان من الرياح والطير والجن حين كانوا يولعون بدقائق الحكمة وبدائع من  
اللطيف ثم كانت هذه المجزة بما يقف عليه الأول والآخرون قوفا واحدا وبقي حكمها الى  
يوم القيامة أنظر وفقك الله لما هديناك اليه وفكر في الذي دللناك عليه فالحق منهج واضح  
والدين ميزان راجح والجهل لا يزيد الا غم ولا يورث الا اندما قال الله عز وجل قل هل يستوى  
الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكروا لو الا لباب وقال وكذلك أوحينا اليك روحا  
من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من  
عبادنا وقال يضل به كثير ويهدي به كثير اعلى حسب ما آتى من الفضل وأعطى من السكـال  
والعقل تقع الهداية والتبيين فان الأمور تتم بأسبابها وتحصل بالآثارها ومن سلبه التوفيق  
وحرمه الارشاد والتسديد فكأنما خسر من السماء فخطفه الطير أو هموى به الريح في مكان  
سحيق لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاحمد الله على ما رزقك من الفهم ان فهمت  
وقل رب زدني علما وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وان ارتبت فيما بيناه  
فازدد في تعلم الصنعة وتقدم في المعرفة فسيقع بك على الطريق الا رشده ويقف بك  
على الوجه الا حمدا فانك اذا فعلت ذلك أحطت علما وتيقنت فهما ولا يوسوس اليك  
الشیطان بانه قد كان من هو أعلم منك بالعربية وأرجح منك في الفصاحة أقوام وأقوام  
ورجال ورجال فكذبوا وارتابوا لأن القوم لم يذهبوا عن العجـاز ولكن اختلفت  
أحوالهم فكانوا بين جاهل وجاحد وبين كافر نعمة وحامد وبين ذاهب على طريق  
الاستدلال بالمعجزات وحائد عن النظر في الدلالات وناقص في باب البحث ومختل الآلة  
في وجه الفحص ومستهين بامر الأديان وغاوت تحت حيلة الشيطان ومقدوف بخذلان  
الرجن وأسباب الخذلان والجهالة كثيرة ودرجات الحرمان مختلفة وهلا جعلت بازاء  
الكفرة مثل لبيد بن ربيعة العامري في حسن اسلامه وكعب بن زهير في صدق ايمانه  
وحسان بن ثابت وغيرهم من الشعراء والخطباء الذين أسلموا على أن الصدر الا أول ما فهم  
الانجم زاهر أو بحر زاخر وقد بينا أن لا اعتصام الا بهداية الله ولا توفيق الا بنعمة الله  
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فتأمل ما عرفناك في كتابنا وفرغ له قلبك واجمع له ليلك ثم  
اعتصم بالله يهـدك وتوكل عليه يغنك ويجرك واسترشده يرشدك

وهو حسبي وحسبكم ونعم الوكيل ﴿ تم طبع هذا الكتاب

النفيس في ١٥ الحجة سنة ١٣١٥ هجرية

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وأزكى التحية











*Restored through  
a grant from*

T.S. Matthews '22  
in memory of  
Juliana Cuyler Matthews



